بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزيرة
كلية التربية -الحصاحيصا
قسم الجغرافيا و التاريخ

دور التجــار المسلمين في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية
(1 هـ - 132هـ / 622م - 749م)

سيدة النعيم عبد الله موسى

بكالــوريوس التربية ، كلية العلوم التربوية ، الكاملين ، جـامعة الجزيرة (2000م)

ماجستير الآداب في التاريخ الإسلامي، كلية التربية الحصاحيصا جامعة الجزيرة (2005م)

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة (في التاريخ الإسلامي)

فبراير 2016م

دور التجـــار المسلمين فــي انتشار الإسلام فـــي شبه القـــارة الهنديـــة:
(1 هـ / 132 هـ) - (622م / 749م)

سيـــدة النعيم عبد اللّه موسى

لجنة الإشراف:

الاســـــــــم	الصفة	التوقيـــع
د. خوجـلـي الصديق أحمد	**المشرف الأول**	**....................................**
أ. د. الفاتح الشيخ يوسف	**المشرف الثاني**	**......................................**

تاريخ الامتحان: / شوال /1437هـ

الموافق: / يوليو /2016م

دور التجــار المسلمين فـي انتشار الإسلام فــي شبه القــارة الهنديــة
(1 هـ - 132 هـ) / (622م - 749م)

سيدة النعيم عبد الله موسى

لجنة الامتحان :

الاســــــــم	الصفـــة	التوقيع
1/ د. خوجــلي الصديق أحمد	المشرف الأول ورئيس اللجنة	....
2/ د. عبد الفتاح محمد الكباشي	الممتحن الخارجي	....
3/ د. نفيسة عبد القادر الحسن أحمد	الممتحن الداخلي	....

تاريخ الامتحان : 7 / ذو القعدة / 1437هـ

الموافق 11 / أغسطس /2016م

إهـــــــــــداء

إلي روح والديَّ..اللذان علماني أن الحياة ثمرة بعد جهد وأن بالصبر ينـال المرء ما يصبوا إليه من مجد .

وإلي روح خالي العزيز الأستاذ/ علي أحمد حمد. مع الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة.

ثم إلي إخواني وأخواتي في الله وأشقائي ..

ولكل من أبدى رأياً أو قدم نصحاً هادفاً.

شكــر وتقديــر

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك, ولك الشكر علي وافر نعمتك وجزيل إحسانك وتوفيقك , والصلاة والسلام علي سيدنا محمد (ﷺ).

فبعد أن أتممت هذه الرسالة بتوفيق الله وعنايته، أتقدم بامتناني وخالص الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور/ خوجلي أحمد الصديق لما أسداه لي من فكره النيِّر وبصيرته النافذة وإرشاداته القيمة والتوجيه والنصح حينما كنت أزعجه بزياراتي المتكررة في مكتبه فكان يشد من أزري بالإضافة لمتابعته وتصويباته التي بفضلها أُعدّت الرسالة بصورتها الحالية , فله مني كل الشكر والتقدير سائلاً الله عز وجل أن يمد في عمره وأن يبقيه ذخراً لطلبة العلم ليستفيدوا منه وينهلوا من معارفه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل البروفسير/ الفاتح الشيخ يوسف المشرف الثاني على هذا البحث , وقد بذل وسعه في تسديد خطاي لما أبداه من ملاحظاته الحكيمة الرشيدة وآرائه وكان لها عظيم الأثر في إخراج هذا البحث بصورته الحالية .

والشكر موصول للدكتور عبد الفتاح محمد الكباشي الذي شُددتُ الرحال إليه ليدلني علي بعض المصادر والمراجع وقد كان .

وأزجي عرفاني لجامعة الجزيرة، الدراسات العليا ممثلة في كلية التربية الحصاحيصا التي هيأت لي فرصة إعداد هذه الرسالة كما أتقدم بالشكر للدكتورة سلوى إبراهيم عمر والدكتورة عزة محمد موسى والدكتور/ فتح الرحمن محمد الأمين والدكتور/ حميدة محمد أحمد , والدكتورة إحسان بشير عثمان شلكاب , وإلي كافة أمناء المكتبات وأخص منهم مكتبة جامعة ام درمان الإسلامية , وأسرة كلية العلوم التربوية الكاملين ومكتبة جامعة القرآن الكريم ومكتبتي كلية التربية الخرطوم والنيلين , وأصحاب المكتبات الخاصة الذين كانوا خير عون لي .

وشكري للأستاذ / عمر محمد علي (أبو شيزان لخدمات الكمبيوتر) الذي قام بطباعة هذا البحث ، كما التقدير موصول للأستاذ حسن النعيم عبد الله الذي صححه لغوياً ولن أنسى مساعدات أسرتي وأخيراً تقديري لكل من أمّد إليَّ يد العون وأسدى لي نصحاً وقدم لي عوناً أو توجيهاً أو تشجيعاً وذلك عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (*).

(*) الترمذي .محمد بن عيسى بن سورة بن موسى : سنن الترمذي , المكتبة الشاملة , ج1 , ص 289 .

دور التجار المسلمين في إنتشار الإسلام في شبه القارة الهندية:(1هـ - 132هـ)/(622م-749م)

سيدة النعيم عبد الله موسى.

ملخص الدراسة

عرفت المنطقة التجارة منذ القدم وعندما فتح العرب شبه القارة الهندية وتوسعت دولتهم وأقاموا فيها، كان لها العديد من الطرق البرية والبحرية. وكما هو معلوم أن التجارة لها دورٌ كبير في نشر الإسلام في العديد من المناطق عن طريق تعامل التجار وصدقهم وسماحة أخلاقهم. وهدفت الدراسة إلى التعرف على شبه القارة الهندية جغرافياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً، ومعرفة وسائل التجارة وطرقها وموانيها وسلعها التي كانت تستوردها وتصدرها والأماكن التي تتعامل معها وعلاقتها مع شبه الجزيرة العربية وأوروبا وأفريقيا ودور التجار المسلمين فى نشر الإسلام في شبه القارة الهندية في العهد النبوي والراشدي والأموي وأساليب التجار المباشرة وغير المباشرة في نشر الإسلام وأثر الإسلام في النواحي الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي والاستقرائي في معالجة المادة العلمية وترتيبها وتحليلها. وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها أن انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية جاء بجهود الأفراد وقوة نفوذ الإسلام وبساطته. وأثر الإسلام في عقد الصلة التجارية بين البلاد الإسلامية والهندية وتكثيف التبادل التجاري. ولانتشار الإسلام الأثر الواضح في فن العمارة خاصة فن المعمار الفارسي الذي حمله الوافدون من رجال الفنون والعلوم من المسلمين، مما كان له الدور الكبير في بناء المساجد والمدن وعمرانها ومدارسها وأسواقها وحركة التجديد الإسلامي. وأنتشر الإسلام بواسطة التجار دونما إكراه وكذلك ساهمت الطرق التجارية البرية والبحرية في نقل الدعوة وأشهرها طريقا الحرير والبخور اللذان يربطان الهند مع أوربا وآسيا ويمران بكثير من المدن المهمة وانتشار الإسلام أدى لسمو الأخلاق وتبدل الأحوال الدينية والاجتماعية باعتناق الدين الإسلامي وترك الديانات السابقة مثل البوذية والكنفوشية والهندوسية وغيرها . وأيضاً كان للترجمة دور بارز في نشر الدعوة الإسلامية، وأوصت الدراسة بالبحث في تاريخ الكيانات الإسلامية في شبه القارة الهندية والديانات التي كانت سائدة قبل الإسلام، والبحث في تاريخ الأديان في شبه الجزيرة الهندية، والتي تعتبر من الدراسات المهمة والمطلوبة في هذا العصر. ودراسة التجارة في فترة الدولة العباسية وما بعدها.

Abstrac

The Role of Muslim Traders in spreading Islam's in India through: (1 - 132 / 622 -749)

Saida Elnaiem Abdallah Musa

Abstract

Trade region has known since ancient times and when the Arabs to open the Indian subcontinent and expanded their state and resided there, and have had many of the land and sea routes. As well known that trade has a great role in spreading Islam in many areas by dealing traders and their sincerity and tolerance of morals. the study aimed to identify the Indian sub-continent geographically, economically and religion and populous and policy, and knowledge of trading aids and roads and ports and goods which were imported and exported and the places you are dealing with and their relationship with the Arabian Peninsula, Europe, Africa and the role of Muslim merchants in spreading Islam in the Indian subcontinent in the Covenant of the Prophet and Rashidi and the Umayyad and methods of direct and indirect traders in the spread of Islam and the impact of Islam in social, political, economic and cultural aspects. The study followed the historical method which is based on fill the information and order the facts . Also descriptive method and inductive in scientific information and facts and arrange treatment and analysis. The study found that the most important results of the spread of Islam in the Indian subcontinent came the efforts of individuals and the strength of the influence of Islam and its simplicity. And the impact of Islam in a commercial link between the Islamic and Indian country and the intensification of trade. And the spread of Islam clear impact in the art especially the art of Persian architecture, which was carried arrivals men of the arts and sciences of Muslims, which has had a significant role on its development mosques and construction of cities, and markets and schools and the movement of Islamic renewal architecture. Islam spread by traders, without coercion, as well as trade sea route and land route contributed to the transfer of the Islamic and the most famous silk and incense route linking India with which Europe and Asia, passing through much of the important cities and the spread of Islam lead to the ethics and religious change and social conditions. And also had to translate a prominent role in spreading the Islamic call, the study recommended the researches must be in the history of Islamic entities in the Indian sub-continent and religions that existed before Islam, and research in the history of religions in the Indian subcontinent, which is considered one of the important studies are required in this day and age. And the study of trade in periods that are not covered by the study especially during the Abbasid period..

المقدمة العامة

أ/ أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في الآتي :

1- تبيين المنهج الذي انتهجه التجار في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية والتوجهات التي تنير الطريق في الحياة وتحي القلوب والأرواح ، حتى تكون مع الذين وصفهم الله تعالى في كتابه حيث قال: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) [*]

2- على الرغم من كثرة الغزوات الإسلامية في تلك الفترة فإن الإسلام لم ينتشر في تلك البلاد بحد السيف ، بل انتشر بالإقناع والتسرب السلمي البطيء عن طريق التجارة والعلاقات التجارية التي تنشأ بين التجار.

3- إسهامات التجار في توجيه الأمة الهندية توجيهاً سلوكياً، إسلامياً وعلمياً وروحياً، وإعداد شعباً دينياً، وحربياً كلما اقتضت الضرورة.

4- توضيح ما حققه المسلمون من نقل للموروثات الإسلامية التي نقلوها إلى الهند مما كان له بالغ الأثر في نفوس الشعب الهندي مما أدى إلى نبذ الكثيرين لعبادتهم ومعتقداتهم الدينية الأخرى كالبوذية والكنفوشية ، والزرادتشية وغيرها وما تحمله من أفكار، فحققوا القاعدة الأصلية (إن الإسلام إنما يغزو القلوب لا الأراضي ولا البلدان).

5- تبيين الطرق التي دخل بها التجار لتلك المناطق ناشرين للإسلام.

6- إسهامات التجار في إنشاء فكر إسلامي عميق يوحد المسلمين ويجمع بينهم في سلم وأمان.

7 – أهمية شبه القارة الهندية في التـ[illegible] "تالي كثُر التقاء الناس فيها.

ب/ أسباب اختيار الموضوع :

1- دور التجار في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية أهميه العلمية معرفة الوسائل التي ساعدت التجار في انتشار الإسلام في تلك الرقعة.

2- إلغاء مزيد من الضو لمعرفة الطرق التي دخل بها التجار المسلمون لتلك المناطق.

---

[*] سورة الكهف ، الآية 13

3- توضيح بعض الحقائق العلمية المتعلقة بالموضوع والوقوف عندها بالدراسة والبحث لإيجاد حل لها.

4- وقصدت من اختياري إياه أن أعمل على جمع معلومات صحيحة مع الحرص على إزالة الاختلاط حتى أضيف جديداً لصروح العلم .

ت/ نطاق البحث:

1/ نطاق البحث المكاني : منطقة شبه القارة الهندية قديماً (الهند وباكستان حالياً) التي يحدها من الشمال سلسلة جبال الهملايا ومن الغرب جبال هندكوش و سليمان وبحر العرب ، وتمتد إلى الجنوب في شبه الجزيرة العربية و خليج البلقان في شرقها.

2/ نطاق البحث الزماني : (1هـ /622م) – (132هـ / 749 م) .

ث/ مشكلات البحث:

من الصعاب التي واجهتني في البحث أن معظم الكتابات جاءت بصورة غير واضحة عن دور التجار والتجارة في انتشار الإسلام في تلك المناطق .

الموضوع يحتاج إلى وقفة كبيرة وعمل متواصل من الدقة والصبر ، لأن التاريخ لا يسجل على الدقة متى دخل الإسلام في شبه الجزيرة الهندية بصورة مفصلة ، بل وردت مجملة يشوبها الغموض، الأمر الذي يشكل عائقاً حقيقياً يقتضي إعادة البحث والنظر فيه .

لم تكن هذه المهمة سهلة، لذلك تطلب مني جهداً كبيراً في البحث عن مصادر ومراجع التي تتحدث عن جانب التجار في انتشار الإسلام ، لأن المراجع والمصادر لم تقف على تفاصيل دقيقة عن اثر التجار في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية، بل وصفت اثرهم مجملاً مع العديد من الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية.

ج/ مكانة الدراسة من الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية هذا الموضوع ، إلا أنه لم يُبحث بحثاً علمياً تفصيلياً ، وقد تناولته بعض الدراسات بصورة جزئية كما يلي:

1- دخول الإسلام وانتشاره في دول جنوب شرق آسيا . مكتبة جامعة النيلين – بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ، إعداد الطالب محمد صالح ديحامة ، يتكون البحث من تمهيد و أربعة فصول .رسالة غير منشورة.

2- مملكة ملقا الإسلامية، مكتبة جامعة الجزيرة ، كلية التربية حنتوب ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إعداد الطالب: احمد حسن عمر حسن، يتكون من تمهيد وأربعة فصول. غير منشورة.

ح/ تقويم أهم المصادر والمراجع:

أهم المصادر الأولية التي استفدت منها فائدة واضحة القرآن الكريم وكتب الأحاديث، كما استفدت كثيراً من المصادر والمراجع التي تناولت أحداث الفترة الزمنية التي يغطيها البحث لأهميتها العلمية نذكر منها:

(1) المصادر الأولية العربية:

أهم هذه المصادر كتاب تاريخ والأمم والملوك لمؤلفه الطبري أبو جعفر محمد ابن جرير الذي يقع في عدة أجزاء وذلك لاختلاف الطبقات، وكانت معلوماته التاريخية القيّمة لها دور في ربط الأحداث بالسنين وبالتفصيل الدقيق الذي لا يستغني عنه أي باحث في التاريخ الإسلامي. كما استعنت بالمسعودي أبو الحسن علي بن الحسين من كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر،وكتاب البلاذري فتوح البلدان في تناول الأحداث والشخصيات التي لها علاقة بالبحث وكلها مصادر تُزخر بالعديد من المعلومات. كذلك كتاب البداية والنهاية لابن كثير الذي أفادني في تتبع سير الأحداث لأنه يمتاز بالترتيب الزمني حسب الاسبقية للحوادث في أسلوب سلس جذاب في وصف المعلومات وكلها مكملة لبعضها البعض.

كما لا أنسى معجم البلدان لياقوت الحموي الذي يقع في عدة أجزاء استفدت كثيراً في تراجم بعض الشخصيات والأماكن، أيضاً كتاب ابن سعد أبو عبد الله بن محمد، الطبقات الكبرى، خاصة الجزء الرابع أفادني في ترجمة بعض الشخصيات التي وردت في البحث .

وهنالك العديد من المصادر أعانتني في الإلمام بالمعلومات لا يسع المجال لذكرها فأوردتها في ثبت المصادر والمراجع.

(2) الرسائل الجامعية:

هذا الموضوع لم يجد الدراسة الوافية المفصلة حالياً في الكثير من جوانبه. وما كتب عنهم لا يتعدى بعض الكتابات في إفريقيا دون ذكر لدور التجار في انتشار الإسلام في تلك المناطق. والمصادر التاريخية بصفة عامة تذكر التجار والتجارة ضمن الحديث عن أسباب انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا أو إفريقيا.

كل ما عثرت عليه من الرسائل التي تتحدث عن دور التجار في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية بالمكتبات التي وصلتها واستعنت بها، مثل:

1- أحمد حسن عمر حسن : مملكة ملقا الإسلامية، مكتبة جامعة الجزيرة ، كلية التربية حنتوب ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير. 1423هـ / 2002م . يحتوي على أربعة فصول وتمهيد.

2- البليلة، محمد قسم السيد محمد. التجارة و أثرها في نشر الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺمكتبة جامعة النيلين – رسالة دكتوراه ، 1422هـ/ 2002م.

3- عبدالقادر، عبد الرحمن أحمد، الإمام المودودي ومنهجه في الدعوة والإصلاح، جامعة أم درمان الإسلامية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية،1427هـ /2006م . يحتوي على أربعة فصول و تمهيد.

5- غلوم ، سند أحمد، مدارس التفسير في شبه القارة الهندية، مكتبة أم درمان الإسلامية، رسالة ودكتوراه، 1428هـ /2007م.

6- فوزي، محمد صالح ديحامة، دخول الإسلام وانتشاره في دول جنوب شرقي آسيا، مكتبة جامعة النيلين ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، 1426هـ / 2005م

7- الندوي، عبد الله السكري. منهج اللغة العربية في المرحلة الثانوية في المدارس العربية الإسلامية في الهند، مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية، لنيل درجة الدكتوراه ، 1418هـ /1997م.

(3) المراجع الثانوية العربية:

هذه المراجع لم تختلف عن غيرها من جانب حجم المعلومات، وإنما اختلفت باعتبار الأهمية، إذا أن كل المراجع لا تذكر إلا قليلاً من للمعلومات الحقائق المبعثرة.

أما المراجع فقد ساهمت مساهمة فعالة، وكان لها القدح المعلي في البحث، ولولاها لما كان البحث بصورته النهائية على الرغم من أنها أخذت معلوماتها من المصادر الأولية، ومن أهم المراجع، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند والهند القديمة، تكلم عن الهند ودياناتها التي كانت سائدة والتجارة وطرقها وسلعها وعلاقتها. وشوقي عبد القوي عثمان في كتابه تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، الذي اشتمل على الموانئ وأنواع السفن التجارية وبعض السلع التجارية والصادرات والواردات الهندية.

كما اخذتُ من كتاب أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وأيضاً كتابه ديانات الهند الكبرى واستفدت من معلوماته القيمة ذات الأسلوب البسيط. وقد افادني كتاب البيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد، ما للهند من مقولة مرزولة أو مقبولة الذي كان له نصيب الأسد في البحث. وهنالك العديد من المراجع أخذت مكانها في ذيل البحث.

(4) المراجع الأجنبية المترجمة :

وقد أخذت منها بعض المعلومات ، و هي رغم قلتها ، فهي تمثل رأي ونظرة الغرب للمسلمين والدين الإسلامي ، وقادته وخلفاء الدولة الإسلامية.

وهذه المراجع بها العديد من المعلومات المفيدة من أعمال و أراء تحتوي على العديد من التفاصيل التي أعانتني كثيراً في بحثي هذا ، فضلاً عن معرفة الكيفية التي تناولوا بها أحداث التاريخ الإسلامي، وعلى سبيل المثال (وول ديورانت)، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، وكذلك (كارل بروكلمان) ، تاريخ الشعوب الإسلامية نقله للعربية أمين فارس ومنير البعلبكي. وآدم متز :لحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري نقله للعربية محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(5) الدوريات:

استفدت كثيراً من الدوريات التي تناولت مواضيع خاصة بالبحث منها على سبيل المثال: مجلة العربي، العدد 13 5 مقال تحت عنوان التاجر ، دار الآثار الإسلامية جمادى الأول 1422هـ / أغسطس 2001م .

كذلك مقال تحت عنوان ثقافة الهند و العلاقات التجارية الهندية العربية منذ فجر التاريخ، الهند 1965م

خ / منهج البحث :

1- المنهج الفكري :

المنهج الذي اتبعته في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي الاستقرائي، الذي يعتمد على سرد الأحداث وتحليلها ، وأيضاً المنهج الاستنباطي.

2- المنهج الكتابي :

فقد اشتمل البحث على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة و نتائج و توصيات وملاحق ثم ثبت المصادر والمراجع وفهرست.

التمهيد، **أحوال شبه القارة الهندية قبل الإسلام** ، **وقسم إلى ثلاث مباحث**.

أ- جغرافية القارة الهندية وسكانها.

1- الموقع الجغرافي.

2- السكان.

ب- اللغات الهندية:

1- اللغة السنسكريتية .

2- اللغة الكلاسيكية (البابلية)

3- التأهيلية الدواويدية .

ت- الديانات في شبه القارة الهندية:

1- الكنفوشية.

2- الجينية.

3- البوذية.

4- الهندوسية (الهندوكية)

ث- الحالة الاجتماعية والسياسية في شبه القارة الهندية:

1- الحالة الاجتماعية.

2- الحالة السياسية.

الفصل الأول: **العلاقات التجارية لشبه القارة الهندية و يشتمل على سبعة مباحث**

أ- الطرق التجارية، ويشتمل على:

1- الطرق البرية.

2- الطرق البحرية.

ب- أنواع السفن .

ت- موانئ شبه القارة الهندية

ث- السلع التجارية المتبادلة ، و يشمل:

1- الصادرات الهندية.

2- الواردات إلى الهند .

جـ_ العلاقات التجارية، ويشتمل على:

1- العلاقات الهندية التجارية مع شبه جزيرة العرب وبلاد الشام

2- العلاقات الهندية مع قارة إفريقيا .

3- العلاقات الهندية مع قارة أوروبا.

الفصل الثاني : **التجار المسلمون في شبه القارة الهندية** ، **ويتضمن الاتي** :

أ- دور التجار العرب المسلمين في العهد النبوي .

ب- دور التجار العرب المسلمين في العهد الراشدي.

ت- دور التجار العرب المسلمين في العهد الأموي.

الفصل الثالث: **أساليب التجار في نشر الإسلام** .

أ- أساليب مباشرة.

ب- أساليب غير مباشرة.

الفصل الرابع : **اثر الإسلام في شبه القارة الهندية** .

أ- اثر الإسلام في شبه القارة الهندية

1- الآثار الثقافية.

2- الآثار الاجتماعية .

3- الآثار الاقتصادية

4-الآثار السياسية.

ثم تأتي الخاتمة، والنتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات. وفي ذيل البحث الملاحق وقائمة المصادر والمراجع، والفهرس.

التمهيـد

أحوال شبه القارة الهندية قبل الإسلام

(القرن الأول قبل الميلاد – إلى القرن السابع الميلادي)

(أ) جغرافية [*] شبه القارة الهندية [*1] وسكانها:-

(1) جغرافية شبه القارة الهندية:-

أولاً: الموقع الجغرافي والفلكي:-

تقع شبه القارة الهندية جنوب قارة آسيا [*2] تشبه المثلث في شكلها، يحدها من الشمال سلسلة جبال الهملايا[*3] ومن الغرب جبال هندكوش.[*4] وسليمان، حيث تقع أفغانستان[*]

---

[*] جغرافية : نسبة إلى جغرافيا، وهي لفظة يونانية معناها، رسم الأرض، طوّر المصريون القدماء والفينيقيون المعارف الجغرافية وتلاهم الرومان والفرس والعرب، وتطورت في العصر الحديث كغيرها من العلوم ، وهي علم وسط بين العلوم الإنسانية والطبيعية، والجغرافيا علم المكان والإنسان ولها تخصصات متعددة منها الجغرافية الزراعية السكانية والبشرية، الطبيعية، الإقتصادية، السياسية والصناعية والمُناخية.

– الشتاوي ، خورشيد إبراهيم وأحمد عبد المجيد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية للشعب ، ج2 ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ص15.

[* 1]. القارة الهندية: تستمد الهند اسمها من كلمة (سند هو)، وهو الاسم الهندي لنهر الأندوس وهو نهر السند، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمتا (آند) وهند ومعناهما الأرض التي تقع فيما وراء نهر الأندوس، وأصبح سكان هذا الإقليم يسمون الهندوس أو الهنود، كما تُعرف بلادهم بالهندوستان، كما يوجد رأياً آخراً بأنَّ اسم الهند اشتُقَ من اسم إله الهنود (آندرا) وهو إله الرعد الذي يسبب الأمطار وكانت له الغلبة فيما بعد.

– العلايلي ،الشيخ عبد الله / وآخرين :المنجد في الأعلام ، دار المشرق ،بيروت، ط8،1976،ص 731.

[*2]. آسيا: هي أكبر قارات العالم الخمس وأكثرها سكاناً، تقع في نصف الكرة الأرضية، تكوّن مع أوربا وأفريقيا العالم القديم ومع أوربا ما يعرف بقارة آسيا، يحيط بها المحيط الهادي شرقاً والمحيط الهندي جنوباً والمتجمد الشمالي شرقاً، ومن البحار الأسود والأحمر والمتوسط وقزوين، يفصلها عن أمريكا الشمالية مضيق برنيغ وعن أفريقيا باب المندب قناة السويس وعن أوربا جبال الهملايا وهضبة التبت ومن بحارها البحر الميت وهو أكثر مناطق العالم انخفاضاً، وهى مهد الحضارات مثل البابلية والآشورية والفارسية والمسيحية والإسلام.

– المعلوف، الأب لويس توتل الأب فردينان، المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص49.

– ملحق رقم 1.

[* 3] الهملايا، هي أعظم سلسة جبلية في العالم وتمتد شمالاً إلى الحدود بين روسيا والهند ومن الطرف الجنوبي الشمالي إلى كشمير، وتقع فيها منابع نهر الجنجا، حيث تبقى مغطية بالثلوج دائماً.

– الندوي : محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة، حضارتها وديانتها، دار الشعب، 1970م، ص12

[* 4] هندكوش ، سلسلة جبال في شمالي أفغانستان، هي امتداد لجبال الهملايا، ارتفاعها حوالي 7700 متر، تنحدر من طرفها الغربي المقابل ، للهضبة عدة مجاري مائية وهذا الامتداد يتصل بجبال مكران في الجنوب الشرقي عبر جبال سليمان التي بينهما 350 كلم وأعلى قمة فيها ارتفاعها 5600م.

– باقر، طه وآخرون ، تاريخ إيران القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، بدون تاريخ، ص16.

وإيران[*1] ، ثم تمتد إلى الجنوب قي شبه جزيرة ويقع بحر العرب [*2] في غربها، وخليج البنغال [*3] شرقها وسيلان[*4] في طرفها الجنوبي ويتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال آسام.[3]

أما الموقع الفلكي فتقع شمال خط الاستواء بين دائرتي عرض 8° – 37° شمالاً وخطي طول 61°– 100° شرق جرينتش، فهي بذلك تقع في الإقليم الحار والإقليم المعتدل وفيها ثلاثة فصول مناخية. [*5]

---

[*] أفغانستان : جمهورية إسلامية في آسيا الوسطى وعاصمتها كابول ، تقع جنوب تركستان بين إيران و باكستان و الصين ، لغتها البوتستو الفارسية دايري التركية ، استمر الحكم الإسلامي لها إلا أن احتلتها بريطانيا عام 1296هـ 1878م . ونتيجة لمطالبة الشعب بإنهاء الاحتلال أعلن الاستقلال عام 1337ه /1919م . وتبلغ نسبة المسلمين بها 99% .

– طه ، أبو الدهب : المعجم الإسلامي ، ط 1، دار الشروق ، 1423هـ– 2002م . ص 76

[* 1]. إيران : عاصمتها طهران ، مساحتها 1.638.57000كلم 2 ، ولغتها الفارسية ، وصلها الإسلام أيام الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه 23ه وكانت معركة نهاوند عام 21ه، معركة فاصلة لدولة الفرس الساسانية، حكمتها سلسلة من الأسر المالكة منها المظفرية والتيمورية و الصفورية ثم القادرية و من منتجاتها القمح والشعير والفكهة. إضافة إلى الثروة الحويانية الخضمة و الغاز الطبيعي.

– شوقي، أبو خليل : أطلس دول العام الإسلامي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2003م، ص 25.

[*2]. بحر العرب: هو جزء من المحيط الهندي يقع بين سواحل شبه الجزيرة الهندية في الشمال ، تحده إيران وباكستان في الشرق وشبه الجزيرة العربية من الغرب، تطل عليه مجموعة من الدول هي الهند، إيران، عمان، باكستان، اليمن، ويسمى بالبحر الأخضر وبحر الهندوس .

– الشتاوي : مرجع سبق ذكره ، ص 143.

[* 3]. خليج البنغال، يقع في الجزء الجنوبي من قارة أوربا يحده من الغرب شبه جزيرة إيطاليا ويقسم بلغاريا إلى قسمين، تحاط به البحار مثل البحر المتوسط وبحر إيجه وبحر مرمره ويحاط به من الشرق بالبحر الأسود، مناطقه باردة في الشتاء وتتساقط عليها الثلوج وفي الصيف مناخها حار وجاف.

– الشتاوي : المرجع السابق ، ص 153.

[*4]. سيلان، مدينة مشهورة ملاصقة للسند بينها وبين الديبل المنصورة نحو عشرة مراحل .

– الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار هلال، بيروت، بدون تاريخ طبع، ج 3، ص315.

(3) الندوي: مرجع سبق ذكره ، ص12.

– العلاليلي: مرجع سبق ذكره ، ص 731.

[* 5] يسود شبه القارة الهندية المناخ الموسمي المداري ويمكن تمييز ثلاثة فصول أولاً: فصل بارد ويمتد من شهر أكتوبر حتى آخر نوفمبر وثانياً: فصل حار ويشمل الفترة من أوائل مارس حتى منتصف يونيو . ثالثاً: فصل مطير ويمتد من منتصف يونيو حتى نهاية شهر سبتمبر وقد يمتد إلى شهر أكتوبر وتهب على المنطقة رياح من الشمال الغربي وأخرى من الجنوب الشرقي.

– الزوكة ، محمد خميس الزوكة: آسيا دراسة في الجغرافية الإقليمية، ط1، دار المعرفة الجامعية، 1990م، ص159

أدى ذلك تباين في بنائه الجيلوجي [*] ومظاهر سطحها وتنقسم إلى ثلاثة أقاليم لكل منها مميزاته الخاصة وهي الهضاب الشرقية والغربية[*1] والأرض الجنوبية[*2] والهند الشمالية[*3] ويتحكم الارتفاع في تقرير نوع النبات السائد. [*4]

ثانيا: المساحة:-

تبلغ مساحتها مليوني ميل مربع أو حوالي 3.8 مليون كلم مربع بالإضافة إلى جزيرة سيلان، وهى تعادل مساحة أوروبا مجتمعة باستثناء روسيا فسميت شبه القارة الهندية لضخامة مساحتها، وفيها من كثرة السكان واختلاف أجوائها، وآدابها، وفنونها، كما تسمى أيضاً بشبه الجزيرة، لأنها جزيرة من بعض النواحي، والبحر يفصلها من غيرها في الجنوب العربي (وهو بحر العرب) والجنوب

---

[*] الجيولجي: نسبة إلى جيلوجيا، وهي لفظة يونانية مركبة من (جي) ومعناها الأرض (ولوغس) ومعناها كلام فصيح معنى الكلمة كلام عن الأرض أو عن علم الأرض، وهو علم يبحث في تركيب الأرض والجغرافيا الطبيعية هي مفتاح علم الجيولوجيا، وهي أقسام منها الصخور وعلم البترول، وعلم المعادن، وقد تأثر الناس منذ القدم بالحركات والظواهر الجيولوجية للأرض، فاندفعوا رغبةً في العلم والاستفادة من الأرض، وحرصاً على اجتناب الضرر، إلى هذا العلم، فكان من هنا نشأته وتطوره.

- جامعة الدول العربية، الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربال ، دار نهضة لبنان ، بيروت للطبع والنشر، 1980، ص 684.

[* 1] الهضاب الشرقية والغربية، تقع على الجانب الشرقي من الهضبة الغربية ويبلغ ارتفاع الهضبة إلى الشرق مباشرة من الهضاب الغربية أكثر من ألفي قدم فوق مستوى سطح البحر، حيث تبدأ أرض الدكن حيث نجد آلاف الأفدنة من الحقول التبت تنتج القطن والحبوب والفاكهة والخضراوات.

- شلبي، أحمد : أديان الهند الكبرى، الطبعة الحادية عشر، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ طبع، ص71.

[*2] الأرض الجنوبية : : تقع بين الهضاب الجنوبية والغربية تقع مدينة أحمد أباد وهي أشهر مدينة لطبع الكتب العربية النادرة وتقع فيها مؤسسة دائرة المعارف العثمانية وأيضاً من المدن التي تقع فيها مدينة مدراس وهي أكبر مدينة في جنوب الهند يوجد فيها أشهر المعابد الهندوكية وكذلك مدينة ميسور بها مصيف شهير لسكان الجنوب، كذلك كيرلا يوجد بها شجر جوز الهند وبها ميناء كاليكوت وكل الأراضي للجنوب مبتدأة من تونجة إلى سيلان.

- الندوي : مرجع سبق ذكره، ص 21.

[* 3] الهند الشمالية : تحد بجبال الهملايا العالية الشامخة من الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي ومن الجنوب بنهر النديرا وسلسلة جبال الفندياشل، وأما الهضاب فتقع إلى الجنوب من نهر النديرا ومن الشمال من النهرين نجابادرا والكرشنا.

- شلبي نفس المرجع ص 45

[* 4] النبات السائد، على المنحدرات السفلى لمرتفعات الهملايا تنمو الغابات المدارية الكثيفة، ويحدها شمالاً غابات من الأشجار النفطية ثم الأشجار الصنوبرية ثم المراعي الجبلية التي تنتهي بنطاق من الصخور القاحلة.

- الزوكة : مصدر سبق ذكره، ص 157.

الشرقي (وهو خليج بنغال الهند)، والجبال التي يتعذر اختراقها تفصلها عن العالم في الشمال، والشمال الشرقي، والشمال الغربي، وبهذا تكاد تكون جزيرة[4]

ومما تمتاز به بلاد الهند الشاسعة الواسعة الجبال الشاهقة الشامخة (أما جبال هذه البلاد فمنها سلسلة جبال في غرب نهر السند[*]، حيث تجري إلى الجنوب، وهي تمتد إلى الجنوب، من طرف هملايا إلى ساحل بحر الهند، وتحد الهند غرباً، والقوافل من غربها لا تدخل في أرض الهند إلا من شعابها، وأوسعها وادي خبير في الشمال، ووادي بولن في الجنوب، ومنها سلسلة جبال في شرقي آسام وبنكاله، ومنها سلسلة جبال السواحل الغربية، ومنها جبال "نيلكري" أي جبال الزرق، ارتفاع بعضها (6000) قدم وقيل (9500) قدم، وهي أفضل بلاد الهند في طيب الهواء، ومنها سلسلة جبال (بندهياجل) و(ست بورا)، ومنها سلسلة جبال أربارا) [5]

وأمّا أنهار [*1] هذه البلاد فهي طويلة، واسعة بطيئة الجريان، عميقة حتى يصلح الكثير منها لسير السفن.

ثالثا: الزراعة:-

من أهم حاصلاتها الحنطة والشعير والذرة والعدس بأنواع مختلفة، والحمص وغيرها ولاسيما الأرز الذين يذكرون منه سبعاً وعشرين صنفاً، ومنها قصب السكر والقطن والتبغ والتوت والنارجيل والنحل والخيزران والخشخاش، الذي يؤخذ منه الأفيون والشاي والتنبول

([4]) عبد الله، مصطفى نومك : البوذية تاريخها وعقائدها، بدون تاريخ ودار النشر، ص 51 – 52

[*] نهر السند : بكسر السين المهملة وسكون النون وآخرها دال مهملة نهري يربط بين الهند (وكرمان) و(سجستان) وهي من البلاد التي وطئها المسلمون وبها إقليم الذهب.

- عصام الدين،عبد الرؤوف : بلاد الهند في العصر الإسلامي، ط2، دار الفكر العربي، 1996 ص 76 – 77.

([5]) الندوي : المرجع السابق ، ص 63.

[*1] مثل نهر الهند، ويقال له: نهر السند، ونهر مهران.. ومنها نهر (كنك) مخرجه من جبال هملايا بين (79، 80) من الطول الشرقي، و(31، 32) من العرض الشمالي فوق سطح البحر نحو (13000) قدم .. وأمّا نهر (برهم بتر) فمخرجه في شمال هملايا في بلاد (التبت). وأمّا نهر (صون) فمخرجه في أوسط البلاد .. وأمّا نهر (نربرا) فمخرجه نهر (صون) وأمّا نهر (كوداوري) فمخرجه من جبال السواحل الغربي أما هواء بلاد الهند فمختلف باختلاف العرض، والارتفاع، ومجورة الجبال، والأنهار، والرياح

- الندوى: المرجع السابق، ص64.

وهو المعروف في الهند باسم (ألبان) (*) ومن ثمارها الموز والرمان والأترج واللوز والعنب والتمر الهندي والليمون والأنبه (المانجو) في الجهات الشمالية التفاح والأجاص، ومن الأشجار شجر آلتيك (المعروف بالساج) الذي تصنع من أخشابه السفن وشجر القرفة والصندل والفلفل والثيل والأبنوس، وأشجار الصنوبر تكسو أعالي الجبال كما توجد أشجار البلوط هذا عدا أصناف الفواكه ونباتات المنطقة الحارة التي تنبت في الجنوب .

[2] سكان شبه القارة الهندية:

إن التاريخ الواضح للهند ارتبط بالعهد الآري(*1) حيث جاء السكان عن طريقين (*2) كل منهما منفذاً سلكته أجناس من البشر إلى الهند منهم التورانيون(*3) الذين تكوَّن منهم المجتمع الهندي و يغلب عليهم الدم التوراني، والجماعة الثانية يغلب عليها الدم الهندي.

(*) ألبان: يمضغون أوراقه وشجره يشبه العنب غير أنه لا ثمر له وينتفع بورقه في المضغ وهو عام شائع في الهند يمضغه الرجال والنساء.

- عصام الدين،عبد الرؤوف : بلاد الهند في العصر الإسلامي، ط2، دار الفكر العربي، 1996 ص 76 – 77.

(*1) العهد الآري: سميت الأمة الهندية الأوربية بعد نزوحها إلى الهند بالأمة الآرية فكلمة الآري Aryaz، تطلق على الشرفاء وقد اعتبروا الآريون أنفسهم سادة البلاد والآخرون خدماً وعبيداً وكانوا يركعون أمام جميع ظواهر الطبيعة ويقدسونها وكانت لغتهم الأصلية السنسكريتية، وقد اتسموا بالبداوة والقسوة وشدة البأس، وأن الجنس الآري آسيوي الأصل، كان يعيش في وسط آسيا في بلاد التركستان بالقرب من نهر الجيحون.

- Rene sedillot, History of the world, p.32

(* 2) معبرين: يقع أحد هذين المعبرين في شرق جبال الهملايا عند وادي نهر برهما بوترا ويسمى الباب الشرقي، حيث دخلت منه الشعوب الصفراء (التورانيون) أفواجاً، ويقع الثاني غربي هذه الجبال ويسمى الباب الغربي ومنه جاء الآريون بلاد الهند وبهم ارتبط تاريخ الهند القديم وأصلهم الجنس الأبيض، ومن هذين البابين، اقتُحمت الهند عدة مرات بأجناس مختلفة، فيها شعوباً بيضاً بياض الأوربيين كما نجد الزنوج.

- أحمد شلبي : مرجع سبق ذكره، الموسوعة، ص21.

(* 3) التورانيون: هم الشعب الهندي الأصلي الذي كان يقطن المناطق الهندية الممتدة من الشمال إلى الجنوب، ويتسم باللون الأسود بسبب قربهم من خط الإستواء واللون الأسمر المائل إلى الأبيض والأشقر، وهذه الأمة الهندية الأصلية السوداء اللون قد سميت بالدراودية، وهي التي استولت على مقاليد بلاد السند وبنجاب، وأنشأت فيها حضارتها العريقة، وظلت فيها على ذلك حتى نزوح الآريين واستيطانهم تلك الأرض واستيلائهم عليها رويداً.. رويدا ،وقد اتُخذ الإله سيقا إلهاً لهم وعبدوا معظم آلهة نهر الهند ومارسوا نفس الحياة الحضارية في جميع مرافق الحياة ومراسيم الدفن لم تختلف عندهم.

- الندوي : مرجع سبق ذكره، الهند القديمة، ص59.

أمَّا الذين آووا إلى قمم الجبال فقد أطلق عليهم زنوج الهند(*)، وقد سكن خلال المراحل الأولى من تعمير الهند عناصر بشرية قديمة عرفت باسم ما قبل الدرافيدين(*1)، وعناصر ما قبل الأستراليين وأقزام آسيا (النجرونتيوس)، وكذلك الآريون، كما يوجد عناصر ينتمون إلى العناصر المغولية، وقد تعرضت بعض أجزائها للاختلاط الجنسي تبعاً لقدوم عناصر بشرية خلال فتوحات الإسكندر الأكبر(*2) ، كما سكنت القارة جماعات من عناصر البحر الأبيض المتوسط(*3) وخاصة في الفترة 160 ق.م ، كما وفدت جماعات بشرية مختلفة خلال الفتوحات الإسلامية.(6)

وينقسم المجتمع الهندي إلى طبقات على حسب المهن والأعمال داخل المجتمع وتتفاوت الطبقات تبعاً للعامل العِرقِي، وتزيد على ألفي طائفة أو طبقة منها:

(*) زنوج الهند:هم البوذين، سكان الهند الأصليون الذين لا يجري في عروقهم الدم التوراني أو الدم الآري وقد حرمهم المجتمع الهندي حقوق الإنسان، ونزل بهم إلى مستوى الحيوان، كما لم يسمح لهم اعتناق الدين الهندوسي، أو يتخلقوا بآدابه وتُركوا في حياة بدائية مريرة، فأصبح دينهم أشبه بعبادة الأرواح التي اعتصمت بها الأقوام الفطرية الساذجة.

- شلبي : مرجع سبق ذكره، الموسوعة، ص51.

(* 1) الدرافيدين: يتميزون بالبشرة السوداء والرأس العريض والأنف العريض المسطح، استقروا في القسم الجنوبي من هضبة الدكن وعبر ممر خيبر بولان.

- العيني: مرجع سبق ذكره، ص208.

(*2) الإسكندر الأكبر: هو ابن فلبس المقدوني ويزعم الفرس أنه ابن دارا بن بهمن أي : أنه أخو دارا الثالث المقتول، تربى تربية حربية وتتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو، وأسند له أمور الدولة عام 340 ق.م وعمره 16 سنة، وورث الملك عن والده هزم دارا الثالث سنة 333 ق.م وتوجه إلى سوريا ومصر عام 332 ق.م، كما التقى بدارا مرة ثانية في معركة كوكميلة 331 ق. م وهُزم وتوغل داخل فارس وأحرق برسيولس ثم توجه إلى اكتيانا وتبع دارا ولحق به وقد قُتل بواسطة حراسه 330 ق.م، ووصل الإسكندر إلى الهند وعاد منها إلى برسيولس ثم إلى بابل حيث مات بها 323 ق.م، شيد 12 مدينة كلها تسمى الإسكندرية . تمتع بعقلية فذَّة، كانت فترته على الشرق من أهم أحداث التاريخ القديم، حتى أرَّخ بها المؤرخون.

- ابن الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبا بكر (ت 751هـ) : إغاثة اللهفان من مصائد الشياطين. تحقيق محمد حامد الفقهي،ج2، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط2، 1359- 1975م، ص 263.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو : البداية والنهاية، ج2، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1401 - 1981م، ص 102.

(*3) البحر الأبيض المتوسط، هو بحر الروم، بحر داخلي بين أوربا وأفريقيا وآسيا، أقصى عمقه 5000 متر تقريباً، يتصل بالمحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق، شديد الملوحة شواطئه مهد الحضارات القديمة.

- المعلوف، مرجع سبق ذكره، ص 320.

(6) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد : تحقيق الهند من مقولة مرزولة أو مقبولة، ط 8، بيروت 403هـ - 1983م، ص 43.

أولاً: طبقة الآرية: [*]

وهي في المرتبة الأولى بسبب لونهم الأبيض وسيطرتهم الاقتصادية، ولقد احتكرت الطبقة الكهونية، وهي المكونة من الغزاة ، ومارست الطقوس الدينية، وفرضت امتيازاتهم على المجتمع، وأقامت الفروق الفردية بين طبقات المجتمع، فحرّمت التزاوج والتعامل مع غيرها من طبقات المجتمع ، وكما فرضت الانتقال داخل الطبقة فقط، واستمرت في هذه الحالة حتى جاء مانو[*1]، وفرض القوانين في القرن الثاني قبل الميلاد فكسر ذلك التقسيم وأعطي لكل طبقة وظيفتها ونظامها وأوضاعها وبقيت الطبقات كلها في تقديس البقرة[*2].[7]

---

[*]) الآرية: هم الجماعات الآرية وهي لقب أصله سنسكريتي ومعناها النبيل، استخدمه الهندوس لتمييز أنفسهم عن الشعوب التي تتكلم اللغات الهندية الإيرانية، والآرية رابطة لغوية ثقافية وليست جنساً، تجمع بين الشعوب التي تدخل لغاتها في عائلة اللغات الهندية أو الأوربية أو الجرمانية وهي احدى عائلات اللغات الشرقية الكبرى في سعة إنتشارها وكثرة الأقوام الذين يتكلمون بها.

– الشتاوى : مرجع سبق ذكره، ج1، ص 126.

[* 1] مانو: ابن فاتك الحكيم ظهر في زمان الملك آردشير، ولد في مردينوس، وهو مؤسس العقيدة والديانة المانوية وصف بالزندقة، وكان له أثر كبير في الآراء الدينية وكانت تعاليمه مزيجاً من النصرانية والزرادشتية.

– ابن النديم، أبو الفرج محمد بن يعقوب إسحق الوراق: الفهرست، مكان الطبع طهران، 1991، ص 390.

& ملحق رقم 2.

[* 2] تقديس البقرة : من بين المعبودات المتعددة لدى الهنود، حظيت البقرة بأسمى مكانة وهيمنتها على المعبودات الهندية التي لم تضعف قداستها مع مر السنين وتوالي القرون. وكانت صلاتهم إلى البقر على النحو الآتي: [أيتها البقرة المقدَّسة لك التمجيد والدعاء في كل مظهر تظهرين به، أنثى تدرين اللبن في الفجر، وعند الغسق أو عجلاً صغيراً أو ثوراً كبيراً، فقد كان لها مكان واسع نظيفاً يليق بها وماءاً نقياً تشربه لعلكي تنعمين هناءً وسعادة].

– أحمد شلبي : مرجع سبق ذكره، ص 205.

([7]) الندوى : مرجع سبق ذكره، ص 64.

ثانياً : البراهمة (*) (Brahama):

يعتقد أن البراهمة خلقوا من فم براهما (*1) ، وهم بالتالي أول الناس وأفضلهم. منهم الكهنة ورجال الدين، وحماة المعابد، يمارسون الطقوس والشعائر عند الولادة والزواج والوفاة، كما يرون أنهم المتفوقون، وجسم الواحد منهم مقدس لا يجوز مسّه وكل ما في العالم ملكهم، ولهم الحق في كل شيء لهم في مال الطبقات الدنيا نصيب، لا يدفع البراهمي الخراج (*2) للملك، وأنّه لا يحظى ولا يجوز قتله حتى لو ارتكب أخطر الجرائم، صلاحياته بلا حدود، وله امتيازات منها تعظيم البرهمي في جميع الأحوال حتى لو مارس سائر الأعمال الدنيئة والسافلة، يوحي ذلك أن البرهمي هو إله. [8]

(*) البراهمة، لهم مدلولات كثيرة في اللغة الآرية الأولى، وقد أطلقت كلمة برهمه على العادة والصلاة في البداية، ثم على كهنون، وأخيراً أطلقت على سيد الآلهة، ثم على كتب الفيدا الأربعة، الربج ويدا Rigweda، وياجورويدا yajurveda، وساما ويداsame، وأثارويدا Athor، وأخيراً على رجال الدين التي كانت مهمتهم إدارة شئون المعابد والآلهة، وسن القوانين، والإشراف على التعليم والتربية، وأداء جميع المراسيم الدينية، وأخيراً أطلق على الطائفة المفضلة لدى الهندوس.

- البيروني: مصدر سبق ذكره، ص56.

(*1) براهماَ(Brahama) : أو الهدايا التي يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم وبين أهليهم، وتشمل بيان أنواع القرابين وتفاصيلها ومواسمها ويمثل البراهما مرحلة أقرب إلى التحضير في التفكير الهندوسي حيث يمثل التوازن، وله أربع صفات هي الصدَّفة والأسطوانة، والدبوس واللوتس، وهو موجود في كل مكان من الأرض، وتنسب لبراهما عملية الخلق وذلك من خلال اتخاذه مع إئتمان الذي هو جوهر الوجود، كما جاء في أسفار على هذا المضمون فإن إتمان براهما ما هي إلا حقيقة واحدة هما أساس العقيدة بالوحدة المثالية.

- سليمان مظهر: قصة الديانات، ط1، القاهرة مكتبة مدبولي، 2002، ص82.

(* 2) الخراج : هو مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، كما يؤخذ عن الأرض التي ملكها المسلمون صلحاً الذي يجنى ويؤدى لأوقات معينة، والبعض يرى أنه يجب مرة واحدة في العام، وإن زرعت الأرض عدة مرات خلاله، وآخرون يرون أنه يجب بعدد مرات الزراعة، وقد ورد لفظ الخراج في القرآن الكريم في قوله تعالى(أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)(سورة المؤمنون ، الآية 72) كما ورد في قول الرسول ﷺ بمعنى الغلة في قوله :(منعت العراق قفيزها ودرهمها، ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر اسمها، وعدتم من حيث بدأت، كما ورد الخراج بمعنى الأتاوة بمعنى ما يخرجه القوم في السنة).

- الماوردي، علي بن حبيب البصري:الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفكر، مصر، ط1، 1983، ص 132.

- أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب، الاستخراج لأحكام الخراج، تصحيح السيد عبد الله الصديق، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص5.

[8] زيعوم، علي زيعوم، الفلسفة في الهند، ط1، عز الدين للطباعة، بيروت، 1483هـ / 1993م، ص 121.

ثالثاً: الكشتريا (*) "الجنود":

وهم طبقة الجنود والمحاربين، يعتقد أنهم خلقوا من زراع براهما، تدل أسماؤهم على الحرب والقوة والبأس، يقومون بهمَّة الدفاع، وحمل السلاح ويبقى الواحد منهم جندياً حتى في وقت السلم.(9)

رابعاً: الشودارا (*1) (الصناع):

هم المضهدين أصحاب المهن الحقيرة مثل الكنس والنظافة وتنظيف الجلود وهم الجنس الأسود، خلقوا من رِجْل الإله، وهم حسب النصوص المقدسة يخدمون الطبقات العليا ويطيعونها، وتفرض أقسى العقوبات على من حاول الخروج عن الطبقة، وإذ قاوم؛ صُبّ عليه الزيت الحار، أو يُدْخل له خنجر في فمه، لا يجوز لهم جمع المال، ولا الأكل في حضور الطبقة، ويطرد إذا خالف، ويفقد الامتيازات الخاصة بجماعته ويحرم من الاحتفالات الجنائزية التي تبقيه في وضعه الوراثي الطبقي. (10)

(*) الكشتريا : هم الذين خلقهم الإله من ذيله، وهم الزنوج الأصليين، ويشكلون طبقة المنبوذين، طباع الكشيرة أن يكون مهيباً في القلوب، شجاعاً متعظماً، زلق اللسان، سمح اليد، غير مبالي بالشدائد، حريصاً على تيسير الخطوب.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1409هـ / 1989م، ص417.

(9) الندوى: مرجع سبق ذكره، ص95.

(*1) الشودارا: هم الذين خلقهم الإله من فخذه، يزرعون ويتاجرون، ويجمعون المال، وينفقون على المعابد الدينية، وكل من هؤلاء إن ثبت على رسمه وإعادته نال الخير في إرادته .

- الموسوعة الميسرة: مصدر سبق ذكره، ص 534.

(10) الندوي : نفس المرجع، ص 56.

ب/ اللغات الهندية:-

بلغت اللغات في الهند نحو مائتان وأربعون (240) لغة، وثلاثمائة (300) لهجة بالإضافة إلى الفارسية القديمة [*] والفهلوية [*1] بسبب حياة القبلية [*2] المنتشرة بالهند. وأصل هذه اللغات أساساً وإن كَثُرَ عددها واختلفت ألوانها وأشكالها تنحدر من ثلاثة لغات قديمة رئيسية. [11]

1 **-اللغة السنسكرتية الآرية**[*3]:

هي التي يتكلم بها الآريون في موطنهم الأصلي، ثم أتو بها إلى الهند وألّفت منها جميع الكتب، وهي لغة الغزاة والفاتحين، وأوّل كتاب أُلِّفَ باللغة السنسكرتية كتاب آري، وأصبحت لغة السياسة والأدب والفكر والشعر والمؤلفات. [12]

---

[*] الفارسية القديمة، لغة آرية من مجموعة اللغات الهندية الأوربية وهي لغة رسمية للقصور والمجتمعات الراقية في الهندوستان، ولقد مرت بثلاثة مراحل، الأولى من 2000 إلى 400 ق.م، ودوّن الأخميتيون أخبارهم بها وكانت هي لغة الثقافة وكتب بها الأبستاق بخط يسمى (دين دبيرة)، والمرحلة الثانية مرحلة اللغة الفارسية وهي ما بين 400 ق.م – 800م، وتضم الفهلوية والإشكانية، والخوارزمية . المرحلة الثالثة وتبدأ 800م، وتستمر إلى عصرنا إذ نشأت الفارسية متأثرة بالعربية.

– ابن النديم : مصدر سبق ذكره، ص19.

[* 1] الفهلوية، وهي تنتسب إلى إقليم فهلة أو بهلة ويضم الري، همزان، أصفهان، نهاوند، وأذربيجان، وانبثقت عن الفارسية القديمة وتكلم بها الملوك في مجالسهم وأصبحت لغة الدولة الساسانية السائدة وتطورت إلى الفارسية الحديثة أو البهلوية الحديثة واللغة الثانية وهي لغة المجوس.

– ابن النديم، محمد : نفس المصدر، ص19.

[* 2] حياة القبلية: هي الحياة المنتشرة بالهند فقد كانت كل قبيلة تكاد تكون مستقلة تعزلها الجبال أو الغابات أو الأنهار عن القبائل الأخرى، ولها لغة خاصة بها، لا تتحدث بها سواها من القبائل أيضاً وتخضع لدستور صارم، يرتكز على العرف والتقاليد، ويحس الفرد فيه بانتمائه للقبيلة، والتزامه بتأييد مصالحها، ومسئوليات القبيلة كانت تلقى على عاتق سيدها الذي يتم اختياره بدقة.

– الندويمرجع سبق ذكره، تاريخ الإسلام في الهند، ص22.

[11] أحمد شلبي، مرجع سبق ذكره، أديان الهند الكبرى، ص 26.

(* 3) الآرية : يقسم علماء اللغة مرحل تطور اللغة الآرية إلى ثلاثة أطوار عبر عنها العالم الهندي هي الهندية الآرية القديمة و يقصد بها السنسكريتية و الطور الثاني الآرية الوسيطة و يقصد بها البركلات و أخيراً الهندية الآرية الجديدة حتى العصر الحاضر الجديد و يقصد بها البهاشا.

– سمير عبد الحميد إبراهيم ، الأدب العربي الإسلامي ، طباعة إدارة الثقافة و النشر الجامعية ، 1991م ، ص 63 .

[12] الندوي: نفس المرجع ، ص 269.

2: اللغة الكلاسيكية(البابلية):

هي نوع من اللهجات العامة يتكلم بها بعض الناس ويتفاهمون بها فيما بينهم، ولكنها لم تتخذ طابعاً رسمياً أدبياً، فقد كان بوذا[*] مضطراً لاستخدام إحدى هذه اللهجات العامية التي كان يتكلم بها سكان بلده، وهي اللغة البابلية "pale"، لأداء مهمة التبشير لأن الديانات لم تنتشر إلا بين عامة الشعب والطبقات الفقيرة وجماهير الناس، وانتشرت هذه اللهجة في شمال الهند ونالت إعجاب الناس في الأقطار الجنوبية. إلى سيلان، وأخيراً أصبحت لغة الدولة ولغة التبشير خاصة الديانة البوذية [*1] [13]

3- التأهلية الدواويدية:

ازدهرت منذ القرن الأول الميلادي، أو انتشرت اللهجات الدارجية في جنوب الهند بصورة واسعة ، الأمر الذي ساعد هذه اللهجات على أن تصبح لغات مستقلة منذ القرن العاشر الميلادي، ولكنها لا تستخدم في الكتابة بل إنما في التخاطب فقط وعلى أساسها قسمت الهند إلى ولايات. [14]

---

[*] بوذا: اختلف الباحثون حول عصره وتاريخ ميلاده ووفاته، ولكن وصلوا إلى أنه ولد عام 560 ق.م وتوفي في عام 480ق.م ولد في ولاية بهار بالقرب من الهملايا، هو من عائلة آرية من الطبقة الثانية، وكان والده ملك مغيراً وتربى على تعاليمه وشب عليها، وتزوج فتاة جميلة كانت بنت ملك مجاور له، وقد أصبح نقي الذات.

- عطار، أحمد عبد الغفور : الديانات والعقائد في مختلف العصور، ط 2، مكة المكرمة، 1981م، ص124.

[* 1] الديانة البوذية، نسبة إلى جوماتا بوذا (564 – 483 ق.م) وهي فلسفة وآداب وسلوك أكثر من ديانة، تميل إلى التجرد والزهد والألم، وانشقت عن الهندوسية، تجوَّل بوذا وتلاميذه بالوعظ والتعليم، وساعد على انتشارها دخول أحد الملوك فيها، ووصلت إلى تايلاند وأندونيسيا وفيتنام وكمبوديا والتبت، كما تأثر بوذا بزراديشت ولإتساع الدولة الفارسية وقربها من الهند وصلتها، وهي فلسفة وضعية وصفية انتحلت الصبغة الدينية فيها دعوة للتصوف.

- عطار : المرجع السابق ، ص 128.

- جوراني، جورج فضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة : يعقوب أبكر، مراجعة : يحي الخشاب، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1985م، ص 124.

[13] البيروني : مصدر سبق ذكره، ص 148.

[14] الموسوعة الميسرة : مرجع سبق ذكره ، ص584.

ت/ الديانات في شبه القارة الهندية :

[1] تعريف الأديان:

أولاً: الدين في اللغة:

وردت كلمة الدين بعدة معان فهي بمعنى الطاعة والذل والعادة والشأن والخضوع والمحاسبة والسلطان والحكم، وبمعنى الجزاء والمكافأة والدين يعني التدين، وهو غريزة طبيعية ثابتة، وشعور بالحاجة إلى الخالق المدبر، بغض النظر عن تفسير هذا الخالق المدبِّر، وقد وُجِدَ الدين بوجود الإنسان سواء كان مؤمناً بوجود الخالق أو كافراً به، وهذا الشعور الإنساني حتمي لأنه يخلق معه وهو جزء من تكوينه لا ينفصل عنه .[15]

ثانياً: الدين في الاصطلاح:

أما تعريف العلماء الاصطلاحي للدين فقد تعدد وتنوع منه التعريف المشهور بأن الدين وضع إلهي راسخ لذوي العقول السليمة باختيارهم الفلاح في الحال والفلاح في المال.[16]

كما صُنِّفَت الأديان إلى ديانات توحيدية وغير توحيدية وإلى ديانات موضوعة منها أديان الهند أدناه.

[2] الديانات المعتنقة في المنطقة:-

أولاً: الديانة الكونفوشية:

تُسمى في بعض المصادر الكونفوسية وهي أوّل ديانة ظهرت على أرض الهند والصين[*]

وتنسب إلى الكونفوشيون (551 – 479) ق.م ومن تعاليمها إبقاء التقاليد القديمة وإعطائها صبغة دستورية للإنسان الهندي في الحياة.[17] ومن عقائد الكنفوشية التي عارضت بين القوانين الجديدة

([15]) جاويش، عبد العزيز: الإسلام دين الفطرة والحرية، دار الهلال، بدون تاريخ نشر، ص20 ص54.

([16]) الشرقاوي ، محمد عبد الله: بحوث في مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م، ص15.

([*]) الصين، بلاد في المشرق واسعة، والجزء الشرقي منها سهول خصبة تجري فيها أنهار كثيرة، والجزء الغربي تلال جبلية أعلى جبال العالم. وصحاري فقيرة، الصين بلاد سكنها الإنسان منذ قديم، إذ وجدت بقايا بشرية ترجع إلى 400 ألف سنة، وقد عرف أهلها الصيد والزراعة، نشأت فيها سلالة سائغ وقبيلة تشو، وعرفوا الكتابة وأخذت الصين اسمها من مقاطعة شن (chin) التي جمعت البلاد في حكم واحد، وقيل أنها سميت على صين ولا تعارض عرفوا الصينيون عبادة قوة الطبيعة وظهر فيها كونفشيوس 551 – 478 ق. م، بني سور الصين العظيم في 210 ق. م، والصينيون هم بين الترك والهند وقصار وكانوا في اتصال بالعالم القديم وتأثروا بالأديان التي ظهرت.

- الحموي : مصدر سبق ذكره، ج2، ص 105.

([17]) عطار، أحمد : مرجع سبق ذكره، ص 181.

سواء كان في العقوبات أو الأخلاق، لأنها لم تخلق شعور الإحساس والمسئولية في الناس مجال التقاليد القديمة، هي التي تعذر على الإحساس والحياد ولهذا كانت دعوتها محافظة أكثر من أن تكون تجديدية. (18)

ثانيا : الديانة الجينية Jainism: (*)

تنتسب إلى مؤسسها مهافيرا (*1) (577 –527) ق.م ظهر أمام الناس لينشر دعوته، بلغ عمره الثانية والأربعين سنة، وأصبح صاحب رسالة جديدة في إطار الديانة الهندوكية(*2) وواصل نشر الدعوة بين الناس يتنقل من قرية إلى قرية، ثم من بلد إلى بلد حتى استطاع تشكيل جماعة لأنصاره وأتباعه. (19)

---

(18) الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 143.

(*) الجينية، نسبةً إلى مؤسسها مهافيرا، تؤمن بتعدد الآلهة وهي ثورة على النصوص الهندوسية، وهي وسط بين الهندوسية والبوذية أقرَّت مبدأين هما أكثر المبادئ شيوعاً في الهند، هما الزهد وترك الأذى . ترى الجينية أن الإنسان بالمجاهدة يستطيع الانتصار عن الشهوات.

– الأعظمي، محمد ضياء الرحمن : فصول في أديان الهند، الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها دار البخاري للنشر والتوزيع المدينة المنورة، ط1، 1997م، ص 163.

(*1) مهافيرا، ولد في عام 540 ق.م في بلدة وبسالا وهو من أصل الطبقة الآرية، أي من طبقات القوات والعساكر، وكان أبوه رئيساً كبيراً وزعيماً بارزاً في الطبقة الآرية الثانية، مارس العقيدة الكهنوتية التي أثبت اتصال الروح بالجسد على الدوام، ودوران انتقالها وفق مفروضاتٍ قررها لصالحهم، وتحقيق أهدافهم وقد أبطل مزاعم الكهنة في هذا الصدد قائلاً: [إن الروح ما دامت تكون محبوسة ومقيدة بأغلال الجسد وسلاسله لن تصبح في فسحة ولن تتحرر لتنطلق إلى آفاق غير محدودة ولن يسع سلطانها] ولقد اعتكف لمدة اثنتي عشرة سنة واعتزل الناس جميعاً ومارس الرياضيات حتى وصل إلى النتيجة التي تحرر الروح من قيود الجسد ودوران التناسخ .

– الندوي : مرجع سبق ذكره، ص 144.

(* 2) الهندوكية، تعرف بالهندوسية وهي أقدم أديان الهند، إذ يعود تاريخ ظهورها لعالم الوجود إلى 1000سنة ق.م أي: في أيام تقارب الأيام التي هاجر فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام من العراق إلى فلسطين. وديانة معظم شعوبها . تؤمن بتعدد الآلهة وهي منهج في الحياة أكثر من أنها شعائر وعقائد، يحرقون أمواتهم . كما قسَّمت المجتمع إلى طبقات أهمها البراهمة وهي فرق متعددة تطوَّرت في العصر الحديث.

– إحسان، حقي : الهندوس المقدس، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، بدون تاريخ، ص1.

– غربال : مرجع سبق ذكره، ص 906.

(19) الشهرستاني: أبو الفرج مجد بن يعقوب بن إسحاق الورَّاق، الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا بن زيد العابدين، ط1، طهران، 1971م، ص 257

وقد كانت الجينية وعقائدها كرد فعل عنيف عقب تناسخ الكهنوتية (*) التي ظهرت لإيجاد التفرقة العنصرية بين الناس، وامتصاص دماء الشعب المغلوب على أمره واستنزاف قواه ومواهبه لصالح أغراضهم الشخصية وتحقيق مآربها الفردية، وتوطيد سيطرتها على الناس أجمعين [20].

ولقد انقسمت الفرقة إلى قسمين بعد وفاة القديس واتخذ كل منها شعاراً، فقد اكتست الأولى بكساء أبيض، والثانية بكساء سماوي أي عاشت على الطبيعة واشتهرت الديانة الجديدة بالقيم والمبادئ الآتية:

فُرضت رياضيات وتدريبات جسمانية وروحية قاسية على أتباعها وأنصارها لخلو الروح والجسد حتى تسيطر على الرغبات والعواطف والشهوات واتبعت طريقاً للتأمل في الله. ألغت القوانين ومنعت أكل اللحوم لجميع الحيوانات شفقةً ورحمة بها. حرمت جميع أنواع المنكرات والفواحش مثل الكذب والسرقة والزنا، بل فضل التجرد على الحياة الزوجية وتحول دون الوصول إلى الغاية المنشودة. ومن لم يوافق بممارسة حياة القديسين والرهبان في هذه الديانة وسمح له بممارسة الحياة الزوجية فقط. خفضت الأدوات والاحتياجات التي يطلبها الإنسان في الحياة اليومية إلى أبسط المستوى.[21]

تطوَّرت هذه الديانة ولكن بمرور الزمن قد انخفض الحماس لها، حيث أصبح أنصارها وأتباعها العاديون لم يوافقوا بالحياة البسيطة عندما أصبحت من كبار ملاك الأرض والمصانع والشركات وهم يشكلون ربع سكان الهند في ولاية بومباي (*) لكن امتنعوا من أكل اللحوم وممارسة جميع المهن التي من شأنها تؤدي إلى تربية الحيوانات وبيعها وشرائها وذبحها وتنظيف جلودها. [22]

(*) الكهنوتية، زعموا أن الأصول ثلاثة النار، والأرض، والماء، وإنما حدثت الموجودات من غير الأصول دون الأصليين الذين أثبتها الثنوية قالوا: [أنَّ النّار بطبيعتها خيرة والماء ضدها بالطبع فما من كان من خير لهذا العالم فمن النار، وما كان من شر من الماء والأرض وهؤلاء يتعصبون إلى النار].

- الندوى : مرجع سبق ذكره، ص 144.

(20) الشهرستاني: مصدر سبق ذكره ، ص 245.

(21) الشهرستاني : نفس المصدر، ص 257.

(*) بومباي: هي ثاني المدن الهندية من حيث المسافة بعد كلكتا، ومدينة تجارية وصناعية كبرى، وهي غزيرة الأمطار تحيط بها الخضرة في كل جانب..

- الندوى : مرجع سبق ذكره ، ص8.

(22) ديورانت، ول،: قصة الحضارة، ترجمة إبراهيم أمين الشورابي، القاهرة، 1964، ص5.

من هنا يمكن القول أن هذه الديانة قد أثرت في الهندوس وأعطت الهندوكية الأولوية للأبقار دون غيرها.

ثالثا: الديانة البوذية :-

ظهرت في الهند بعد الديانة الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير تنتمي إلى بوذا [*1] الذي ترك حياة الترف والبذخ وأحس بمشكلات الناس ومتاعبهم وخاصة طبقة الفقراء والبؤساء، وترك كل شيء في قصره وتوجه إلى غابة في الهملايا واتخذ مكاناً فيها للتأمل والتفكير في البحث على النور وضياءً يهدي به، وذلك لإذهاب آلام الناس وأحزانهم، وبعد ست سنوات انشرح قلبه ولاحت له أضواء كاشفة فخرج على ضوئها إلى عاصمته لنشر دعوته ومبادئه. [23]

وكان من مبادئ البوذية ودعوتها نفي الذات والإنابة كما وصل من خلال تجاربه إلى أن الآلام والأحزان والمشكلات التي يعانيها كل فرد في الحياة ترجع لزحمة الآمال والأماني والرغبات والشهوات التي تراود الإنسان، وفيما يفشل في تحقيق الغايات بألم ويحزن ويعاني نوع من المشاكل والإرهاق النفسي والجسدي ولذا ينبغي له ممارسة الضغط على هذه الأماني حتى يعيش سعيداً في حياته. [24]

[* 1] بوذا: ولد في عام 560 ق.م، وتوفي 480 ق.م في ولاية بهار بالقرب من الهملايا وهي المدينة المقدسة للهندوس، وينتمي إلى عائلة آرية من الطبقة الثانية، وهي جماعة القوات والعساكر وكان والده ملك في تلك المنطقة ولد في بيت ترف ونعيم وتزوج ابنة ملك مجاور له في العشرين من عمره.

- القلقشندي:

- ملحق رقم (3)

([23]) الشهرستاني: مصدر سبق ذكره، ص 143.

([24]) غربال : مرجع سبق ذكره، ج2، ص 72.

ومن مواعظ بوزا أن سر كل الأمراض، الولادة داء، والعجز والشيخوخة داء، والمرض داء،والموت داء،وسر تلك الأمراض تلك الرغبات والشهوات التي تحمل على التناسخ (*) وظهورها من جديد يعد فناء هذه الجسور، ولكن علاجها منع جميع الرغبات والآمال والأماني والتخلص منها نهائياً وإنكار الذات مطلقاً وتتمثل في الآتي، اتجاهات صادقة سليمة، ورغبات صادقة وكلام صادق، ثم سلوك طيب ومعيشة طيبة وجهود مخلصة وتفكير سليم وهذه الأمور جوهر الديانة البوذية.[25]

ولكن اعتبر بوذا أن عقيدة التناسخ هي أم الخبائث وأساس المشكلات والآلام، ولذلك حاربها بكل الوسائل في تعاليمه واستهدف توفير السعادة لجميع الناس كما دعت تعاليمه للضرب بجميع أنواع الطقوس والقوانين عرض الحائط والاكتفاء بالتجارب العلمية لتنقية الروح وتهذيب النفس وتربية الأخلاق الفاضلة والتدريب على السلوك الممتاز. [26]

كما تضمنت عنده المبادئ السامية للناحية الأخلاقية، والوفاء والإخلاص في الحياة الزوجية، وإباحة أكل اللحوم للعيش والغذاء، وتحريم المسكرات والمخدرات، وتحريم القمار وعدم الطواف في الشوارع بدون ضرورة، وعدم ممارسة حياة الكسل والبطالة، وعدم مصاحبة الأشرار وملازمتهم، كما يؤمن ويعتقد ما بعد الموت. [27]

(*) التناسخ هو الاعتقاد أن الإنسان إذا مات علّق روحه في بدن مخلوق آخر وإن كان صالحاً تنعم أو تعبر إلى عالم الإخلاص والراحة وهو ما يسمى بالترفانا وإن كانت فاسدة ستظل تتردد في أبدان المخلوقات تبعاً لعملهم وهو ما يسمى بالكرامة فإن هو كان قتل فار دخلت روحه بعد موته بدن فأراً عقاباً له وإن قطع سنبلة تحول بعده إلى سنبلة وهكذا سلسلة من الحيوانات تسمي سام سارة والسلامة من دوامة هذا التناسخ هو الكف عن الأذى لجميع المخلوقات حتى لاح عليه العقاب بالتناسخ .، التناسخ من عقائد عموم الهند التي انتشرت في خارج الهند .

– البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد : الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون،ص270.

(25) الندوي ، مرجع سبق ذكره ، ص 248.

(26) البيروني : مصدر سبق ذكره، ص 228.

(27) زيعوم : مرجع سبق ذكره، ص 246.

رابعاً:الديانة الهندوسية (الهندوكية):-

هي أقدم أديان الهند. معظم شعبها يؤمن بتعدد الآلهة، وهي منهج في الحياة أكثر من هي شعائر وعقائد، كما تؤمن بالوثنية والبهائية والتقمص والتناسخ وإثبات الذات والإلحاد، ومتجاوبة مع جميع الأفكار. [28]

والدين الهندوكي مثل ديانات العالم الأخرى، ما عدا الإسلام، دين معقد ولا يستطاع تعريفه بكلمات ولا بصفحات، حتى أن الهنادكة أنفسهم لا يستطيعون ذلك، وقد جرى بحث في الهند في مطلع القرن الثامن قبل الميلاد بين الهنادكة أنفسهم لوضع تعريف للديانة الهند ويجدوا إلا تعريفاً سلبياً هو أن كل من سكن الهند وليس من أهل الاديان الأربعة الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية ويخدم البقر فهو هندوكي. [29].

وكانت الهندوكية مخزناً هائلاً لجميع العقائد والاتجاهات والتجارب، وسر استمرار الديانة الهندوكية وخلودها واستمرارها كانت لمرونتها وسماحتها في كل العصور وتجاوبها مع كل الأفكار وخاصة عندما ظهرت البوذية كرد فعل ضدها استطاعت الاقتراب منها، وأخذ أحسن ما لديها ثم التأثير فيها وهو السبب في عدم القضاء عليها. [30]

قُسِّمَ المجتمع الهندي إلى طبقات كما ذكرنا آنفاً وأخيراً واجهت الهندوكية الإسلام منذ الفتح الإسلامي، واقتربت منه، وانساقت إلى التصوف الإسلامي وتفاعلت معه، والصوفية هم الذين لعبوا دوراً بارزاً في نشر الإسلام ومبادئه في أنحاء الهند ولهذا كان التصوف عاملاً أساسياً في ظهور الإسلام وانتشاره في الهند [31] وتتسم عقائد الهندوسية بسمات عدة ومن أبرز ملامحها وأشكالها وقوانينها:-

- الكارما: هو قانون الجزاء وهو ما يعنى أنه ليس في الكون مكان ولا جبال ولا سماوات ولا بحار، ولا جنان، يفر إليها المرء من أجزاء أعماله . جميلة كانت أو سيئة والكارما تمثل معنى العدل الإلهي. [32]

([28]) جامعة الدول العربية، مرجع سبق ذكره، ج2، ص 72.

- شلبي : مرجع سبق ذكره، ج2، أديان الهند الكبرى، ص 59.

([29]) الندوى: مرجع سبق ذكره، ص 248.

([30]) أحمد شلبي : مرجع سبق ذكره، ص 39.

([31]) الندوى : نفس المرجع، ص 248.

([32]) أحمد شلبي ، مرجع السابق، ص60.

– تناسخ الأرواح: رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر، وهي تعني خلود الروح وفناء الجسد المادي. [33]

– الانطلاق: هو الامتزاج ببرهما، كما تندمج قطرة من الماء بالمحيط العظيم، وهدف الحياة الأسمى هو الانطلاق. [34]

– وحدة الوجود: يرى الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة وأينما يتجه وجهه يرى وجه الله، الحي الذي لا يموت والرب الذي به يقوم كل شيء، فقد كان الناس يؤمنون بأن في العالم قوة عظيمة يلزم التقرب لها بالعبادة والقرابين. [35]

([33]) المرجع السابق، ص56.

([34]) نفس المرجع السابق ، ص87.

([35]) الندوى : المرجع السابق ، ص 247.

– النمر: مرجع سبق ذكره، ص26.

ث/ الحالة الاجتماعية والسياسية:

(1) الحالة الاجتماعية:

كان المجتمع الهندوسي، يقوم على فكرة الطبقات التي قامت عليها الحياة الاجتماعية في الفيدا[*]، وهذا التقسيم جاء من طبقة توزيع الأعمال على الناس بالطقوس الدينية، بينما يقوم الآخرين بالحروب.[36]

وقد كانت حالتهم الاجتماعية بسيطة، وكانوا يمارسون بعض الطقوس في كل بيت وقرية، وكان الكهنة والملوك يذهبون إلى الآلهة ولا تتم الصلوات دون هذه الطقوس وينقسم المجتمع عندهم إلى طبقات منها البراهمة وهم رجال الدين ومهمتهم إدارة شؤون المعابد والآلهة، وسن القوانين والإشراف على التعليم والتربية، وإصدار جميع المراسيم الدينية وطقوسها في المعابد وخارجها.[37]

أولاً : الزواج

يكون الزواج عندهم على صغر سن ولذلك يعقده الأبوان لأبنائهم ويقوم الأبوان بتوزيع الصدقات وتظهر آلات الفرح ولا يكون بينهم مهر، وإنما تقوم فيه للمرأة صلة لحسب الهمَّة ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت إذ لا طلاق لهم، ويحق للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع، وما فوق ذلك محرم عليه إلا أن تموت إحداهن من تحت يده ومن ثم يتم العدد بغيرها ولا يتجاوز ذلك، أمَّا المرأة، إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج وهي بين أحد أمرين أما أن تبقى أرملة طول حياتها وأما أن تحرق نفسها وهو أفضل لأنها تبقى في عذاب مدة عمرها، والقانون عندهم أن الأجانب أفضل من الأقارب وعندهم الزواج على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم منذ الطفولة نظراً إلى أن الزوجين لا يمكنهما تجاوز حدود طبقاتهم على أي حال من الأحوال لأن ذلك قدرهم في هذه الحياة.[38]

(*) الفيدا :هي واحد من كتب الهند الأربعة راكفيدا وسام وهما يشتملان علي مجموعه من الأناشيد التي كانوا ينشدونها في تقديم القرابين للإلهة وبكرفيدا تشتمل علي الصلوات والأدعية شعرا ونثرا وانهرفيدا يصفي عقائد الجمهور في الأرواح الشريرة

–النمر :مرجع سبق ذكره، ص 26.

– ملحق رقم (4).

(36) النمر: المرجع السابق ، ص22.

(37) زيعوم: مرجع سبق ذكره، ص 77.

(38) البيروني : مصدر سبق ذكره، ص98.

– الندوى: مرجع سبق ذكره، ص 163

ثانياً: الموت:

كانت أجساد الموتى في الأزمنة الأولى ترفع إلى السماء بأن تلقى في الصحاري مكشوفة ولكن بعد ما جاء من يتولى وضع السنن وأمرهم بدفعها إلى الريح ولكن في الآونة الأخيرة أخذوا يحرقونها فلا يبقى منها شيء من عفونة أو رائحة حتى يتلاشى بسرعة ولا يكاد يذكر، حق الميت عندهم أن تغسل جسده وتعطره وتكفنه ثم تحرقه بما أمكن من الصندل أو الحطب، وتحمل بعض عظامه المحترقة وتلقى في النهر حتى تنقذهم من جهنم وتوصلهم إلى الجنَّة "في اعتقادهم" والرماد يُطرح في بعض الأودية.(39)

ثالثاً: الرقص:

أدخل الرقص في صميم الدين الآري منذ أقدم العصور وأصبح عنصراً هام في الطقوس التي كانت تقوم بين يدي الآلهة تقرباً لها وتبجيلاً كما الموسيقى والغناء من صميم الدين وطقوسه منذ عصر الفيدا.(40)

[2] الحالة السياسية :

اتسم الهندوس بالبداوة والقسوة وشدة البأس، وانقسموا إلى جماعات وكتل . وانتشروا في القرى واختاروا في كل قرية زعيماً يسمى راجا حتى أمَّنت السلطة السياسية الهندية البلاد وأحدثت الاستقرار والسلام والأمن الاقتصادي والاجتماعي والنفسي وسنَّت القوانين والنظم والأحكام والعقوبات وكان الملك يوازي في مصطلحنا الحديث النظام الإقطاعي(*) الذي لم
يظهر في الهند في تلك الآونة وكان الملك يتزعم قبيلته بالوراثة. (41)

---

(39) نفس المرجع السابق، ص 167.

(40) نفس المرجع السابق، ص167.

- ملحق رقم (5).

(*) النظام الإقطاعي: نظام اقتصادي قديم متعدد الأشكال عرفته الدولة الفرعونية من قبل (2000 ق.م) ساد الدولتين الفارسيتين، وهو الذي أدى للتقسيم الطبقي الإجتماعي وشكله العام، ملكية الأرض ترجع إلى الملك هو الذي يعطيها، في مقابل خدمات وأموال، إلى الإقطاعيين وهم الأشراف والنبلاء وهم بدورهم يمنحونها إلى المزارعين مباشرةً مقابل خدمات لهم وأموال محاصيل الزراعة.

- غربال : مرجع سبق ذكره، ج1، ص155.

(41) البيروني : مرجع سبق ذكره، ص 190

كما نجد في النظام القروي المتبع عندهم قد تتمتع كل قرية بمجلس قروي منتخب ودرجت هذه المجالس على منح أفراد الشعب حرية التعبير والمناقشة الظاهرة، وكانت لا تبت في الشؤون السياسية فحسب بل في الشئون الدينية والاجتماعية وبسبب ازدهار القرى والأرياف دبَّت فيها الروح والثقافة الفكرية وتقدمت إلى أقصى الحدود، وظهر فيها مفكرون وأدباء ونبلاء بكثرة وكانوا ينتقلون من قرية إلى قرية ينشرون مبادئهم وأفكارهم وكان هؤلاء أكبر باعث على نشر العلم والوعي الثقافي بحيث تتلاشي الفروق الموجودة فيها، لأن النظام القروي لم يعرف الوحدة القومية ولم تكن لهم عاصمة ولذلك اضطروا إلى ممارسة حياة التجول لنشر مبادئهم. [42]

وكان الملك بوذا مسالماً وكان نادراً ما يلجأ للحرب، فالدم البشري عندهم أغلى من أي شيء، وفي هذا الصدد جاء في تعاليم بوذا: (الدم الذي سيسفك لا يوازي قيمة شيء أغلى من قيمة الإنسان، السلام خير عميم، لا تهدر الدماء هدراً) كذلك عندهم، العدل من أسس النظام السياسي واجباً ضرورياً للشعب بل وللحكام بشكل خاص بالرغبة المقهورة تتحول إلى جائع لا يُشبعه إلا لحم أعدائه.[43]

ويوجد نظام آخر في ظل الحياة المدنية وأصبح النظام تمدنياً ثالوثياً. بفرض سلطة الملوك وهم –خلفاء الله في الأرض– والكهنة ونواب الملوك من الحكام والموظفين الكبار على جميع الناس ولكن في القرى والمناطق الصحراوية حيث يسكن الأعراب والبدويون فلا يمكن تطبيق هذا النظام. وقد إمتازت الحياة القروية عندهم بطابع (ديمقراطي) فقد منح الشعب الديمقراطية على الرغم من وجود نظام وراثي لتولي زعامة القبيلة حرية تامة للتعبير عن إرادته بواسطة الجمعيات المنتخبة ودونت مثل هذه المنظمات في كتبهم المقدسة مثال الفيدا كما تمتعت بسلطات عزل الملوك أو إعادة الملوك والمعزولين ولكن فقدت المنظمات نفوذها بعد قيام الإمبراطوريات. [44]

مما سبق نجد موقع شبه القارة الهندية الجغرافي والفلكي المتميز ساعد علي إختلاف الأجناس والقبائل والطبقات، وهذا التنوع أدي لإختلاف الديانات والعقائد بالمنطقة وأبرزها الكنفوشية والبوذية وغيرها، كما أدي الإمتداد الجغرافي إلى تنوع البيئات مما ساعد علي إختلاف النشاطات

([42]) الندوى : مرجع سبق ذكره، ص 67.

([43]) البيروني : مصدر سبق ذكره، ص 190.

([44]) البيروني : المصدر السابق ، ص 195.

الإقتصادية التي تمثلت في الزراعة وتنوع منتجاتها وازدهرت التجارة في شبه القارة الهندية. وكثرة عدد السكان بالمنطقة أدي الإجتماعية وتعدد اللغات ومن نمازج الطبقات الشودرا والكشتريا ومن اللغات السنكرتية والأرادية وغيرها.

كما تمثل الحالة الاجتماعية كثير من الفوارق الطبقية التي أدت إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات مختلفة .

أما الحالة السياسية فقد اتسم الهنود بالبداوية والقسوة وشدة البأس ولكل قرية مجلس قروي يدير شئون القرية المتمثلة في العادات الاجتماعية من أفراح وأتراح. وعليه يمكن القول أن الشؤون السياسية تتبلور في الأمور الاجتماعية والتي لا تخرج عن ما ذكر سابقاً، كما نجد بعض الجوانب السياسية المتمثلة في بناء العلاقات بين القرى.

الفصل الأول

العلاقات التجارية لشبه القارة الهندية

أ/ الطـرق التجاريـــة:

تُعد التجارة من اشرف المهن التي يمتهنها الإنسان، لتميزها عن غيرها من المهن بكثير من المميزات وعلى سبيل المثال نجدها تعمل على تسهيل تبادل المنافع والمصالح فيما بينهم، كما أنها تعود على الفرد بأرباح جيدة، هذا إضافة للمنافع الأخرى. وعرفت التجارة منذ عصور قديمة كوسيلة لتبادل المنافع والمصالح بين الناس، كما أنها تمثل صلة الوصل بين الشعوب في الحرب والسلم. (45)

ويشير تاريخ الملاحة العربية إلي أن الحميريين (*) جابوا البحار المحيطة بشبة الجزيرة الهندية منذ القرن الأول الميلادي بما في ذلك المحيط الهندي (*1) والساحل الشرقي الأفريقي وهذا يؤكد وجود صلات تجارية مبكرة بين سواحل شبه الجزيرة العربية (*2) وبلدان الشرق الأقصى سبقت ظهور الإسلام. (46)

ولما فتح العرب الرقعة الواسعة الممتدة من أواسط آسيا إلي شمال اسبانيا، وأقاموا فيها دولتهم كانت التجارة قد عرفها العالم لمدة لا تقل عن أربعين قرناً، ولذلك فقد كانت أكثر الطرق معروفة وأكثر السبل مطروقة كما كانت السلع المتنوعة تنقل من مصادرها الأصلية إلي الأسواق التي تتطلبها عبر الطرق البرية والبحرية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. (47)

1- طرق شبة القارة الهندية البرية:

تعددت الطرق التجارية ووسائل النقل لشبه القارة الهندية، وذلك لتيسير التنقل التجاري بين الدول التي تتبادل معها التجارة. وعلي سبيل المثال يمكن ذكر الطرق الآتية:

---

(45) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ج1، ط2، 1408 / 1988م، دار الفكر، بيروت ، ص 346.

(*) الحِميريين سميت بذلك لأن زعيمها حمير كان يلبس رداءاً أحمراً واسمه العرنج وهي قبيلة من قبائل مملكة قتبان اليمنية، ذكرهم اليونان بأنهم شعب كثير العدد وعلى صلات حسنة بالإمبراطورية الرومانية وعاصمتهم تسمى نسفار ظفار اليوم باليمن بريم وموطنهم مدينة ظفار يريم في محافظة إب حالياً وقد سماهم السبئيون "ذو ريدان" أي حصن، وأول ظهور لهم في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

– جواد ، علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، بدون مكان طبع وتاريخ نشر، ص7.

(*1) المحيط الهندي: ثالث محيطات العالم مساحة يمتد من الهند إلي المنطقة المتجمدة الجنوبية ومن شرق أفريقيا إلي جزيرة تسمانيا ينبسط حوالي 436 كيلو متر بمحاذاة خط الاستواء تجلب رياحه الموسمية الأمطار لجنوب شرق آسيا، يتميز الجزء الشمالي منه بحركة السفن الملاحة.

–غربال : مرجع سبق ذكره، ص166.

(*2) جزيرة العرب: هي وحدة جغرافية تقع أقصى جنوب غرب قارة آسيا بين خطي عرض 12 و32 درجة شمالاً و30–12 جنوباً، يحدها شمالاً بادية الشام وجنوباً المحيط الهندي وشرقاً الخليج العربي وبحر عمان، وغرباً البحر الأحمر، والمياه تحيط بها من ثلاثة، مساحتها أكثر من مليون ميل مربع، يسكنها العرب، يعمل سكانها بالتجارة، والرعي، وتتميز بالمناخ الصحراوي وشبه الصحراوي.

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص39.
- ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 250.

(46) روميث ، ميث: مجلة الفكر السياسي، ندوة العلاقات الثقافية الصينية العربية،أغسطس1991م، ص15.

(47) نقولا، زيادة: صانعوا الحضارة العربية الإسلامية " التاجر " مجلة العربي، دار الآثار الإسلامية، العدد 513 جمادي الأول 1422م، أغسطس 2001م، ص50.

أولاً: طريق الحرير:(*)

فُتح هذا الطريق على يد الصينيين في القرن الأول قبل الميلاد، ويبدأ من تشانقان(*1) إلي أقصي أوروبا(*2) مروراً بكثير من المدن الهامة مثل:

بغداد (*)، ودمشق(*1) وبيروت (*2) ويتكون من أربعة خطوط ثلاثة برية وواحد بحري وهي:(48)

(*) طريق الحرير: يرجع الاسم إلي السلع المتبادلة عن طريق الحرير وهي كثيرة مثل: الأحجار الكريمة والحرير والأواني الخزفية، ربط الطريق الصين بالغرب في العصور القديمة وكان ممراً للتبادلات التجارية كما حمل أسماء عديدة ممثل طريق البشم، وطريق الأحجار القديمة وطريق البوذية وطريق الفخار والخزف وكان كل اسم يخص طريق الحرير، وفي عام 1877م أطلق عليه العالم الجغرافي الألماني فردنيا فون طريق الحرير لأول مرة، ثم اعترف العالم بهذا الاسم واستخدمه حتى الآن، وجاء ذكر الحرير في سورة فاطر: الآية 3 يرجع تاريخ الحرير إلى أكثر من ألف سنة ويمتد طوله إلي أكثر من سبعة ألف كيلو متر، وقد ربط الهند بالصين والإمبراطورية الفارسية والدول العربية واليونان القدماء وروما القديمة.

– المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج3 , تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر بيروت، ط1 , 1965م . ص165

(*1) تشانقان:– عاصمة أسر تانق الملكية، وهي شيان حالياً، العاصمة القديمة للإمبراطورية الصينية، تقع على سهل ألواي Alaway . وهي مدينة مشهورة فيها العديد من المعالم والمواقع الأثرية، وهي مشهورة بصناعة القطن.

– جودة، حسن جودة: مصدر سبق كره، ص 118 . (يكتب كاملا)

(*2) أوروبا: إحدى القارات الخمسة وأصغرها مساحة وأكثرها كثافة سكانية تقع في نصف الكرة الشمالي،غربي آسيا وشمال سهول روسيا وألمانيا، بجنوب سلاسل جبلية أهمها جبل القوقاز والبلغان، وأهم بحيراتها لاتوغا .

– طه ،ابو الدهب: مصدر سبق ذكره، ص 200

(*) بغداد: عاصمة العراق وتقع في جانبي نهر دجلة وتسمي الضفة اليمني الكرم واليسري الرصافة وتبلغ مساحتها 40 كلم، تتمتع بمركز مالي هام وهي مركز تجاري هام وثقافي واشهر منتجاتها الحرير وهي مركز للمواصلات والصناعات ومن أسمائها مدينة المنصورة ومدينة الخلفاء والمنصورة ومدينة السلام والزوراء وهي أم الدنيا وسيدة البلاد، وكانت سوقاً يقصده تجار أهل الصين.

الحموي : مصدر سبق ذكره، ج 1، ص 427.

(*1) دمشق: بلدة مشهورة في الشام وصفت بأنها جنة الأرض لحسن عمرانها ونضارتها وكثرة مياهها قيل انه بناها غلام لإبراهيم (عليه السلام)، وهو حبشي وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج سيدنا إبراهيم من النار وكان الغلام يسمي دمشق فسميت باسمة فتحها المسلمون عام 14هـ/ 635م في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)ثم اتخذها بنو أُمية عاصمة لهم.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص 463 – 465.

(*2) بيروت: سماها الفينيقيون" بيريت وهي كلمة فينيقية تعني الآبار .وقيل انها كانت تدعى "بيريتيس" أو" بيروتوس" أو" بيرُووَه "نسبة للإلهة "بيروت"، أعز آلهة لبنان وعُرفت المدينة باسم" بيريتوس "باليونانية القديمة، تقع وسط الخط الساحلي اللبناني شرقي البحر الأبيض المتوسط. حالياً عاصمة لبنان.

– الطريق البري الذي سلكه تشانغ تشيا ويبدأ من مدينة تشانغان ويعبر ممر خشبي ومنطقة تشينجانغ (*3) ويصل إلي آسيا الوسطي وآسيا الغربية حتى أوربا وهو متعرج.
– الخط البري من جنوب غربي الصين في الأزمنة القديمة يبدأ من مدينة شنغدو(*4)
ويمر بمقاطعة يونان وميليبار(*) وباكستان (*1) ويصل إلي آسيا الوسطي، وكانت البغال أداة النقل الرئيسية عليه. وفي هذا السياق نجد أن هذا الخط ساهم مساهمة فاعلة في ربط شرق آسيا مع الهند.(49)
– طريق مروج شمالي الصين الذي يتكون من خطين هما:
- الطريق الذي يبدأ من هضبة سيبريا شرقاً ويعبر هضبة منقوليا(*2)، وبحر أرال(*3) وبحر قزوين (*4) والبحر الأسود ويصل إلي شرق أوربا. (50)

– أبو مصلح: تاريخ الدروز في بيروت وعلاقتهم بطوائفها، ط3، الفنون للطباعة والنشر، 2006، ص113.

(48) المسعودي: مصدر سبق ذكره، ص 132.

(*3) تشانغ تشيا: 164 – 114 ق . م أول مبعوث صيني لاسرة هان الغربية 206 ق م – 24م إلي آسيا الوسطي وهو الذي فتح طريق الحرير رسمياً.

– جودة: مرجع سبق ذكره، ص 117.

(*4) شنغدو: مدينة اقتصادية كبيرة في جنوب الصين.

– ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله: المسالك والممالك ، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ نشر، ص189.

(*)ملابار:هي بلاد ساحلية شاسعة تقع في الجانب الشرقي لشبه الجزيرة الهندية.مشهورة ببلاد الفلفل,ارتبطت هذه المنطقة ارتباطاً وثيقاً ببلاد العرب منذ أقدم العصور بفضل موانيها ومن أهمهما ميناء سيمور .

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص 440.

(*1) باكستان:– جمهورية مساحتها 6881 و944 كلم مربع وسكانها 000و112و93 نسمة، تتألف من وحدتين جغرافيتين باكستان الشرقية والغربية تقع الشرقية شمال الهند والغربية في الناحية الشمالية الغربية تطل علي بحر العرب، من ولاياتها البنجاف والسند وبلومتان وهي غنية بالمعادن والبترول والفحم الحجري ويعتمدون علي زراعة القمح، القطن.

–غربال : مرجع سبق ذكره ، ص314.

(49) شوقي،عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، دار صادر، القاهر،1990م،ص 125.

(*2)هضبة منغوليا هي جزءًا من هضبة آسيا الوسطى التي تُعتبر أكبر حجمًا، وتبلغ مساحتها 2,600,000 كيلو متر مربع تقريبًا. وتحتلها كل من منغوليا من ناحية الشمال، ومنغوليا الداخلية وهي منطقة ذاتية الحكم في الصين من ناحية الجنوب. وتشمل الهضبة صحراء جوبي بالإضافة إلى مناطق سهلية جافة. ويبلغ ارتفاعها من حوالي 900 إلى 1500م.

– الحموي: المصدر السابق ، ج3، ص 254.

(*3) بحر آرال:هو بحر داخلي يقع في آسيا الوسطى بين أوزبكستان شمالا وكازاخستان جنوبا ويحتل أخفض أجزاء حوض طوران الواسع، عرفه جغرافيو العرب ببحر خوارزم وأطلق عليه الروس في القرن السابع عشر اسم البحر الأزرق.كانت مساحته

- الخط الجنوبي : يبدأ من ليوهاي (*) ويسير من السفح الشمالي لجبال تيانشان (*1) ويصل إلي آسيا الوسطي وغربي آسيا وشرقي أوروبا ويطلق عليه البعض طريق الشاي (51).

ثانياً: طريق البخور:

هو طريق تجاري للقوافل قديماً ومعبر دولي بين الشرق والغرب وكانت البواخر العائدة من طريق البخور محملة بالبخور والتوابل ومنتجات الشرق إلي أوربا وهو طريق بري يربط الصين ببلدان الشرق الأوسط(*2) والشرق الأدنى(*3) وبلدان أوربا وكانت مدن سواحل الصين الجنوبية الشرقية مدناً تجارية كمدينة كانتون.(*4)

تغطي68,000 كم.2 أقصى عمق فيه 68 م ويبلغ طوله من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي 428 كم وعرضه الموازي لخط العرض الشمالي 45 درجة يبلغ 284 كم. ويعد رابع أكبر بحر في العالم تفصله هضبة أوست أورت وتتصل به صحاري قيزيل قوم وقره قوم الرملية.

- الحموي: المصدر السابق،ج1، ص 458.

(* 4)بحر قزوين: بحر داخل بين إيران وتركمستان، عرف قديماً ببحر الخزر، تمكنت روسيا من السيطرة عليه عام 13هـ/1724م.

- أبو الدهب: مرجع سبق ذكره، ص 125.

(50) شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 126.

(*) ليوهاي: مدينة اقتصادية في جنوب الصين .

- ابن خرداذبة: مصدر سبق ذكره ، ص 190

(*1) تيشان: مدينة اقتصادية في جنوب الصين .

- ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص 190

(51) الندوي، مرجع سبق ذكره، ص 46.

(*2) الشرق الأوسط:- هو المنطقة التي تضم اليوم بلاد تركيا وإيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر والسودان، لا يعلم متي بدأ إطلاق هذا الاسم الشرق الأوسط .ويردد أهل السياسة هذه التسمية ناظرين إلي تلك البلاد التي تجمع نشأتها خطط منسقة كوحدة تطبق عليها أغراضها السياسية والاجتماعية والعسكرية، الشرق الأوسط يمتاز بموقع مميز وهو موطن العروبة والإسلام وهو يتوسط القارات آسيا وأفريقيا وأوروبا.

-غربال: مرجع سبق ذكره ، ص 177.

(*3) الشرق الأدني: يضم منطقة الأناضول، تركيا الحالية ،والهلال الخصيب الذي يقسم بدوره إلى بلاد الشام وتقسم إلى لأردن وسوريا ولبنان وفلسطين، وبلاد ما بين النهرين وهي العراق وشرق سوريا حالياً، ومصر وهو مصطلح يستخدمه علماء الآثار والجغرافيون والتاريخيون.

- غربال: المرجع السابق ، ج1، ص 154.

(* 4) كانتون: مدينة عظيمة تقع على نهر خمدان في الجانب الشرقي من الصين، ويعتبر اكبر مواني الصين منذ أمد بعيدٍ، وتدعى قوانفنز وهي مركز تجاري له علاقات تجارية مع الهند والعالم الإسلامي

- B.Schrlare: Indonesian sociological . Vol2 . The Hugue Bumeling . 1952. p.12

- المسعودي: مصدر سبق ذكره، ص 138.

ومدينة الزيتون(*). ومدناً تجارية هامة واستعملت وسائل النقل المختلفة في سبيل انتقال التجارة إلي الداخل والخارج، وكانت تحمل السلع عليها باستخدام الحيوانات المختلفة مثل الحمير والبغال والجمال واللاما في الأطراف الشرقية النائية . ومن أهم وسائل النقل العربات ذات العجلات وكانت تصنع العجلات من ثلاثة ألواح خشبية صلبة شبيهة بما وجد في أرض الرافدين(*1) وعيلم (*2) وهذا النوع لا يزال موجوداً في الهند.(52) بوضع محور وسط الأخشاب لمساعدة العربة علي السرعة وتنقسم العربات إلي ثلاثة عربات ذات عجلتين: توجد اليوم في الهند ويسوقها الثور. **و**عربات صغيرة ذات عجلتين وتسمي الأكا Ekke وتسوقها الخيول. والمركبة ذات العجلات الأربعة: وهي شبيهه بمركبة أرض الرافدين وتوجد بها حاجبة بين العجلات للوقاية (53)

2/ الطرق البحريـة:-

أولاً: الطريق البحري المار عبر الخليج العربي إلي الهند مروراً بالجزر الأندونسية.(*3) والماليزية إلي ميناء كانتون. (54)

ثانياً: الطريق البحري من سيراف (*) إلى ميناء خانقو كانتون ولكن المبحر من سيراف لابد له من

– الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الاقطار،تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان ،بيروت ،1984، ص 211.

(*) الزيتون: هي اسم كان يطلق على ميناء تسيتون، وكان يطلق عليه التجار الزيتون نسبة لأشجار الزيتون، تقع عند مصب نهر جنجيانج، يحكم موقعها الاستراتيجي جعل منها ميناءاً طبيعياً ممتازا .

– ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة المسمى تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص 486.

(*1) أرض الرافدين: أرضها سهلية رسوبية تكثر فيها القنوات والسدود والبحيرات منها منخفض الترثار ويحدها من الشمال خور الحمار ومن الغرب جبل سنجار ومن الشرق بادية الشام . والرافدين هما نهري دجلة والفرات، ونهر دجلة ينبع من جبال طوروس بتركيا ونهر الفرات ينبع من جبال أرمينيا ويلتقيان في الغزبة ليكونا شط العرب وبلاد الرافدين هي العراق اليوم.

–المعلوف: مصدر سبق ذكره، ص 24.

(*2) عيلم: إقليم قديم بآسيا يرجع تاريخ حضارته إلي الألف الخامسة قبل الميلاد، عاصمته سوسته، ويوجد به سهل حار في أحد أجزئه والجزء الأخر به مرتفعات، وتقول الروايات أنه قطن به مجموعة من الزنوج.

–غربال: مرجع سبق ذكره، ص1247.

(52) الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 48.

(53) الندوي: المرجع السابق ، ص35.

(*3) الجزر الأندونيسية: تقع على ساحل بحر اليمن وبحر الهند الشرقي، معظمها سهل ساحلي تشرف عليه جبال، ومناخها حار، وهي أكبر مرفأ للسفن التجارية. وتعرف اليوم بسلطنة عمان وعاصمتها مسقط.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص 422.

(54) المسعودي، مصدر سبق ذكره ، ص93.

(*)سيراف : مدينة من مدن سابور من بلاد فارس، تقع على ساحل البحر الفارسي، وهي من المدن التجارية الهامة، كانت أعظم ميناء لفارس في العهد الوسيط، ومركزاً تجارياً لتوزيع العطور والتوابل، كما كان لها أكبر أسطول بحري.

– الحميري : مصدر سبق ذكره ، ص 333.

المرور بمسقط علي ساحل عمان ليواصل السير عبر بحر العرب ليصل إلي كولم ملي على ساحل الهند ثم يبحر بحر هوكند وخليج البنقال ليصل إلي جزيرة ليجنيالوس(*1)، ومنها إلي كلة برة (*2) علي ساحل الملايو الغربي حيث يلتقي الطريق حول الجزيرة ومنها إلي ميناء خانقو كانتون وهذه الرحلة تستغرق نيفاً وأربعة أشهر إذا كانت الريح مواتية (55)

ثالثاً: الطريق الممتد من الخليج العربي إلي الصين. (56)

رابعاً: الطريق البحري من مالابار إلي كراتشي في بحر العرب. (57).

خامساً: طريق الحرير البحري ويبدأ من قانقستو(*3) ويمر بمضيق ملقه(*4) وشبه القارة الهندية والمحيط الهندي وبحر العرب. (58)

سادساً: الطريق البحري يبدأ من بحر العرب إلي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ومن أهم أنواع المواصلات في هذا الطريق هو السفن العادية. كما نجد أن حركة هذه السفن ارتبطت باتجاه الرياح وقد اعتمدت حركتها عليها، لأن لها تأثير في تقليل زمن وصول السفن وبسرعة، ولذلك نجد أن الرياح قد أثرت في حركة النقل التجاري وأصبحت موسمية بحسب اتجاه الرياح، حتى أنه من فاته التحرك في مواعيد الرياح عليه الانتظار إلى العام القادم وهذا يدل على العلاقة بين حركة السفن واتجاه الرياح. (59)

كثرت الرحلات العربية إلى الهند حيث يمكن القيام برحلتين إياباً وذهاباً في موسم واحدً من عمان والخليج عندما تكون الرياح في هدوء تام خاصة الرياح الجنوبية الموسمية، حيث تصل سواحل الهند في أسبوعين، وكانت رحلة الذهاب مع التوقف تستغرق ثلاثة أشهر، وكان على المراكب

(*1) لينجيالوس: تقع شرق سرنديب .

– ابن خردذابة: مصدر سبق ذكره، ص 66.

(*2) كله برة: اسمها الحقيقي الميلايو وملقة، وهي ماليزياً اليوم، عبارة عن لسان ممتد في المحيط الهندي، وهي أطول الجزائر قطرا واكثرها عمارة وأخصبها جبالاً وأنفعها تجارة.

– ابن خردذابة، المصدر السابق، ص 66.

(55) الدينوري، أبي حنيفة: الاخبار الطوال . لندن بدون تاريخ، ص 45.

(56) البيروني: مرجع سابق ذكره ،ص 208.

(57) النمر : مرجع سبق ذكره، ص 66.

(*3) قانقستو: هو ممر استراتيجي على هيئة ممرات بين الجبال في الشمال من الصين يؤدي إلى بوابة جبر الطبيعية .

– جودة: مرجع سبق ذكره، ص 89.

(*4) ملقة: ولاية من ولايات مليزيا، تقع على الساحل الجنوبي الغربي من شبه جزيرة الملايو، استعمرت بريطانياً ثم آلت لماليزيا عام 1968.

– ابو الدهب: مصدر سبق ذكره، ص 149.

(58) الندوي: مرجع سابق ذكره ص 34.

(59) شوقي: عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية 41/ 704هـ 661 –/1478م عالم المعرفة باشراف أحمد مناوي العدواني 1923م – 1970م، ، ص 61.

العربية أن تغادر ساحل كجرات (*) وفي نهاية زيارتها قبل أواخر يونيو وهذا الوقت تبلغ فيه الرياح الموسمية أقصى حد لها، وفي الأحوال العادية يمكن أن يتسع الوقت أمامها لتغادر قبل ذلك بوقت طويل أي في مارس وابريل. (60)

كانت السفن أحدى مربع النشاط التجاري في ذلك ألزمان لذلك لابد من الحديث عن نوعيات السفن وتعد وسيلة مهمة لنقل التجارة وعبرها الثقافات والأفكار. وللسفن دور كبير في توحيد الديانات وتشابه الثقافات، وكان تبادل السلع سبباً في التعامل الطيب والأخلاق وهي الوسيلة لنشر الإسلام، حملت أهل الدعوة من التجار لتلك البقاع. (61)

ب/ أنــواع السفن:

إن سفن المحيط الهندي استعملت أسلوب الخياطة بالليف ولكن بحر الهند والصين فجميع ما يعمل فيه من المراكب والصغار فإنها منشأة من الخشب المحكم بخبره وقد حمل أطراف بعض على بعض وحزم وخزر بالليف ولكن لم تستعمل المسامير في صنع السفن الهندية وإنما كانوا يشدون أخشابها بربطات من الحبال شداً مثبتاً وكانوا يصنعون الشحم في الثقوب والمنافذ الناتجة من ربطات الحبال . (62)

نجد سفن الهند من نوع مدهش فعل الرغم من ضخامتها لم يستخدم الحديد في ربط أجزائها، بل أنها محبوكة بالحبال ويرجع السبب في بقاء السفن المخيطة هو إلغاء النسي لبناء السفن بالحديد ولا يعنى هذا عدم وجود الحديد بل كانت متوافرة ولكن كان يتطلب نفقات كثيرة، فقد كانت المواد اللازمة للخياطة قريبة المثال لا تحتاج إلى صناعة دقيقة.وبالإضافة ما ذكر من استعمال الحبال بدلاً من المسامير يعزوا إلى عدم وفرة الحديد بمناطق المحيط الهندي ولكن نحن نعلم أن أفريقيا والهند والصين من أكبر مناطق انتاج الحديد ولا ينكر أحد شهرة الهند في صناعات الصلب والحديد خصوصاً السيوف الهندية التي نالت شهرة كبيرة في العالم خصوصاً في الآداب العربية. (63)

(*) كجرات: غوجارات بالأردية، هي ولاية تقع في شمال غرب الهند .عاصمتها غانديناغار التي سميت على اسم المهاتما غاندي . وهي ولاية تاريخية وصناعية، وتشمل جزء من مومباي .تجاور منطقة غوجارات بحر العرب وباكستان والولايات التالية: راجاستان، وماديا، وبراديش وماهاراشترا ودادرا وناغار هافيلي وتستخدم فيها اللغة الغوجاراتية بكثرة. كانت غوجارات مملكة منفصلة منذ العام1401 م حتى احتلها المغول الكبار في عام1572 م .بلغ عدد سكانها 50,596,992 نسمة في عام .2001 مساحتها 196,024 كم2.

–السيد، مقبول:العلاقات العربية الهندية،ترجمة أنوسقلا زيادة، الدار المتحدة للطباعة والنشر1974م،ص113.

– جودة: مرجع سبق ذكره، ص 89.

(60) شوقي: مرجع سبق ذكره ، ص63.

(61) الندوي : مرجع سبق ذكره،الهند القديمة، ص77.

(62) شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص 196.

(63) البيروني ، مصدر سبق ذكره ، ص 14 .

ولكن يرجع السبب لاستعمال خيوط ليف النارجيل بدلاً من المسامير في وصل ألواح السفينة رغم إرتفاع تكلفة استعمال الحبال، وصعوبة صناعة السفن بهذه الطريقة، كانت الطريقة الوحيدة لمواجهة المحيط العاتي وصخوره المرجانية حيث كانت الخيوط تعطى مرونة أكبر للسفن في مواجهة التيارات. كما أنها كانت تقلل من عمق الغاطس وتجعل قاع السفينة أكثر تسطيحاً، مما يسهل التعامل مع الصخور المرجانية المستترة في المحيط. ومن أنواعها:

1- الاهورة:

نوع من السفن أخذها العرب عن الهند بعد الإسلام، تشبه الطريدة إلا أنه أوسع واقصر وعلى نصفها معرش خشب يصعد إليه درج وعدد من يجدف بها أربعون رجلاً [64]

2- بارجة:

جمعها بوارج وهي من مراكب الهند بعد الإسلام عربها العرب عن لفظ بيرة الهندية، وهي حربية كبيرة استعملها العرب في مياه الهند.[65]

3- الباتماس:

من أفضل أنواع السفن لأنها تُبحر على نحو لافت للنظر وترجع في ملكيتها أساساً إلى تجار بومباي، وهي على شكل الغراب، ويبلغ طولها 76 قدماً و21 قدماً في العرض ويبلغ عمقها11 قدم وحمولتها60 طناً.[66]

4- الباركات:

نوع من السفن لها ثلاثة صواري وسعتها ألف سلة من الفلفل، وملاحوها (60-100) وتستخدم في سحب السفن الكبرى، وتزود بقوارب صغيرة تعكس على جوانب السفينة لإستخدامها عند الحاجة. [67]

5- البغلة:

هي من أقدم السفن التي تجوب البحار الهندية، طولها 74 قدماً وعرضها 25 قدماً وعمقها 11 قدماً وحمولتها 150 طناً، ولها صار واحد وشراع مثلث الشكل، وتزخرف بحفريات ونقوش دقيقة. [68]

6- الدوني: من سفن ساحل كروماندل الساحل الشرقي للهند وتشبه التابوت، ويبلغ طولها 70 قدماً وعرضها 20 قدماً، ذات قاع مسطح، لها صاع واحد، تقوم بحركة التجارة بين ساحل الهند الشرقي وجاوه [*] وسيلان [*1]. وإبحارها يكون بمحاذاة الساحل وفي المواسم المعتدلة.[69]

---

[64] شوقي ، عبد القوي: مرجع سبق ذكره ، ص76–77.

[65] ابن بطوطة ، مصدر سبق ذكره ، ص 266..

[66] حبيب زياد : معجم المراكب و السفن في الغسلام ، مجلة المشرق 1949، ص 322

– ملحق رقم 6.

[67] نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب في أواخر العصور الوسطى، مصر 1973، ص 137.

[68] نفس المرجع السابق ، ص 78.

– ملحق رقم 7

7- العبكري: وهي من مراكب الهند تستعمل في الحرب تشبه الغراب في الشكل إلا أنها أوسع منه وفيها ستون مجدافاً وتسقف عند القتال حتي لا تصيب الجدافين السهام.[70]

8- الفجيني (Vegini): من أكبر سفن الهند يبلغ طولها مائة وستة وسبعين ذراعاً وعرضها عشرين ذراعاً وارتفاعها سبعة عشر ذراعاً.[71]

وكانت هنالك سفن متوسطة الحجم تعمل في نقل البضاعة بين الموانئ وكذلك القوارب الصغيرة التي طولها من عشرة إلي 35 قدماً وكانت تسحب السفن وترشدها إلي مسالك الميناء وتقوم بتفريق البضاعة بعيداً عن الميناء أو حمل البضائع خارج الميناء كما تستعمل في توصيل السفن للمرسى.[72]

ورغم تعدد السفن إلا أننا نجدها تشترك في مادة صنعها وهي خشب شجر الساج[*2] والليف أساساً ولكل سفينة وظيفة معينة تقوم بها، فالسفن الكبيرة للسفر والتجارة، ومن خلالها يتم تبادل الأفكار والثقافات بين التجار والمسافرين الذين يقيمون هنا وهناك، وكانوا يتبادلون القصص كما يتبادل التجار الأحاديث في الدكاكين والحواشي، وكان للشعر نصيب كبير في تلك الجلسات، وكثيراً ما يكون هنالك عالماً يتحدث عن الإسلام بين الموجودين، كما كان التاجر المسلم يظهر المعاملات الحسنة من خلال البيع والشراء والقيام بفروض الدين قياماً سليماً وفق الطرق الإسلامية الصحيحة، وبهذا السلوك في تعامله مع المسافرين من التجار الآخرين قد اثر عليهم فدخل منهم في الإسلام من دخل من التجار الهنود.[73]

---

[*] جاوة: تسمي جاودا بالهندية سكانها 42351 نسمة بمقاطعة هولندا الجنوبية جنوب الأرض المنخفضة بها صناعة الخزف، بها دار للبلدية.

-غربال: مرجع سبق ذكره، ج1، ص607.

[*1] سيلان: جزيرة بالمحيط الهندي تقع جنوب شرق الهند مساحتها 65607 وسكانها 765100 نسمة أحد دول الكومنولث البريطاني وأهم موانيها كولميد، بها سهل عريض، وأهم حاصلاتها الأرز وجوز الهند والمطاط والشاي، دمر سكانها الأصلين، دخلت البوذية في القرن 3 ق . م، وأصبحت مركزاً تجارياً عظيماً، زارها العرب في ما بين القرنين 12- 13، وعندما أصبحت دولة مستقلة.

- المصرى،جميل عبدالله:حاضر العالم الاسلامي،مكتبة العبيكان،بدون تاريخ نشر،ص33 .

[69] شوقي ، عبد الغني عثمان : مرجع سبق ذكره، ج1، ص54.

[70] المصرى،جميل عبدالله: المصدر السابق، ص99.

[71] شوقي، عبد الغني عثمان : المرجع السابق ، تجارة المحيط الهندي، ص98.

[72] شوقي، عبد الغني عثمان : المرجع السابق، ص93.

[*2] الساج: شجرة عظيمة، قيل لا ينبت إلا في بلاد الهند، ويمتاز بخشب قوي وسميك.

- العلايلي: مصدر سبق ذكره، ص240.
- ملحق رقم 8.

[73] العربي ، العدد 513 ، أغسطس 2001م مقال بقلم د/ سليمان العسكري التاجر ص52.

فـي جلسـات الأُنـس وتبـادل التجـار تنقـل العـادات الحسـن وأفكـار الإسـلام النيـرة فتـدخل القلـوب وتنشــرح لهــا الصــدور فيتقبلهــا أهــل الــبلاد، بعــد أن لمســوا حســن القضــاء والتقاضــي بعــد وحسن المعاملة كما يقول ﷺ " الدين المعاملة" (*)

ت/ مــوانئ شبــه القــارة الهندية:-

تعددت وانتشرت علي طول سواحل الهند الموانئ لتميزها بامتداد شواطئها لمسافات طويلة داخل المحيط الهندي بل كان للهند واجهتان، الأولى تواجه غرب المحيط الهندي كميناء مليبار، والأخرى تواجه موانئ شرق المحيط الهندي كموانئ ساحل كروماندل(*) .

وقد ساهمت الموانئ الهندية في حركة التجارة العالمية في العصور الوسطي، فضلاً عن كونها موانئ تصدير في المقام الأول، إلا أنها كانت موانئ استيراد وإن كان الميزان التجاري يميل لصالح الهنـد غالبـاً لكثـرة المـواد المصـدرة وتنوعهـا، بالإضـافة إلـي أن السـفن القادمـة مـن الصـين وأندونيسيا(*1) والملايو وغيرها من جذر جنوب شرق آسيا، وكذلك السفن القادمة من الساحلين الأفريقي والعربي تقف بها كمحطات بحرية للتزود بالمؤن والمياه.(74)

(*) مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، ج1، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط11، 1992م، ص 55، كتاب الإيمان . حديث رقم 55.

(*) كروماندل: سهول ساحلية فى الشرق بين جبال الغات الشرقية وخليج البنغال وتقع مدينة كروماندل على ساحل البحر.

- غربال: مصدر سبق ذكره، ص 122.

(*1) أندونسيا:- اندونسيا إسمان لمسمي واحد هو الجمهورية الأندونيسية التي تشمل نحو ثلاثة الآف جزيرة تمتد بين استراليا وآسيا ويعني اسم اندونيسيا بالضبط الجزر الهندية وقد استعمل للمرة الأولي من قبل العلماء الالمان سنة1302هـ 1884م وقد اختارت الحركة القومية الأندونيسية هذه التسمية كاسم رسمي للجمهورية الاندونيسية سنة 1362-1940.

-فيصل، السامر: الإسلام في اندونيسيا، دار صادر بيروت بدون تاريخ، ص479.

(74) جور، فضلوا وحوراني: مرجع سبق ذكره ، ص32.

- ملحق رقم 9

والموانئ الهندية أيضاً تمثل بداية ونهاية لخطوط ملاحية لكثير من السفن، فالسفن تقصد موانئ بعينها فلا تتوقف وتتواصل في موانئ أخري، مما ينتج عنه كثرة الرواج والرخاء الاقتصادي للهند ونشر الأفكار والثقافات المتنوعة مما أدي إلي انتشار الإسلام في الهند بدون حرب. [75]

ومن أهم الموانئ:

1: ميناء كجرات:

يقع شمال غرب الهند ومن أشهر الموانئ الهندية مواجه لخليج عمان والساحل العربي وقد تحكم موقعها في توجهها التجاري حيث صارت علاقات التجارة مع العرب قويه[76].

2: ميناء كمباي: من موانئ الساحل الغربي للهند يقع علي خور تدخله المراكب ويمتاز بأنه مرسي غير عميق ويوجد بها كثير من التجار الأجانب ومنهم المسلمين مما تسبب في إتقان البناء وعمارة المساجد في المدينة وكان يوجد رئيس للتجار من كثرتهم يدعي ملك التجار[77]

3: ميناء ديو: هو ميناء زاخر بالبضائع الواردة من مختلف بلدان المحيط ويبلغ عدد التجار في المدينة خمسة ألف تاجر كما يصلها أكثر من ألفي تاجر سنوياً، وكانت التجارة تمثل أهمية قصوى في اقتصاديتها، مما شجع الملوك التجار على توزيع تجارتهم [78]

4:ميناء كاليكوت: من أشهر الموانئ الهندية، التي يقصدها تجار الصين وجاوة وسرنديب[*] واليمن[*1] والحبشة، ولعظم حجم التجارة المتداولة بأسواقها وكثرة التجار فيها وكان للتجار أمير يطلق عليه " شاه بندر" [*2] [79]

---

[75] البيروني: مصدر سبق ذكره، ص 73.

[76] شوقي، عبد الغني: مرجع سبق ذكره، ص 123.

[77] المرجع السبق ذكره ، ص 133.

[78] المرجع السابق، ونفس الصفحة.

[*] سرنديب: جاءت في بعض المصادر سيلان، مبررين ذلك بأن تسمية سرنديب تطلق على موضع معين في جزيرة سيلان، ومعنى سرنديب جزائر الذهب، تقع في جنوب شرق الجزيرة الهندية، ويطلق عليها في العصر الحالي سير يلانكا ويزعم البعض أن هذه الجزيرة في الجبل الذي هبط فيه سيدنا آدم عليه السلام من الجنة وتقع بين الهند والصين وتشتهر بالذهب.

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ص216.

[* 1] اليمن: بلاد واسعة من عمان إلي نجران تسمي الخضراء لكثرة أشجارها وزروعها وهي بين عدن وحضرموت وتقع جنوب غرب الجزيرة العربية وبها قصور عاد وجنوبها بحر الهند وغربها بحر القلزم شمال عمان. وسميت بذلك نسبة ليمن بن قحطان، وتتميز بسطح جبلي ومناخ صحراوي .

_ القلقشندى، أبو العباس أحمد عبد الله: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، شرح وتعليق: محمد حسن شمس الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1987، ص 3.

[*2] بندر: كلمة إيرانية والجمع بنادر وهو المكان الذي ترسو عليه المركب، أما كلمة شاه، فتعني رئيس الميناء.

-ابن منظور: مصدر سبق ذكره هـ ص 173 .

[79] شوقي، عبد الغني: مرجع سبق ذكره، ص 76 .

5: ميناء كولام:

من أحسن موانئ مليبار ويوجد بها الصوليين(*) ولعظم الحركة التجارية سكنها خليط من جنسيات مختلفة. كما توجد موانئ كثيرة بالمنطقة، انتشرت علي ساحل المليبار الذي كان أكثر مناطق الهند تنوعاً في الحاصلات التصديرية حتى سمي ببلاد الفلفل لكثرة ما ينتج فيه من الفلفل وكل هذه من موانئ الهند العديدة [80]

6 : ميناء كروماندل:

يقع في ساحل الهند الشرقي، وموقعه جعل منه مركزاً رئيسياً للتجارة مع دول الشرق الأقصى، واشتهر بصناعة المنسوجات القطنية.[81]

ث/ السلع التجارية المتبادلة:

تميّز التجار الهنود بإمكانيات تجارية كبيرة من ثروة ووسائل النقل التي مكنتهم من التوسع التجاري بين الدول المجاورة لهم عبر تنشيط الحركة التجارية للبضائع من صادرات وواردات، فبلغوا بذلك قدراً عظيماً وأصبح لهم سمعة تجارية واسعة وجيدة.

(*) الصوليين: تجار لهم أموال يشترون بها المراكب وكانت لهم مخازن ضخمة تخزن فيها كمية من السلع التي يمكن أن تشحن بها سفينة أو أكثر.

- شوقي، عبد الغني: مرجع سبق ذكره، ص 173.

[80] الشتاوي: مرجع سبق ذكره، ص 378.

[81] شوقي، نفس المرجع، ص 134.

(1) الصادرات الهندية:

اشتهرت الهند من قديم الزمان بخيراتها الوفيرة التي كانت تصدر إلي البلاد [*] التي تقع قريبة منها بجانب الموقع الهام والقريب من شبه الجزيرة العربية حيث وفرة المنتجات الزراعية كالزنجبيل[*1] والفلفل ودباغة الجلود (ماعز، ثيران، جاموس) مرغوبة في الأسواق العربية [82] .

كذلك اشتهرت بتجارة أغطية الفراش المصنوع من الجلد الملون البالغ النعومة والمزركش بخيوط من الذهب والفضة، وتباع هذه المنتجات بأسعار باهظة الثمن، وتفوقت كذلك علي مثيلاتها من دول العالم في مجال التطريز. [83]

إضافة إلى تصدير المنتجات الزراعية، كالشاي، والقطن ،والمنسوجات القطنية، والحريرية، والعاج والخشب، والصندل والروائح والتوابل، والجوت ومصنوعاته وكذلك تصدر المنتجات الصناعية. [84]

ووصل التجار المسلمون في القرن الثامن الميلادي /الثاني الهجري إلي الهند للحصول علي مواردها الطبيعية من الحرير والكافور[*] والقرنفل وخشب الصندل وجوز الهند والورق[85] .

وقد خص الله (ﷻ) أرض الهند بجميع أنواع الروائح العطرية والجواهر والياقوت والماس والحيوانات مثل الفيل والجاموس والطاووس إضافة إلي العود والعنبر والقرنفل والصندل والفلفل الأسود [86].

وكانت تصدر إلي أوروبا في عهد الملوك المسلمين، ونجد الشركة الإنجليزية أول ما جاءت إلي الهند تصدر منها إلي انجلترا كثير من المنتجات وكانت أهم المدن أحمد أباد [*1]، واشتهرت الهند

---

[*] البلاد: البلاد التي تقع في الجهة الغربية من الهند سواء أكانت العربية أو الأفريقية أم الأوروبية

– النمر: مرجع سبق ذكره، ص15.

[*1] الزنجبيل: نبات عشبي هندي الأصل له عروق تسري في الأرض وتتوالد فيها عروق حارقة الطعم وهي تتفرع من نبت كالقصب وهي لفظ فارسي.

– العلايلي : مصدر سبق ذكره، ص366.

[82] شوقي، عبد الغني: مرجع سبق ذكره، ص3.

[83] النمر المرجع السابق، ص53.

[84] المرجع السابق ، ص15.

[*] الكافور: مادة عطرية تستخرج من شجر الكافور، تستخدم في الطب، من فصيلة الناريات مهدها الأصلي جنوب الصين، أوراقها دائمة وأزهارها بيضاء مائلة للصفرة، وردت في قوله تعالى في سورة الإنسان: الآية قال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً).

– العلايلي : مصدر سبق ذكره، ص 45.

85 العدوي، إبراهيم أحمد: التاريخ الإسلامي أبعاده السياسية وآفاقه الحضارية،دار صادر، بيروت 1976،ص392.

86 النمر: مرجع سبق ذكره ، تاريخ الإسلام في الهند ص14.

[*1] أحمد باد: مركزًا رئيسيًا لصناعات الأنسجة القطنية، والزيت والصابون. كما أنها عريقة في مجالي الأعمال التجارية والتمويل. تقع أحمد أباد في تقاطع الطرق المؤدية إلى بومباي ووسط الهند، وإلى شبه جزيرة كاثْهيَاوار، وإلى راجاستان. كما أنها تحظى بشبكة خطوط سكك

بالسيوف البتارة التي حملتها القوافل البرية والبحرية منذ القرن التاسع قبل الميلاد إلي كافة نواحي العالم القديم مباشرة أو بواسطة بلاد الشرق الواقعة علي شواطئ البحر الأبيض المتوسط [*2] حيث يتبارز المقاتلون بسيوف الهند البتارة [87]

وكانت تصدر الفضة إلي الخارج، ومن كثرة الفضة قيل أن أحد الملوك كان يفرش بلاطه بها ،إضافة الي الحرير والفولاذ والنحاس وغيرها من المواد الأساسية لصناعة السيوف والسلع الصناعية الأخرى. [88]

كان الميزان التجاري يميل نحو الهند حتى ما يصدر من سلع يفوق كل المناطق الأخرى إضافة إلي أنه أكبر قيمة وأعلى سعراً وسلعة مطلوبة في كل أنحاء العالم خصوصاً التوابل.[89]

(2) الواردات إلي الهند:

إن أهم الواردات الهندية تمثلت في الذهب والعاج اللذان يتم استيرادهما من دول الساحل الإفريقي. وعلي الرغم من وجود العاج في الهند، لكن الحرفيون الهنود يفضلون العاج الأفريقي لليونته وسهولة تشكيلة ومواصفاته، ولأنه يتفوق علي العاج الهندي في تلك الصفات.[90]

أما الواردات من الدول الأوربية فتمثلت في النشادر والزرنيخ والأسلحة والجوخ والشمع والفراء والبندق والعنب كما كانت تورد للهند خام النحاس الأحمر ومن اليمن الأواني القديمة المكسورة وإعادة تصنيعها وهذا يدل علي امتياز الهند وتفوقها في صناعة المعادن وأكثر ما اشتهرت به صناعة السيوف الهندية التي تعتبر من الصادرات الهندية في هذا المجال.[91]

حديدية مع بومباي ودلهي، والميناء العميق في كاندْلا. وقد ازدهرت في أحمد أباد صناعة النسيج القطني والحريري. وكانت تصدِّر الأقمشة الرقيقة المقصَّبة إلى الشرق الأوسط، وأوروبا، وتصدِّر الأقمشة القطنية الزاهية الألوان، والأقل جودة، إلى شرقي إفريقيا، وإندونيسيا.

– شوقي، عبد الغني: مرجع سبق ذكره، ص 154.

(*2) البحر الأبيض المتوسط: بحر داخلي بين أوروبا وأفريقيا وآسيا، أقصي عمقه 5000 متر يتصل بالمحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق من جهة الغرب والبحر الأحمر وقناة السويس من جهه الشمال الشرقي وبالبحر الأسود في مضايق الدردنيك، وبحر مرمر والبسفور وهو بحر شديد الملوحة ولقد شهدت شواطئه حضارات عريقة.

– البغدادي ،عبد المؤمن بن عبد الحق : مراصد الاطلاع علي اسماء الامكنة والبقاع تحقيق، علي محمد البجاوي، دار المعرف للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1 1954، ج 1، ص 492.

– المعلوف: مصدر سبق ذكره، ص55.

(87) الندوي: مرجع سبق ذكره، ص3.

(88)النمر، مرجع سبق ذكره، ص43.

(89) شوقي، عبد الغني : مرجع سبق ذكره، ص117.

(90) عصام الدين، عبد الرءوف الفضي: بلاد الهند في العصر الإسلامي مصر 1980م، ص7

(91) شوقي، عبد الغني: مرجع سبق ذكره، ص143.

جـ/ العلاقات التجارية الهندية:-

(1)العلاقات الهندية التجارية مع شبه جزيرة العرب وبلاد الشام [*]:

تمتد جذور العلاقة بين العرب والهند إلى عهود ضاربة بجذورها في عمق التاريخ، وقيل ان العرب كانت تزور موضع أقدام سيدنا ادم(عليه السلام) في الهند وعلى وجه التحديد سيرلاكنا [*1] وكان اسمها دجنا وهذه الكلمة إغريقيه تعادل بالهندية (دكنها) أو دكهن وهو اسم منطقة في جنوب الهند. [92]

نزل العرب في الهند قبل آلاف السنين وكانت بينهم علاقات تجاريه قبل ظهور الإسلام، وكانت تعتبر من المحطات المهمة في أسفارهم إلى تك البلدان، وكانوا يأتون إليها من مصر[*2] والشام عن طريق اليمن والبحرين[*3] وعمان والعراق ثم ميناء كراتشي ثم يمرون عائدين إلي بلادهم بنفس الطريق. [93]

ويذكر أن البضائع الهندية كانت توجد في الأسواق العربية قبل الإسلام مثل العنبر والعود والمسك وكانوا يترددون علي الشواطئ العربية منذ زمن بعيد بل إن بعضهم قد استوطنوا مناطق منها واخذوا من تقاليد العرب مع احتفاظهم بتقاليدهم حتى ان العرب كانوا يعرفونهم بطبائعهم ويميزونهم من بين الشعوب بألوانهم وهيئاتهم وكان يطلق عليهم الزط[94]

كذلك نجد روابط وعلاقات شتى بين العرب والهند منذ أقدم الأيام إلي عهد النبي(صلى الله عليه وسلم) في التجارة والمعيشة والديانة وكانت عدة جاليات هندية في بلاد العرب مع بقاء تقاليدهم القديمه

---

[*] الشام: هي بلاد واسعة كانت مقر الخلافة الأموية، سميت الشام نسبة إلي سام بن نوح، يحدها من الشرق نهر الفرات ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب مصر ومن الشمال الثقور وبها مدن كثيرة منها دمشق، عكا، وحماة، وبيت المقدس، وغيرها من المدن وكانت تشمل الشام سوريا ولبنان وفلسطين والأردن .

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص138.

[92] الندوي: مرجع سبق ذكرة، ص 2.

[*1] سيرلانكا: هي جزيرة يفصلها عن الهند مضيق بلك ،كانت تسمي سيلان ، في عام 1392 اطلق عليها سيريلانكا،دخلها الاسلامفي القرن الاول الهجري ،يقال انها الارض التي نزل فيها سيدنا ادم(عليه السلام) عندما طرد من الجنة.

-المصري : مرجع سبق ذكره، ص33

[*2] مصر: سميت علي مصر بن مصر، تقع في الركن الشمالي الشرقي من أفريقيا، وهي اقليم واسع يحفها من جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق فلسطين وخليج العقبة والبحر الأحمر، استقلت عن فارس وفتحها االاسكندر مرة أخرى .

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص 143.

[*3] البحرين: إقليم يقع علي بحر فارس الخليج العربي بين البصرة وعمان، وهي أرض كثيرة المياه والفواكه، يغلب عليها الرمل .

- ابن خلدون، مصدر سبق ذكره ،ج4، ص118.

[93] الندوي: المرجع السابق، ص 7.

- ملحق رقم 10

[94] شلبي، احمد: مرجع سبق ذكره، ج8، ص26

وعوايدهم الهندية بحيث كانوا يعرفون بهيأتهم وأجسامهم وألوانهم وصورهم وشعورهم وكان النبي (ﷺ) وأصحابه يعرفون أجيال الهند وأفرادها [95]
لقد بلغ التجار الهنود مبلغاً عظيماً وقدرا رفيعاً في التجارة فعرفوا كيف يروجون لسلعهم وبضائعهم الثمينة عند بيعها وتصديرها لما عرفوا احتياجات بلادهم الضرورية، كما إن معرفة العرب للهند قد توطدت قبل ظهور الإسلام، ويؤكد هذا الاتجاه وجود صلات تجارية مبكرة مع سواحل شبه الجزيرة العربية الغربية منذ القرن الأول والدليل علي ذلك عندما سقط ميناء الابلة [*] قرب البصرة[*1] في أيدي العرب. [96]

كتب قائد الجيش عتبة بن غزوان [*] إلى الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) [*1] أما بعد " فإن الله وله الحمد فتح علينا الأبلة وهي مرفأ للسفن البحر من عمان[*2] والبحرين وفارس[*3] والهند والصين، واغتنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم وإني كاتب إليك بيان ذلك إنشاء الله "[97]

---

[95] القاضي، اطهر المباركفوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابه والتابعين دار الانصار القاهرة بدون تاريخ ص 21

[*] الآبلة: تقع علي شط دجلة شمال الخليج العربي وقد اشتهرت هذه المدينة قبل الإسلام بارتباطها بأرض الهند، وكان لها علاقات تجارية مع الهند، كما كانت مركزاً للتجارة البحرية مع الشرق، وفي زمن الفتح الإسلامي كانت مرفأ يصلها بالخليج العربي، حيث حفرت قناة الأبلة التي ربطت هذا الميناء بالبصرة، وارتبط ازدهارها بازدهار البصرة، وكانت السفن والزوارق النهرية تزدحم في هذا الميناء، وبه إدراج صخرية علي ضفافة ليمكن النزول إلي مستواه المنخفض، كما أُنشئ بالأبلة اسواق وقصور وخانات لنزول المسافرين وإقامة الوافدين بها . وهو معسكر تابع للفرس وفتح في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة أربع عشرة للهجرة.

– الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسين: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ط1 ، عالم الكتب، بيروت لبنان، 1998، ص384.

[*1] البصرة: مدينة إسلامية تقع في الإقليم الثالث، بنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص 25.

[96] القلقشندي: مصدر سبق ذكره ،ج4، ص335.

– الحموي: المصدر السابق ، ج2، ص25.

[*] عتبة بن غزوان: هو عُتبة بن غَزْوان بن جابر بن وهيب. السيد الأمير المجاهد أبو غزوان المازني، حليف بني عبد شمس. من السابقين الأولين وهاجر إلى الحبشة ثم رجع مهاجرًا إلى المدينة رفيقًا للمقداد وشهد بدرًا وما بعدها وولاه عمر بن الخطاب فتوح البصرة وفتح فتوحًا وكان طويلاً جميلاً. توفي بطريق البصرة وافدًا إلى المدينة سنة سبع عشرة. وقيل: مات سنة خمس عشرة، وعاش سبعًا وخمسين سنة.

- الحافظ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :سير أعلام النبلاء ،تحقيق شعيب الارناؤط ،ط7،بيروت مؤسسة الرسالة ،1990م، ص 124.

[*1] عمر بن الخطاب: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن فرط بن رزاح بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد، أمه حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، ويكني أبا حفص، لقب بالفاروق لعدله، كما لقب بأمير المؤمنين، ولد في عام الفيل بثلاثة عشر سنه، اسلم وعمره 27 عاماً بويع له بالخلافة بعد وفاة ابي بكر الصديق

يلاحظ أن التجار العرب أكثر أهل البلاد العربية صلة بالهند نسبة لقرب بلادهم من الهند، التي تقع على بحر العرب، كما كانت لهم معرفة ودراية بالمدن المهمة الواقعة على الساحل الطويل لبحر العرب، بل كانوا يذهبون إلى ما وراء ذلك حتى كونوا لهم جاليات عربية في بعض ثغور هذه البلاد، وحين ظهر الإسلام، ودخل العرب في دين الله أفواجاً، كان منهم هؤلاء التجار، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها، وكان من الطبيعي أن يتحدث هؤلاء التجار في حماس وأمان عن دينهم الجديد وعن الرسول (ﷺ) في بلادهم يدعو الناس إلى التوحيد والإخاء والمساواة. (98)

كانت المعاملة الحسنة بين الناس جميعاً في الوقت التي كانت تعيش فيه الهند في بسبب النظام الطبقي القاسي وكانت النتيجة إقبال الناس علي الدين الإسلامي ليتخلص الجميع من العناء النفسي والإجتماعي الذي كان يعانون منه. (99)

توطدت معرفة العرب بالهند والصين قبل القرن الأول الميلادي، والشواهد التاريخية الواردة في بعض المصادر تثبت وجود علاقات تجارية ممتدة منذ زمن بعيد، كما نجد في تاريخ الاباضية (*) من الخوارج (*1) حيث أن أحد شيوخهم كان يدعـــى أبو عبيدة

رضي الله عنه، مده خلافته عشر سنين وستة أشهر، له من الأعمال الجليلة ،استشهد في ذي الحجة سنة 23هـ. ت 643، بعد أن طعنه أبو لؤلؤ الفارسي اثناء صلاة الصبح وعمره 61 عاماً وقيل 63 عاماً وقيل 65 عاماً.

– ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي: البداية والنهاية ،ج3، تحقيق دارأبن حيان، أبو ظبي، 1417هـ / 1996م ص167.

– ابن سعد، أبو عبد الله محمد: الطبقات الكبري، ج3، دار صادر بيروت، لبنان، 1985، ص 157

(*2) عمان: كورة عربية علي ساحل بحر اليمن والهند شرقي هجر تشتمل بلاد كثيرة، سطحها سهل ساحلي، شرقها جبال ومنطقة ظفار في الجنوب علي حدود اليمن، المناخ حار جاف يضرب به المثل في الحر، وعاصمتها مسقط.

– الغزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر الطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1380هـ / 1960م، ص46

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص49 .

(*3) فارس: ولاية واسعة أول حدودها من جهة العراق واخرها في الهند، ومن ناحية ساحل بحر صفر سيراف ومن جهة السند نكران، وفارس أهم بلد الساسان، تقع علي خط طول ° 60 درجه وخط عرض °34 درجة ويقال الرجل فارس من الفارسية والفراسة عندهم هي ركوب الفرس، وبها قلاع، واصل الفرس ترجع بعض المصادر العربية إلى سام بن نوح (عليه السلام) .

– الحموي: مصدر سبق ذكره ،ج1، ص179.

(97) النمر: مرجع سبق ذكره، ص60.

(98) النمر:مرجع سبق ذكره ،ص60

(99) النمر: مرجع سبق ذكره ،،ص 61

(*) الاباضية: من فرق الخوارج مؤسسها عبد الله بن أباض المقاعز، ويعتبرها أصحابها من المذاهب الأربعة المعروفة، ومن مبادئهم الدعوة إلى تنزيه الخالق، والعمل بما جاء بالقرآن الكريم والسنة المحمدية

– الشهرستاني: أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد : الملل والنحل , ج3 تحقيق محمد سعيد كيلاني , مطبعة مصطفى الحلب , القاهرة , 1976م ، ص 11 .

عبد الله أبو القاسم (*2) كما يوجد تاجر أياضي آخر هو النضر بن ميمون(*3) في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، ورحلة ابن وهب القرش من سيرأف إلي الصين والهند. (100)

ومما يدل على أن الروابط التجارية بين الهند وبين الدول العربية قديمة فالملك سليمان(*) كان يستورد الذهب والفضة والعاج والطواويس من بلاد الهند ودليل علي ذلك، انشأ البطالسة الموانئ علي البحر الأحمر لتنشيط التجارة الهندية.

كما نجد العلاقات التجارية بين الهند وفلسطين (*1) واليمن منذ عهد النبي سليمان (عليه السلام) وملكة سبأ (*2) 1000- 900 ق . م. كما كانت في الإسكندرية جالية هندية في اوائل القرن الثالث، كما عثر

(* 1) الخوارج: اسم لحزب سياسي، وفرقة دينية وقد اختلف الناس في تسميتهم بالخوارج، فيري البعض انهم سُموا الخوارج لخروجهم عن الناس، او عن الدين الإسلامي أو عن الحق أو عن علي (رضي الله عنه)وإن اسم خارجي يطلق علي كل من خرج على الأمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في أيام الصحابة علي الأئمة الراشدين وكان بعدهم علي التابعين، بإحسان والأئمة في كل زمان، واما الخوارج فيرون أن لفظ الخوارج من الخروج في سبيل الله مستشهدين قوله تعالي: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) سورة النساء: الآية 100، فالخوارج حاربهم علي (رضي الله عنه) وهزمهم ولكن لم يستطع ابادتهم حتي دبروا له مكيدة قتل بها

– ابن منظور: مصدر سبق ذكره، ج8، ص251.

(*2) أبو عبيدة، عبد الله أبو القاسم: من أهل عمان كان عالماً وتاجراً معروفاً اشتغل بتجارة المُر.

– شوقي، عبد القوي: مرجع سبق ذكره، ص78.

(* 3) النضر بن ميمون: هو النضر بن ميمون كان يعيش قبل ذلك في البصرة وهؤلاء وأمثالهم قد أقاموا في الصين فترات طويلة لنشاطهم التجاري مما إضطرهم في أحيان كثيرة إلى التزوج من صينيات مما ساعد في نشر الإسلام .

– الحافظ ،الذهبي: مصدر سبق ذكره ،ص 251. (لم يذكر)

(100) أبي زيد ، السيراف: اخبار الصين والهند، لندن، بدون تاريخ ،ص73.

(*) سليمان: هو سليمان بن داوُود (عليه السلام) ، رسول كريم بعث في بلاد الشام والبلاد المجاورة بعد وفاة والده، داوود (عليه السلام)،نزل بين المقدس التي كان ينزل بها آباؤهم وأجدادهم يعقوب وإسحاق، وإبراهيم (عليه السلام)، أعطى هالها ملكاً لم يكن لأحد من بعده في عهده قامت دولة عاصمتها بين المقدس وكانت تشمل بلاد الشام الحالية وسوريا وفلسطين وتشمل الجزيرة العربية كلها، وكانت تحاصر الدولة الساسانية 950 – 650 ق .م وكانت الدولة التي يحكمها داوود وسليمان دولة عقائدية دينها الإسلام .

– الحافظ،الذهبي : مصدر سبق ذكره ،ص251.

(* 1) فلسطين: سميت على فلسطين بن سام بن نوح بخر كور الشام من ناحية مصر، ومن مدنها عسقلان وغزة والرملة، تضم السهل الساحلي من الشمال إلى الجنوب، منطقة جبلية تتصل بهضاب النقب المتصلة بجبال سيناء، دولة عربية لبنان شمالها وسوريا والأردن شرقها والبحر المتوسط من الغرب ومصر من الجنوب، اغتصب اليهود جزءاً منها عام 1948م.

–المعلوف : مصدر سبق ذكره، ص 416 .

(*2) مملكة سبأ: هي بلقيس بنت الهدماني بن شرحبيل، من حِمْير وهي يمانية من مأرب باليمن، بعد انتصاراتها العديدة دعاها سيدنا سليمان عليه السلام وقومها لتوحيد الله بعد أن كان يعبدون الشمس فآمنت وتزوجها سليمان (عليه السلام)، توفيت بعد سبع سنوات من زواجها منه ، وقيل انها كانت تسمي " ماكدة " وقيل "بلقمة".

– غربال: مرجع سبق ذكره ، ص25.

علـى نقـود الإمبراطوريـة الرومانيـة منذ عهـد أغسـطس (*3) إلـى عهـد الإمبراطـور زينـو (*)، فـي حفريـات الهنـد الجنوبيـة وهـذا يـدل علـي سـعة التجـارة الهنديـة مـع العـالم الغربـي (الـبلاد العربيـة والإفريقية أو الأوروبية).(101)

وزاول العرب التجارة بصورة واسعة النطاق في بلاد الشرق منذ عصور مبكرة، وهيمنوا علي تجارة سيلان حيث كانوا في أواسط القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي يقيمون في كانتون(*1)، حتى أصبحوا سادة التجار في الشرق دون منازع، فأسسوا مراكز تجارية في بعض أجزاء الهند وكانوا يعتمدون في مكاسبهم على التجارة وكان من بينهم أهل العلم فانشأوا مدارس للتعليم وامتازوا بالأمانة وحسن السيرة والأخلاق وساعدهم في ذلك ثراؤهم التجاري .(102)

وتوغل العرب في السواحل الهندية في القرن الرابع عشر الميلادي وكانت السفن العربية تبحر من سواحل البحر الأحمر أو من السواحل الجنوبية متجهه إلى نهر السند (*2) أو من ساحل مليبار محملة بالبضائع إلي الهند ثم تعود إلي البلاد العربية محملة ببضائع الهند. وتقول بعض الروايات أن تاجراً مسلماً كان يتاجر مع البلاد العربية أقام سوقاً في مكان يسمي ويلابورم (*3) (103)

(*3) أغسطس: هو مؤسس الإمبراطورية الرومانية، والإمبراطور الأول لها، ولد في عائلة غنية محترمة، تتبع لعائلة أوكتافي، وفي عام 44 ق.م، تم تبني أغسطس من قبل خال والدته غايوس يوليوس قيصر بعد اغتيال الأخير. أقام الحكم الثلاثي الثاني مع ماركوس أنطونيو سوماركوس ليبيدوس لهزيمة قاتلي قيصر.

-Jo .Ann ،[o-Ann Shelton, *As the Romans Did* Oxford University Press, 1998, 58.

(*)الإمبراطور زينو: اسمه الأصلي تاراسيكوديسّا 491- 425 كان إمبراطوراً رومانياً شرقياً ويعد من أبرز الأباطرة البيزنطيين الأوائل. رئيس الإمبراطورية الرومانية في الغرب بينما في نفس الوقت ساهم في استقرار الإمبراطورية في الشرق..

- البيروني: مصدر سبق ذكره، ص 73 .

(101) النمر: مرجع سبق ذكره، ص65.

(*1) كانتون: تسمى خانقون، وهي البوابة التي يعبر منها أهالي الصين عن طريق البحر، وهي مدينة جليلة عند نهر خمدان شرقي الصين، وهي أكبر ميناء في الصين منذ أمد بعيد، اشتهر باسم المرفأ الاعظم وتسمى غوانغزهز وهي اكبر مركز تجاري بالصين كانت لها علاقات تجارية واسعة مع الهند والعالم الإسلامي وهي مرفأ للتجار العرب.

- المسعودي: مصدر سبق ذكره، ص 138.

(102) النمر: مرجع سبق ذكره، ص37.

(*2) نهر السند: نهر يقع بين بلاد الهند وكرومان وسجستان.

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص295.

(*3) ويلابورم: وهي التي تسمي الأن بكاليكون، تقع علي ساحل بحر العرب، وتعتبر ميناء صغيراً، ولاتزال السفن الشرعية الكبيرة تأتي لها من البلاد العربية وتعود محملة بالأخشاب والحبال، وجوز الهند والفلفل، وبها مسجد قديماً جداً، وبها نشاط إسلامي في المدارس الدينية، ودور اليتامي والتربية الإسلامية، وتصدر منها الصحيفة الإسلامية الهلال وفيها عائلة بافقية، وعميدها هو السيد عبد الرحمن بافقية رئيس الحزب الإسلامي .

- النمر: مرجع سبق ذكره، ص66.

(103) رؤوف، الشلبي: الإسلام في أرخبيل الملايو- منهج الدعوة إليه، 1951م ص 34.

كما نجد عرب الجزيرة العربية أول من شقوا عباب المحيط الهندي، وكان التجار العرب قبل قرون من ظهور الإسلام بمكة(*) يمثلون حلقة الوصل بين التجار الأوروبيين والتجار الأسيويين من الهند، كما ذكرت السجلات القديمة في سنه 300 الميلادية وجدت لهم أماكن استيطان ومراكز محاسبة في كانتون وكان التجار العرب في العصور القديمة والوسطي قد ملكوا التجارة بين عمان والهند ومصر وإيران وحضرموت من جهة وبين الهند وشرق آسيا من جهة أخري. (104)

كانت هنالك روابط تجارية بين العراق (*1) والهند منذ (2800- 539) ق .م والدليل علي ذلك خلال الألف الثالث قبل الميلاد عثر علي أدوات عراقية مثل الأختام وأدوات الزينة وهذا يدل علي وجود روابط تجارية وثيقة بين البلدين واتصالها تجارياً وحضارياً، كما كان هنالك نوع من العربات والسفن في تلك الآونة في العراق شبيهة بما نجده الآن في الهند، كما توجد أنواعاً من الأرائك أو السرر من الطين وهي لم تزل موجودة، كما وجدت في نفس الزمان في العراق. (105)

إضافة لذلك فهنالك بعض الملامح التي توحي بعلاقات بين العرب والهند نجد أهم مميزاتها الحلي الهندية والأساور التي تزين بضلع لولبي من ناحية طرفها، وكانت النساء يربطن الشعر بمنديل فيه شرائط ذهبية، ومثل هذه المناديل كانت معروفه في أرض الرافدين، كما كن يلبسن أنواعاً من العقود والقلائد تتدلى على أعناقهن، كما توجد أدوات مدورة وجامدة مصقولة لامعة، وهذه الأدوات وجدت فيها رسوم للحيوانات مثل الكبش والخروف في أرض الرافدين .(106)

وكذلك نجد العلاقات التجارية بين الهند وفلسطين (*) واليمن منذ عهد النبي سليمان (عليه السلام) وملكة سبأ(*1)، وهنالك تشابهاً بين آلهة الهند وأرض الرافدين في بعض الوجوه، أهمها أن تلك الآلهة اعتبروها أم الآلهة لديهم، وهذه الوجهة من التشابه موجودة في بلاد الرافدين.(107)

(*) مكة: لفظ مكة بابلي، ويعني البيت بيت الله الحرام ويقال مكة للمدينة، وبكة للبيت، وسميت بذلك لقلة مائها، آخذاً من قولهم آمتك الفصيل ضرع امه ،إذا امتصه، وقيل أنها تمك الذنوب أي تذهب بها، أي تذق، وتسمي ام القري، والبلد الأمين، وهي تتوسط طريق القوافل الذي يسير موازياً للبحر الأحمر وتحيط بها الجبال وهي عاصمة الحجاز . وهي مدينة قديمة نشأت بواد غير ذي زرع وقد اكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) . وقد ارتبطت نشأتها بإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام والكعبة وهي المدينة التي ولد فيها المصطفي ﷺ.

- القلقشندى: مصدر سبق ذكره، ج3، ص258.

(104) الندوي: مرجع سبق ذكره، ص40.

- باقر ، طه: مرجع سبق ذكره، ج2، ص 376.

(*1) العراق: تقع بين خطي عرضي 5 درجة شمالاً وخطي طول 48 درجة شرقاً تقريباً ويحيط بها من شمال تركيا ومن الغرب إيران سوريا والأردن ومن الشرق السعودية ومن الجنوب الخليج العربي والكويت وهي عاصمة الدولة العباسية.

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص 94- 95.

(105) الندوي: مرجع سبق ذكره، ص42.

(106) نفس المرجع ، ص34.

- باقر ، طة: مرجع سبق ذكره، ص377.

(*1) فلسطين: سميت على فلسطين بن سام بن نوح بخر كور الشام من ناحية مصر، ومن مدنها عسقلان وغزة والرملة، تضم السهل الساحلي من الشمال إلى الجنوب، منطقة جبلية تتصل بهضاب النقب المتصلة بجبال سيناء، دولة عربية لبنان شمالها وسوريا والأردن شرقها والبحر المتوسط من الغرب ومصر من الجنوب، اغتصب اليهود جزءاً منها عام 1948م.

وامتدت العلاقات من اليونان إلي ساحل بومباي، ومالايار وكانت تتمثل في جلب العاج والأحجار الكريمة، وتطورت العلاقات التجارية الهندية حتى أصبحت الرحلات تُسيّر بين لبنان والهند في حركة دؤوبة علي طول سواحل غرب الهند وميناء صور بلبنان حيث أرسل الملك هيرام (Hiram) ملك صور في لبنان أسطولاً تجارياً إلي الخليج العربي ومنها إلى بحر العرب ومنها إلي الهند. وكانت اليونان من البلدان التي دخلت في حراك تجاري مع الهند خاصة بعد أن توسعت في هذا المجال وامتدت رقعتها واتسع نشاطها كما كانت لها محاولات في الاتصال التجاري بين بعض بلدان الشرق الأخرى منذ 975 ق.م .[108]

عرفت الهند بلاد عمان منذ أقدم العصور وبعد ظهور الإسلام، حيث نجد التجارة العمانية قد لعبت دوراً كبيراً ومتزايداً في التجارة البحرية في المحيط الهندي خاصة مواد الطيب والبخور التي كانت تنقل بحراً من الهند وشرق أفريقيا، ثم براً علي امتداد الساحل الغربي لجزيرة العرب، فالتوابل والطيب، لم تكن تنقل في منطقة البحر الأبيض المتوسط للطعام فحسب إنما كانت تدخل في تركيب المراهم والعطور والمساحيق ومواد التجميل والبخور والأدوية وكان الإقبال عليها كبيراً [109].

لعل أكثر الطرق البحرية التي اعتاد بحارة الخليج وعمان ارتيادها سواء في الماضي أو الأزمنة القريبة طرق الموانئ القريبة في شبه القارة الهندية وكان لقرب عمان من الهند أهمية خاصة بالنسبة لهذا الدور، لأن المراكب يمكنها أن تقوم برحلتين أو أكثر ذهاباً وإيابا من عمان والخليج خلال موسم واحد عند هدوء الرياح الموسمية الجنوبية الغربية حيث تصل إلي ساحل الهند خلال أسبوعين تقريباً ورحلة الذهاب والإياب مع التوقف للتبادل التجاري تستغرق أشهر وكان علي المراكب العمانية أن تغادر ساحل كجرات.[110]

إن توفر السلع التجارية الهندية وتنوعها كانت الحافز الأول والمهم في ازدهار حركة التجارة بين البلدين فقد اشتهرت بلاد الهند بضخامة ثرواتها الطبيعية والنباتية والحيوانية هذا ما أكده ابن فضل الله العمري في قوله: " خص الله تعالى أرض الهند والسند بأنها توجد بها سائر الروائح العطرية والجواهر كالياقوت والماس وغيرها والكربون والفيل والطاؤوس والعود والعنبر والقرنفل والخولجان والتونيا واليقم والخيزران والصندل وخشب الساج والفلفل. [111]

–المعلوف : مصدر سبق ذكره، ص 416 .

(*) مملكة سبأ: هي بلقيس بنت الهدماني بن شرحبيل، من حِمْير وهي يمانية من مأرب باليمن، بعد انتصاراتها العديدة دعاها سيدنا سليمان عليه السلام وقومها لتوحيد الله بعد أن كان يعبدون الشمس فآمنت وتزوجها سليمان (عليه السلام)، توفيت بعد سبع سنوات من زواجها منه ، وقيل انها كانت تسمي " ماكدة " وقيل "بلقمة".

– غربال: مرجع سبق ذكره ، ص25.

(107) ديورانت ، ول: مرجع سبق ذكره، ج3، ص377.

(108) الندوي : مرجع سبق ذكره، ص47.

(109) نعيم، زكي،: طرق التجارة الدولية، المكتبة العربية، القاهرة، 1393هـ /1973 م، ص 162.

(110) شوقي، عبد الغني : مرجع سبق ذكره، تجارة المحيط، ص92.

(111) العمري ، بن فضل الله شهاب أحمد بن يحي: مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، تحقيق، أحمد عبد القادر الشاذلي، ج3، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي ، 1424هـ / 2003م، ص39.

كما وُصِفت الهند بمميزات مثل رخص أسعارها وتنوع سلعها فيقول "حسبك ببلاد الهند في بحرها الدر وفي برها الذهب وفي جبالها الياقوت والماس وفي شعابها العود والكافور ... وبها معادن الحديد والزئبق والرصاص وفي بعض مناطقها الزعفران وفي بعض أوديتها البلور، خيراتها موفورة وأسعارها رضية".(112)

2: العلاقات التجارية الهندية مع إفريقيا:

أولا : العلاقات المباشرة:

إن علاقات الهندية مع شمال إفريقيا بدأت بعلاقات تجارية قديمة بين مصر والهند ، وهي ذات تاريخ بعيد. فكانت تتبادل التجارة مع إفريقيا عبر التجارة البحرية التي كانت تتجه نحو الجزيرة العربية وعمان التي لعبت الدور المباشر في التجارة بين الهند وإفريقيا، وذلك لارتباط عمان ببلاد شرق إفريقيا منذ أمد بعيد حيث استقر العمانيون على امتداد السواحل الإفريقية في القرنين السابع والتاسع الميلاديين،وقد شارك التجار العرب في تجارة الذهب مع بعض الدول الإفريقية وبعض دول شرق إفريقيا.(113)

كانت العلاقات المصرية الهندية في نمو كبير على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية، حيث تصدر مصر إلى الهند القطن والأسمدة الخام والأسمدة المصنعة والبترول والجلود والفوسفات، وتستورد مصر من الهند غزل القطن والسمسم والشاي والتوابل وقطع غيار وسائل النقل وغيرها، وشمل التبادل التجاري بين إفريقيا والتجار الهنود السمن واللبان وجوز الهند والتمور وحامض الليمون والملح والسمك المُجفف وقوقعة السلحفاة وزعانف سمك القرش والأغنام والقطن من عمان، والعنبر والعاج وخشب الغابات والبهارات من إفريقيا توسع العمانيون في تجارتهم عندما طردوا البرتغاليين من الموانئ الإفريقية، وكان التجار الهنود يتبعون العمانيين إلى شرق إفريقيا حيث تعاون التجار والبحارة الهنود معاً للتنافس مع القوى الأوروبية في المحيط الهندي، مثلاً في تجار القهوة من اليمن. (114)

كانت التجارة مع الهند في مسقط، والتي كانت تسيطر بالفعل على الممر إلى الخليج الفارسي، وكانت هذه التجارة يقوم بها الهنود المقيمين في عمان، مثل أفراد من غوجارات (*) الذين لا يزال أحفادهم يعيشون هنالك حتى الآن وقد كانوا يعملون من خلال شركاء أو وكلاء لهم في بومباي(*)

---

(112) العمري ، بن فضل الله : مرجع سبق ذكره، ص 236

(113) سالم، محمد سعد: التاريخ الإفريقي، جامعة السودان المفتوحة، ط11، 2006م، ص 142.

(114) الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 64.

(*) غوجارات: هي ولاية تقع في شمال غرب الهند .عاصمتها غانديناغار التي سميت على اسم المهاتما غاندي . وهي ولاية تاريخية وصناعية، وتشمل جزء من مومباي .تجاور منطقة غوجارات بحر العرب وباكستان .

– الندوي: مرجع سبق ذكره، الهند القديمة، ص 72.

(*) مومباي: هي المدينة الأولى في الهند والمركز الأقتصادي والثقافي والتجاري للهند ومومباي تقع على الساحل الغربي للهند وفيها ميناء.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ص 135.

وكانت معظم هذه البضائع مُخصصة لبلاد مثل الصين والهند والعراق. كما لعب العمانيون دوراً هاماً في تجارة الرقيق بين إفريقيا والشرق، حيث كان سوقها الرئيسي يقع على جزيرة زنجبار. وكانت عوائد السوق من استحقاق الحاكم العماني. وكان يتم نقل الرقيق من إفريقيا إلى العراق في العهد العباسي. كما كانت معظم التجارة الأسيوية تأتي إلى إفريقيا عن طريق اليمن وقد ساعد في ذلك وقوع اليمن على البحر الأحمر وتعرض التجار للتأثيرات العسكرية التي كانت تهدد الطرق التجارية البرية مثل ظهور المغول سواء عبر وسط آسيا أو طريق العراق فكانوا، يسلكون الطرق الآمنة عبر باب المندب باليمن مما ركز حركة التجارة الدولية عبر طريق اليمن والبحر الأحمر وكانت بعض السفن تأتي إلى الحبشة. إن العلاقات بين الهنود وإفريقيا قديمة وسابقة للإسلام بقرون عديدة، فقد جاء الهنود للتجارة عبر البحر الأريتري [*1] . [115]

وكانت الهند تصدر خشب الساج [*2] إلى إفريقيا والخيول، والسيوف الهندية والفضة، والماس والبلور، ووحيد القرن. وكما عثر في مقديشو على أربعة عملات من سيراف تعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي.[116]

ثانياً: العلاقات الغير مباشرة:

تعاونت القبائل الإفريقية مع العرب في التجارة ،حيث كان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى الساحل بالذهب والعاج، فيتقايضون مع التجار العرب المتعاملين معهم بما يحملونه، وكانت البضائع الإفريقية غالباً ما تجمع في المراكز التجارية التي أقامها العرب على الساحل إلى حين موسم الرياح حيث يتم نقلها إلى الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية في رحلة العودة، وكان العرب هم الذين يتعاملون مع التجار الآفارقة وعبرهم يتم نقل البضائع إلى الهند. [117]

تشير الباحثة إلى أن حركة الرياح الموسمية كان لها الفضل في نقل البضائع عن طريق التجار العرب الذين يمكثون مع سفنهم لحين هبوب الرياح وفي هذه المدة كانوا يحتكون بالتجار الآفارقة وتجارتهم.

لقد أصبحت الإسكندرية منذ القرن الأول الميلادي مدينة عالمية ثانية بعد فينيسيا (Venice) [*] ،أما من الناحية التجارية فقد صارت المركز الأول في العالم دون نزاع، وازداد تردد القوافل التجارية بين الإسكندرية وجنوب الهند من ميناء مالبار على بحر العرب، وقد كانت القوافل الهندية تحمل في تجارتها التوابل، والعاج والحيوانات كالقرود وكذلك الأحجار الثمينة موضع الإعجاب في بلاد الشرق الأوسط وأوروبا وكانت تحمل هذه البضائع بكميات هائلة إلى الإسكندرية ومنها كانت

[*1] البحر الإريتري: يقصد به المحيط الهند.

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 144.

[115] شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 148.

[*2] الساج: شجر عظيم لا ينبت إلا في بلاد الهند ويستخدم في صناعة السفن وبناء المنازل .

- ابن منظور: مصدر سبق ذكره، ص 264.

[116] سالم: مرجع سبق ذكره، ص 130.

[117] جمال، زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، المنظمة للثقافة والعلوم،1975م،ص54.

[*] فينس: عاصمة الروم في شمال إيطاليا، هي مدينة الأوس القديمة.

- النمر: مرجع سبق ذكره، ص 22.

توزع وتشحن إلى البلاد الأخرى، ولقد عرف الملاحون في هذه الآونة طبيعة الرياح الموسمية المؤدية إلى الهند فاستغلوها لتسهيل المواصلات إلى الهند [118].

وكانت مصر هي المركز الرئيس الموزع للسلع، فالكل يشتري احتياجاته منها، فضلاً عن أنها كانت الحاجز أو المانع أمام تجار الغرب الأوروبي فكان ممنوعاً عليهم تجاوز القاهرة جنوباً، وفي نفس الوقت كانت توجد جاليات إسلامية على الساحل الأوروبي، ويتنقل التجار إلى أوروبا من مصر وبالعكس. [119] اما المواشي تعد في وادي نهر الهند للتجارة مثل الفيلة والجواميس، وقد حرصوا على تربيتها وترويضها والعيش عليها، ولكن لا توجد أي إشارة إلى وجود خنازير كما نجد الخيول والإبل ولم تكن من الحيوانات الأصلية للهند بل دخلت لها من مصر.[120]

وقد لعب العمانيون دوراً كبيراً في إثراء حركة التجارة بين إفريقيا والهند، حيث أنهم يمثلون وجوداً كبيراً في شبه القارة الهندية، ولعل أكبر جالية عربية هناك من العمانيين ويطلق عليها عربتية أو عربتاك نسبة إلى العرب، حيث أن العمانيين يعملون تجاراً في المحيط الهندي.[121]

(3) العلاقات التجارية الهندية مع أوروبا:

إن علاقة أوروبا بالهند علاقة قديمة فقد نشأت منذ فجر التاريخ وقد دلت الدراسات الكثيرة على ذلك خاصة علماء الآثار وعلم الوراثة الأثري فافترضوا أن وجود الهنود الأوروبيين البدائيين أثناء أواخر العصر الحجري الحديث، أو ما يقرب من أربعة آلاف عام قبل الميلاد في منطقة سهول الغابات مباشرة الواقعة شمال الطرف الغربي من سهول بحر قزوين في شرق أوروبا. [122]

لقد كان المحيط الهندي منذ أزمان قديمة مسرحاً لحركة تجارية ضخمة، وكانت السفن الهندية منذ فجر التاريخ تبحر من البحر العربي وتتوغل حتى موانئ البحر الأحمر وتمتد حبال العلاقات الثقافية والتجارية الوثيقة مع دول أوروبا، وفي الحقيقة إن تجارة الافاوية التي كانت تغذي أوروبا والتي كانت عاملاً قوياً لجذب الغربيين- بل كانت تحمل من الموانئ الهندية عن طريق البحر الأحمر. [123]

كما عبر اليونانيون المحيط الهندي في القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد وقد اكتشفوا الطريق المباشر من شبه الجزيرة العربية إلى الهند خلال ذلك الوقت، حيث توطدت العلاقات التجارية بين مصر الرومانية وبعض ممالك جنوب الهند. وفي أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد وصلت فروع الهنود الأوربيون البدائيون إلى الأناضول وإيجة وغرب أوروبا ووسط آسيا وسيبيريا الجنوبية. [124]

---

[118] الندوي: المرجع السابق، ص 208.

[119] شوقي: تجارة المحيط، مرجع سبق ذكره، ص 143.

[120] الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 41.

[121] جورج، حوراني فاضلو: مرجع سبق ذكره، ، ص22.

[122] شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 45.

[123] المرجع السابق، ص 46.

[124] السعدون، خالد: مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى عام 1971م. جداول للنشر والتوزيع، بيروت. 2012م.

يرجع الفضل في إكتشاف الطريق البحري من رأس الرجاء الصالح إلى شواطئي الهند للمستكشف الهندي فاسكو دا جاما في عام 1497م، وأصبح بذلك أول أوروبي يبحر إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح بإفريقيا ومنها توجه بعد ذلك إلى الشرق الأقصى وكانت السفن الأوروبية مسلحة بمدافع ثقيلة فهيمنت بسرعة على التجارة. وقد لعب الموقع الجغرافي للهند دوراً سلميا في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، في المجال التجاري والاقتصادي. كما احتلت الهند موقعاً حيوياً في تجارة المحيط الهندي ولاأنها سيما انها كانت تسد حاجة أوروبا من التوابل لحفظ الأطعمة وكان الخليج العربي وعمان يقومان بدور الوسيط لنقلها، خصوصا وأنها تفوق الأخرى ليس في العدد فحسب، بل الأصناف أيضاً حيث يكثر نوعها كما أنها كانت ذات قيمة عالية نسبة لشدة الطلب عليها. [125]

وكانت أوروبا تصدر للهند خام النحاس الأحمر ومن اليمن الأواني القديمة المكسورة لإعادة تصنيعها مما يدل على امتياز الهند وتفوقها في صناعة المعادن التي اشتهرت بها والمتمثلة في السيوف الهندية [126]

لعبت اليمن دوراً كبيراً في تجارة البحر الأحمر وذلك من خلال قدرتها على التحكم والسيطرة على الطرق التجارية، وذلك بحكم وقوع أهم المضايق المائية بها وهو باب المندب، وقد مثلت السوق والمركز التجاري لكل سلع الشرق والغرب على حد سواء، كذلك برزت أهمية الدولة اليمنية في قدرتها على ضبط وتنظيم هذا النشاط التجاري الضخم عبر موانيها كما تأتي في قدرتها على تشجيع التجار وحمايتهم وضمان حقوقهم ومنع الغش التجاري بأنواعه. [127]

كان هنالك تبادلاً تجارياً في مختلف السلع والمنتجات بين الهند ومصر ودول أوروبا، حيث يتم التبادل بينهم، وكان لتجار المحيط الهندي خانات ووكالات تجارية لمدن مصر وخاصة القاهرة. [128]

اعتمدت التجارة بين دول الشرق وأوروبا في العصور الوسطى على المنتجات الزراعية والمعادن، والثروات الحيوانية، وكان ذلك عبر المبادلات التجارية. وظلت العلاقات التجارية بين الشرق والغرب مزهرة طوال فترة العصور الاوسطي ، فقد كان الغرب يحتاج إلى الشرق في استيراد سلعتين هامتين آنذاك هما الحرير والبخور، واحتلت الهند موقعاً حيوياً في تجارة المحيط الهندي خاصة أنها كانت تسد حاجة أوروبا من مادة كثر الطلب عليها وهي مادة التوابل لحفظ الأطعمة وكانت عمان تقوم بدور الوساطة لنقل هذه المادة وغيرها عبر الخليج العربي خاصة وأن التوابل تفوق الأخرى ليس في العددية فحسب، بل الأصناف أيضاً حيث يبلغ نوعها 36 نوعاً كما أنها كانت ذات قيمة عالية نسبة لشدة الطلب عليها. [129]

كانت مصر الموزع الرئيسي للسلع لتلك المناطق الأوربية، وكان التجار يخرجون من مصر حاملين منتجاتها والمنتجات الأوربية التي تحتاجها دول الهند ويبادلونها ويبتاعون ما تحتاج إليه الأسواق

---

[125] السعدون، خالد: مرجع سبق ذكره ، ص 146.

[126] المرجع السابق، ص 148.

[127] كامبيل، كولن وآخرون: نهاية عصر البترول، ترجمة عدنان عباس علي، الكويت 2004، ص292 .

[128] كامبيل : المرجع السابق، ص 146.

[129] فلوريان، كولماس: مرجع سبق ذكره ، اللغة والاقتصاد، ص 146.

المصرية والأوربية، وللكثير من تجار المحيط الهندي خانات ووكالات تجارية بمدن مصر وخصوصاً القاهرة. [130]

وخلاصة القول نجد من أهم المعالم التي لعبت دوراً بارزاً في نمو العلاقات التجارية الهندية موقعها الرابط بين عدة قارات لاسيما شبه الجزيرة العربية ، وعمان واليمن، وأن التجارة قد مثلت سنام الحراك الكلي للمجتمع، ولها الدور الأكبر في ترابط الشعوب وتداخل الأجناس، وهي بذلك لعبت دوراً كبيراً في نشر الدعوة الإسلامية وساعد في ذلك وجود الطرق وتنوعها بين بحرية وبرية كما كانت السفن من أهم وسائل النقل آنذاك لتنقل السلع المختلفة، كما نخلص إلى أن الهند من المناطق التجارية التي اهتم بها العرب قبل الإسلام وبعده.

كما أن السلع المتوفرة والنادرة ساعدت في زيادة الأنشطة التجارية بين شبه القارة الهندية وأوروبا مما جعلها عرضه للأطماع وهذا إن دل فإنه يدل على ما تذخر به شبه القارة الهندية من خامات تجارية نشّطت التجار على ارتياد البحار طلباً لتلك المواد التجارية الأمر الذي ساهم في بناء علاقات قوية ومتينة مع كثير من الدول المتاخمة للهند والدول العربية وأدى لنقل كثير من الثقافات بين تلك الدول والهند.

---

[130] المرجع السابق ، ص 154.

الفصل الثاني

التجار المسلمون في شبه القارة الهندية

أ - دور التجار العرب في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية في العهد النبوي:
(1- 11 هـ / 622 – 632 م)

إن التجارة من المهن التي تكسب الفرد الكثير من الأمور، فلا غرابة في أن يكون لها دور في انتشار الإسلام في كل بقاع العالم عامة، وشبه القارة الهندية خاصة، وبفضل موقعها الاستراتيجي لعبت مكة قبل الإسلام الدور الرئيس في التجارة المحلية والخارجية، وكان المجتمع آنذاك في شبه الجزيرة العربية يعتمد إلى حد كبير على التجارة، وشكل التجار العرب في تلك الفترة وما تبعها في بداية عهد الخلفاء الراشدين(ﷺ) العمود الفقري للتجارة العربية، فلا غرابة أن النبي(ﷺ) كان يتاجر قبل البعثة وأول رحلة خرج فيها الرسول(ﷺ) وهو صبي خروجه مع عمه أبو طالب (ﷺ)[*] إلى الشام[*1] ولعل إرادة الخالق أن يمتهن هذه المهنة لما يعلمه من جليلها ورفعتها [131].

وكان لمقتضى الحياة التجارية في بيئة المصطفى (ﷺ)، أثر في أن يتجه إلى التجارة، والعمل فيها فترك مهنة الرعي واتجه للاستثمار في أموال السيدة خديجة(ﷺ) بصحبة عمه في رحلاته التجارية الداخلية والخارجية، فعرف الأسواق ، وطرقها وكيفية العمل التجاري، ومن بين أسفاره التي سافرها توجه في قافلة قريش المتجهة إلى الشام حيث كانت الرحلات التجارية تكون بين الشام ومكة أو مكة واليمن ، وهما رحلتان مشهورتان وردتا في القرآن الكريم في قوله تعالي:(إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)[*] التي تحمل البضائع التي ترد إلى مكة من بلاد الهند واليمن، مثل التوابل

---

[*]هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، عم الرسول(ﷺ)، كفله بعد وفاة حده عبد المطلب، حضر مبعث الرسول (ﷺ) ولم يؤمن به، وكفاه شر قريش، كان سيداً شريفا مطاعاً مهيباً، توفى بعد وفاة السيدة خديجة(ﷺ) ، وله ست وثمانون سنة وقيل تسعون سنة.

– اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح: كتاب البلدان ،مطبعة مدينة لدن،1891م، ص 336.

*[1] الشام:هي بلاد واسعة كانت مقر الخلافة الأموية، سميت الشام إلى سام بن نوح يحدها من الشرق نهر الفرات ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب مصر ومن الشمال الثقور وبها مدن كثيرة منها دمشق وعكا وحماة بيت المقدس وطرابلس وغيرها من المدن وكانت تشمل الشام سوريا ولبنان وفلسطين والأردن.

– الحموي: مصدر سبق ذكره ، ج1، ص 138.

[131] ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام :السيرة النبوية ،مطبعة بلبي الحلبي القاهرة ،1955،ص48.

*() سورة قريش :الآية 2

والأسلحة والعطور والحرير والبخور إلى الشام وتجلب منها الأقمشة الكتانية والقطنية والأواني والزيت والزبيب والحنطة والتمر، وجد القافلة وفيها عمه أبو طالب، فابتغى أن يكون مع هذه القافلة ليزداد خبرة ، في شؤون التجارة، التي يمارسها كبار التجار بمكة، وتعرف على الأحوال، ويكون على خبرة بالحياة، وما يجري فيها (132).

ويقال أنه(ﷺ) لما سافر مع عمه كان صبياً وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل أن عمره كان اثنتي عشرة سنين وشهرين وعشرة أيام، ارتحل به أبو طالب تاجراً إلى الشام . ويلاحظ الفرق الطفيف في تقدير عمره (ﷺ) ، فيما ذهب إليه كل الرواه لا يخرجه (ﷺ)، عن ممارسة مهنة التجارة وهو صبياً وهذا ما أجمعت عليه كل مصادر السيرة الشريفة. (133)

إن انتماء الرسول(ﷺ) إلى بني عبد مناف الذين وصفوا بأنهم أشرف العرب قاطبة، وقد لعبوا دوراً بارزاً في إنماء تجارة مكة المحلية والخارجية. ولهم علاقات طيبة مع ملوك الدول المجاورة ورؤساء القبائل العربية المسيطرة على طرق التجارة الخارجية وكان أهل قريش (*)

والمدينة(*) والطائف (*1) يعملون بالتجارة بأعداد كبيرة وبمستويات متفاوتة، وقد كانوا بين تاجر مرتحل ومتنقل وتاجر ثابت لا يتنقل بتجارته، كما ظهرت في المدينة طبقة من التجار المكيين الكبار من الصحابة (ﷺ) وغيرهم من التجار وكانت تجارتهم تجوب البلدان والأقطار حتى بلغوا بلاد

---

132 ابن كثير، السيرة النبوية، ج1، ص 83.

133 ابن كثير، مرجع سابق، ص 83.

– المباركفورى، صفى الرحمن: مرجع سابق، ص 58

(*) قريش: هم ولد النضر بن كنانة وقد أجاب الرسول (ﷺ) حينما سئل عن قريش فقال: من ولد النضر وهم بني فهر الذي هو قريش حين جمعهم قصي بن كلاب إلى الحرم. وفي اللغة العربية تعني القرش وهو أجمع وأبين، وسمي قريش لاحترافهم بالتجارة .

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص 356.

(*) المدينة: واسمها القديم يثرب، وقد ورد كل من الاسمين في القرآن الكريم وسميت يثرب على من بناها واسمه يثرب بن قابته وسماها النبي (ﷺ) طيبة، ولها عدة أسماء أخرى، ويقال أن أول من بناها هو تبع الأول.

– القلقشندي: مصدر سبق ذكره، 205.

(*1) الطائف : هي مدينة تقع في منطقة مكة المكرمة غرب السعودية، جميلة وذات طبيعة خلابة وجو بارد.

–الحموي: مصدر سبق ذكره، ج، ص 194.

السند والعراق ومصر. كما قدم التجار الذين دخلوا في الإسلام دعماً مالياً واقتصادياً للدعوة الإسلامية أمثال السيدة خديجة [*2] بنت خويلد (ﷺ) التي أنفقت مالها على المؤمنين عندما حاصرت قريش المسلمين بالشُعب ثلاث سنوات، وكذلك أبو بكر الصديق (ﷺ) أنفق كل ما معه في سبيل الدعوة، وتبرع عمر ابن الخطاب(ﷺ) بنصف ماله عندما حث الرسول (ﷺ) المسلمين على التصدق، وعثمان بن عفان(ﷺ) [*3] بماله فتصدق به على الفقراء[134].

ترى الباحثة من هذه الأمثلة أن ما قدمه تجار مكة في أيام الرسول (ﷺ)من مال جمعوه من تجارتهم الرابحة، خير دليل على أهمية التجارة والتجار في دعم الرسول (ﷺ) والدعوة الإسلامية والتي امتدت بذات المنوال إلى مضارب السند.

وتولت مكة قيادة القوافل العربية المنطلقة من شبه الجزيرة العربية إلى الخارج وربطت مصالحها الاقتصادية بمصالح القبائل العربية بواسطة التجارة، وتركزت هذه العلاقات التجارية بالمدينتين الجارتين الطائف والمدينة، فضلاً عن بلاد الشام التي غدت في العهود السابقة للدعوة الشريك التجاري الأكبر والأهم لأهل شبه الجزيرة العربية وتجارها.[135]

كما نجد في مكة أن بعض التجار عملوا على حرمان المحتاجين بتخزين السلع حتى غلاء أثمانها، كما كانوا يشكلون أحلافا داخلية مع بطون قريش، وفي خارج مكة، فنتج عن ذلك محاولات

---

*[2] السيدة خديجة بن خويلد : زوجة الرسول (ﷺ)، امرأة حازمة وعاقلة وشريفة، ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها، تاجر الرسول (ﷺ) في مالها مع ميسرة مولى السيدة خديجة(ﷺ) كرمها الله بزواجها من الرسول (ﷺ) ورُزق منها فاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب .

- ابن الأثير :أسد الغابة في معرفة الصحابة ،دار الكتب العلمية،ط1 ،1994/1415 ، ج2، ص 40.

(*3) عثمان بن عفان:هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية ، ثالث الخلفاء الراشدين (ﷺ) ومن العشرة المبشرين بالجنة واحد الرجال الذين أعز الله بهم الإسلام ، ولد بمكة قبل الهجرة ، كان غنيا شريفا في الجاهلية وفي الإسلام ، جهز جيش العسرة من ماله، وفتحت أيام خلافته أرمينيا والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقيه وقبرص، ثم جمع القرآن ووسع الحرمين ، توفي رضي الله عنه شهيداً في 18/ ذو الحجة.

- ابن كثير ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص 62 .

[134] اليعقوبي، مصدر سبق ذكره ، ص 81.

[135] الندوي: مرجع سبق ذكره ، ص 52.

بعض العشائر المنتشرة على الطرق التجارية لبسط سيطرتها على مناطق تخص عشائر أخرى، مما أدى لظهور حالة من التوتر بين العشائر المستقرة وتلك البدوية، وبات هذا التوتر يشكل تهديداً للتجارة المكية التي بدأت تنظر للأمر بجدية وتحاول أن تصون تجارتها فحاول كبار تجار قريش وقادتها ضبط الوضع، فلجأوا إلى النبي (ﷺ) فعمد إلى إيجاد المخارج التي تجنب مكة خراب تجارتها. وكان فكره (ﷺ) في البداية، إصلاح الأوضاع بالتقليل من السعي وراء الثروة وحرمان الضعفاء وإهمال الفقراء. غير أن هذا الأمر كان يتطلب من أثرياء قريش تضحية لم يرضوا بها ولم يصغ لنصحه إلا العدد القليل. [136]

وحاول الرسول (ﷺ) أن يجد الدعم الخارجي الذي يتحدى به مكة بعد أن حاربته بقطع التعاون التجاري معه والمسلمين، فتوجه في بادئ الأمر إلى بني ثقيف [*] في الطائف، وهم شركاء ثانويون في التجارة المكية والطائف خاصة بعد أن اشتد الحصار على النبي (ﷺ) بمكة، فهاجر إلى المدينة التي أيضاً كانت تشهد توتراً تجارياً بين اليهود وسكان المدينة، كما سبق انتقال الرسول (ﷺ) إلى المدينة مساومات طويلة انتهت بما يسمى بالصحيفة التي أسست لرابطة جديدة ضمت كل مجموعة قبلت التعاون مقابل قبولهم بسلطة الرسول (ﷺ) وانضم اليهود إلى هذه الرابطة بشيء من التحفظ والتردد، ورغم أن الصحيفة لم تشر إلى أي اتفاقيات تجارية، فإنها حددت شروطاً ترسخ للدعوة الإسلامية، وإعلان المدينة حرماً من قبل الرسول(ﷺ) أقوى دليل على قيام مركز جديد للتجارة، وأضحت المدينة بعد هجرة الرسول(ﷺ) إليها مركزاً تجارياً مهماً بعد أن كانت نقطة مرور للقوافل التجارية، وأخذ كبار التجار الذين دخلوا في الإسلام يخرجون في قوافل تجارية الى بلاد الشام أمثال طلحة بن عبد الله، وسعيد بن زيد[*1](ﷺ) ، وزيد بن حارثة[*2](ﷺ). وبالمقابل نشطت التجارة القادمة

---

[136] المسعودي : مصدر سبق ذكره ،ص 104.

[*] ثقيف: قبيلة عربية تقيم منذ ما قبل الإسلام وإلى اليوم في مدينة الطائف وما حولها وغرب شبه الجزيرة العربية.

– ابن الأثير: مصدر سبق ذكره ، ج1، ص 83.

[*1] سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن قريش بن كنانة أحد العشرة المبشرين بالجنية.

– ابن هشام ، مصدر سبق ذكره، ج2 ، ص 300.

من الشام بالوصول إلى المدينة وأصبحت هذه الحاضرة محط أنظار التجار الأنباط [*3]، ينقلون إليها مختلف أنواع البضائع، واستغل اليهود، هذا الانفتاح والتطور الجديد، فقاموا بتنشيط تجارتهم في المدينة وفي بقية مدن الحجاز، خاصة في مجال تجارة التمور والشعير وبعض أنواع الأطعمة[137].

وصل الإسلام إلي الهند مبكراً وتمثل أول قدوم للإسلام عبر البحر حيث انتقل الإسلام عن طريق التجار العرب الذين تعاملوا مع مواني سواحل الهند، وحمل التجار العرب الدين الجديد في بدايته إلى الهند، ومدنها التي وصل إليها العرب المسلمين. ومما لاشك فيه أن الرحلات التجارية التي كانت تسهل مهمتها الرياح الموسمية أثمرت في انتشار الإسلام على طول سواحل الهند، وأقبلت الطبقات المستضعفة على اعتناق الإسلام فدخلت العديد من القبائل الهندية فيه مثل جماعة (مكهة – ون) [*]، وشيئاً فشيئاً انتقل الإسلام من الساحل نحو الداخل في هضبة الدكن، والتي استقرت بها جماعات عديدة من العرب. كما عبر الإسلام من ساحل مليبار إلى جزائر ملديف.[138] ويذكر التاريخ أن العرب في الجاهلية على صلة بالهند وكانت العلاقات بينهما علاقات تجارية بحتة، ومع معرفة العرب للنظام الاجتماعي في الهند وما فيه من فروق واضحة وتباين إلا أن هذا لم يكن من المؤثرات عندهم.[139]

كما أن الروابط التجارية والعلاقات بين الهند والعرب علاقات قديمة منذ أقدم العصور إلى عصر النبي(ﷺ) وهي علاقات تتمحور في التجارة والمعيشة، فنجد عدة جاليات هندية في بلاد العرب سكنوا في قطوفها وسواحلها ومدنها حتى صاروا من المواطنين كالسند والهند والزط[*] وكانوا

[*2] زيد بن الحارثة من بني قضاعة أسامة حِب رسول الله (ﷺ)، استشهد في مؤتة سنة 8 هـ وهو ابن 55 سنة.

– ابن هشام: المصدر السابق، ج2، ص 305.

[*3] الأنباط: مملكة عربية قديمة قامت في شبه الجزيرة العربية وشملت في بدايتها الأردن وشمال غرب السعودية، عاصمتها الأولى مدينة الحجر ثم انتقلت إلى البتراء بالأردن .

– حسن فهد حماد: موسوعة الآثار التاريخية، عمان، دار أسامة للنشر، 2003، ص 49–50 .

[137] محمود شاكر: مرجع سبق ذكره، ص 359.

[*] مكهة ون: هم طبقة السماكين .

– سيد ، توماس: مرجع سبق ذكره، ص 31.

[138] البلازري: مصدر سبق ذكره، ج 2، ص 375.

[139] المسعودي، مصدر سبق ذكره ، ص 35.

) *(الزط: أصل الكلمة جت الفارسية وحرفها العرب، وتعني جيل من الناس الواحد زطي، وهم صنف من السودان، ومن أهل المغرب والهند صنف من الزط.

– العسقلاني، أبي الفضل احمد بن علي بن حجر:هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تم التحقيق بدار أبي حيان، ط1، 1996م، ج1، ص244.

يعيشون مع قبائل العرب مع بقاء تقاليدهم القديمة، وعاداتهم الهندية، بحيث كانوا يعرفون بهيئآتهم وأجسامهم وألوانهم وصورهم وشعورهم وألبستهم[140]

وفي عهد النبي (ﷺ) أرسل إلى ملك مليبار[*1] في عام (7هـ، 628م) رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، ويُرْوَى أن أحد ملوك الهند قد زار النبي (ﷺ) .[141]

كما وصلت إلى بلاد مليبار جماعة من الدُّعاة المسلمين العرب، على رأسهم مالك ابن دينار[*2](ﷺ) ، ونزلوا في مدينة "كدنغلور"، ثم جابوا جميع أنحائها داعِينَ إلى الإسلام وبنوا العديد من المساجد، كذلك كان لحركة التجارة ووصول التجار المسلمين إلى تلك البلاد دور كبير في نشر الإسلام في بلاد الهند. [142]

كان الرسول (ﷺ) والصحابة يعرفون أجيال الهند وأفرادها وعندما وصل خبر بعثة النبي (ﷺ) إلى بلادهم أرسل أهل سرنديب بعثة دينية إلى المدينة [*3]، ولكن لم تصل في حياته. وبعث أحد ملوك الهند [*] هدية إلى النبي (ﷺ) وهي عبارة عن الزنجبيل وهو في المدينة، فطعم منها واطعم منها. [143]

---

(140) المباركفوري، القاضي أظهر: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار بالقاهرة، بدون تاريخ، ص 21.

[*(1)] مليبار : إحدى مقاطعات جنوب غربي الهند.

- توماس ، مرجع سبق ذكره ، ص 45

[(141)] مسعود ، الندوي، مرجع سابق، ص 254

[*(2)] مالك بن دينار: هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري. قال الذهبي :علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين. ومن الكُتاب التقاة ، كان من ذلك بلغته.

- شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 1422هـ/ 2001م ،ص362

[(142)] الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 258.

[*(3)] المدينة: اسمها القديم يثرب وقد ورد كلا الاسمين في القرآن وسميت يثرب على من بناها واسمه يثرب بن قابته وسماها النبي (ﷺ) طيبة وهي مدينة الرسول (ﷺ) وهي في مقدار نصف مكة ولها عدة اسماء اخرى ويقال أول من بناها هو تبع الأول وبها قبر الرسول (ﷺ) .

- القلقشندي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 285-286.

[*)] ملك الهند: كان الملك من أسرة رحمى التي كانت تحكم على أرض البنغال وكان ملوكها يرسلون للملوك المجاورة الهدايا والتحف خصوصاً هدية الزنجبيل.

-القاضي، الرشيد بن الزبير: كتاب الزخائر والتحف، د.ت، ص 43

[(143)] العرب والهند في عهد الرسالة: ترجمة عبد العزيز عزت عبد الجليل،1973م، مصر.

فكل من سمع من أهل الهند عن النبي (ﷺ) وبدينه بادر إلى التحقق منه، ولقد أسلم في عهد الرسول (ﷺ) رجلين من أهل الهند أدركا النبي (ﷺ) واسلما وهما الأول بيرزطن الهندي اليمني المدرك[*1]، والثاني طبيب مدني[*2] عالج أم المؤمنين عائشة (ﷺ) [*3].ونجد أن النبي (ﷺ) قد استعمل بعض أشياء الهند التي كانت توجد عند العرب وتباع في أسواقها.

وأمر الصحابة بالتداوي ببعض الأدوية الهندية كالمسك والعود الهندي[*] والقسط الهندي والكافور[*1] والزنجبيل اللذان ذكرا في القرآن الكريم. قال تعالى(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً) [*]. وقال تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً). [*]

كما ذكر المسك في أحاديث كثيرة، عن أنس (ﷺ) قال : كان لرسول الله (ﷺ) مسكه يتطيب منها وكان يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته، وقال للصحابة من خير طيبكم المسك) وكانت

[*1] بيرزطن الهندي: شيخ كان في زمن الأكاسرة له جند مشهور في حاشيته عرف بالتين ، ثم أدرك هذا الشيخ الإسلام فأسلم.

–ابن حجر،شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن علي :الاصابة في تمييز الصحابة، ج1، مكتبة الكيان ،القاهرة ،1976م، ص 178.

[*2] طبيب مدني: من أهل المدينة أدرك عصر النبي ﷺ وأسلم في حياته.

–ابن حجر، المصدر السابق، ج1، ص 178.

[*3] عائشة: هي عائشة بنت أبي بكر الصديق أمها، أم رومان بنت عامر بن عدي بن عبد شمس، تزوجها النبي (ﷺ) وهي بنت التاسعة ولقبت بالحميراء، وكان كبار صحابة رسول الله (ﷺ) يسألونها وكانت تفتي، انتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى في بيتها ودفن به، وكانت تكنى بأم عبد الله، وهي صاحبة حادثة الإفك وقد برأها الله وكذلك هي صاحبة موقعة الجمل .

– ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج 3، ص 374–375.

[*] العود الهندي: هو الكسن وقال النبي (ﷺ) لأم قيس بنت محصن عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية، يستعط به من العذرة ويعد به من ذات الجنب.

– العلايلي: مصدر سبق ذكره، ص 590 .

[*1] الكافور: مادة عطرة تستخرج من شجرة الكافور وتستخدم في الطب وفصيلة الكافور من فصيلة الناريات ومهدها الأصلي جنوب الصين وأوراقها دائمة وأزهارها بيضاء مائلة للصفرة.

– العلايلي: المصدر السابق ، ص 690.

[*] سورة الإنسان: الآية 17.

[*] سورة الإنسان ، الآية 5.

السيدة فاطمة[*2] (ﷺ) تغسل الحسن [*3] وتلبسه سخايا[*4]. كما بعث سعد بن زرارة إلى الرسول (ﷺ) بسرير له عمود، وقوائمه ساج، فكان ينام عليه، حتى تحول إلى منزل أبي أيوب الأنصاري[*5] فكان ينام عليه حتى توفي.

كما كان للسيدة عائشة (ﷺ) سرير من خشبتي الساج منسوج بالليف وبيع في ميراث عائشة (ﷺ) فاشتراه رجل من موالي معاوية [*] بأربعة آلاف درهم وجعله للناس. كما كان لحجرة عائشة (ﷺ) باب واحد وكان من عرعر الساج ونجد الرسول(ﷺ)أصاب من سلاح بنى قينقاع [*1] ثلاث أسياف سيفاً قلعياً وسيفاً يدعي بتارا، وسيفاً يدعى الحلف والسيف القلعي من السيوف الهندية الحقيقية. كما شبه كعب بن زهير بن أبي سلمى[*2] النبي(ﷺ) بالمهند وهو السيف الهندي:

---

*[(2)] فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) أُمها خديجة بنت خويلد ، ولدت في السنة الخامسة بعد البعثة، تزوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

–السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء ،مصر،مكتبة السعادة ،1371، ص 43 .

(*3) هو الحسن بن علي بن أبي طالب، سيد شباب أهل الجنة، ولد سنة 624م، كان يحبه الرسول (ﷺ)، وكان يحج ماشياً من المدينة إلى مكة، مات مسموماً سنة 49 هـ / 669 سنة ، وعمرة 47 سنة.

– الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء، موسوعة الرسالة بيروت، 1990، ج3، ص 245.

– السيوطي: مصدر سبق ذكره، ص 43.

*[(4)] سخايا: هو كالعقد يتخذ من العود والقرنفل والمسك ويجعل في ركاب الصبيان.

– المباركفوري: مرجع سبق ذكره، العقد الثمين، ص 157.

(*5) أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي النجاري.

– ابن الأثير: ، مصدر سبق ذكره، ص 46.

(*) معاوية بن أبي سفيان: كنيته صخر بن حرب بن أمية بن عبد الشمس، وأمه هند بنت عتبة، يكنى بأبي عبد الرحمن، كاتب الوحي، اسلم يوم الفتح، وقيل أسلم يوم الحديبية لكنه أخفى إسلامه ولم يظهره إلا يوم الفتح، وصف بالحلم والدهاء، مؤسس دولة بنو أمية، أول ملوك الإسلام وأول من اتخذ ديوان الحاكم، توفى سنة 60هـ / 680م ، ودفن في دمشق.

– ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج8، ص 182 – 183.

(*1) بنو قينقاع هي إحدى القبائل الثلاث اليهودية التي كانت تسكن المدينة المنورة في القرن السابع الميلادي. وقد أجلاهم الرسول(ﷺ)من المدينة في عام 624 م في السنة الثالثة من الهجرة.

– ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص 312.

(*2) زهير بن رباح المزني ، من قبيلة مضر ، كان حكيم الشعراء في الجاهلية ، كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها في سنة لذا سميت قصائده بالحوليات ، له ديوان شعر ، توفي سنة 13 هـ.

– الزركلي ، خير الدين : كتاب الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1992م ، ص 82 .

إن الرسول(ﷺ) لنور يستضاء به ** مهند من سيوف الله مسلول [144]

خص الرسول(ﷺ) شيوخ القبائل والأشراف وكبار التجار بعضاً من اهتمامه ورعايته، فوقف إلى جانبهم ورعى مصالحهم. فقد أعفى الرسول(ﷺ)التجار من ضريبة العُشور[*3] ودعاهم إلى أداء الصدقات، ومنحهم الهبات والمنح المالية والآقطاعات. ويشير التدقيق في قوائم الاقطاعات والمنح المالية التي قدمها الرسول(ﷺ) للمسلمين ان معظمها ذهب إلى التجار وملوك القبائل وشيوخها. فقد أقطع الزبير بن العوام(ﷺ) [*] أراضي في خيبر وبني النضير ومساحات واسعة من ارض الموات. وأقطع تميم الداري(ﷺ) [*1] منطقة الخليل قبل الشام وكتب له كتاباً بذلك. وكذلك أقطع عبد الرحمن بن عوف(ﷺ) [*2] أراض كثيرة، منها ارض في الشام بعد فتحها.وأقطع غيره من أراض اليمامة. [145]

---

[144] ابن الأثير: مرجع سبق ذكره، ج 9، ص 95.

[*3] ضريبة العُشور : هو مقدار من المال يفرض على التجارة التي يقدم بها أصحابها من الكفار إلى بلاد المسلمين ويجوز للإيماء أن يأخذ نصف العشر أو يزيد.

– الوكيل، محمد السيد: جولة تاريخية في عهد الخلفاء الراشدين، دار المجمع للنشر جده 1406هـ 1986م، ص21.

)*(عبد الله بن الزبير بن العوام :هو عبد الله بن هاشم القرشي، وأمه عاتكة بنت أبي ذهب بن عمر بن عائد بن مخزوم، كان يكنى بأبي بكر، ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً وهو أول مولود ولد بالمدينة في الإسلام، كان نجيباً، بنى الكعبة وطلب الخلافة وظفر بالحجاز، قتله الحجاج عام 73هـ وهو ابن 73 سنة .

– الدينوري، ابن قتيبية: المعارف wwwalwarag .com، ص52.

[*1] تميم بن اوس بن خارجة ، كان نصرانياً ، أسلم سنة 9هـ ، سكن المدينة وانتقل إلى الشام بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، نُسب إلى الدار وهو بطن من اللخم ، يُكنى أبا رقية ابنه له .

– القرطبي ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله : كتاب الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج1 ، تحقيق : علي محمد معوض ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1991م ، ص270.

[*2] عبد الرحمن بن عوف بن الحارثة بن زهرة أبو محمد الزهري،أمه الشفاء وهي القابلة التي ولد النبي(ﷺ) على يدها، كان سديد الرأي، هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، روى عن أبيه أنه من العشرة المبشرين بالجنة، كان تاجراً منفقاً في سبيل الدعوة الإسلامية.

– خالد، محمد خالد: رجال حول الرسول (ﷺ)، المكتبة العلمية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 149.

[145] أبو الدهب، مصدر سبق ذكره، ص 147.

ب - دور التجار العرب في انتشار الإسلام في القارة الهندية في العهد الراشد:

كانت التجارة دافعًا قويًّا للسفر، خاصَّة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وعدم وضْع الحواجز أو العوائق، وعمل الخلفاءُ المسلمين على تمهيد الطُّرق وتعبيدها وتأمينها، كما أنَّ الإسلام قد فَرَض ثقافتَه الداعية إلى الأمن ونشْر السلام الأمر الذي رغب التجار فيه ،كما أدَّى ذلك إلى زيادة نشاط الرَّحلات التجارية، فكانت التجارة سببًا من أسباب رواج وازدهار أدب الرَّحلات، حيث ألجأت التجارة التجار إلى الانتشار في أرْض لم يعرفوها، ولغة لم يُتقنوها، وطِباع أُناسٍ لم يألفوها، وأجناس من البَشر لم يخالطوهم من قبل، ولم يُعاشروهم، ولم يعاملوهم من قبلُ، وتناقل التجَّارُ أخبارَ رحلاتهم ومشاهداتهم، التي كثيرًا ما فيها المبالغة والمغالاة في الوصْف وتعظيم الصورة، وتهويل المواقف والأحداث، وتحمَّلت طبقةُ التجار – وخاصَّة المغامرين منهم – أعباءَ الرحلات، فخاضوا غمار البحار، من أجْل الكشفِ الجغرافي للمسالك والممالك والأسواق الجديدة؛ ترويجًا للسِّلع المحليَّة، كلبان عمَّان، وبخور اليمن، ولآلئ الخليج والند والصندل، وجَلْب السِّلع الرائجة، التي تحتاجها الأسواق المحليَّة في بلاد الإسلام، كحرير الصِّين، وأخشاب الهند، وجواهر سيلان [146].

لقد كانتْ طبقة التجَّار بمثابة المحرِّك الاقتصادي العالمي للدولة الإسلاميَّة، والعالَم ككلٍّ، وفي القرن الثاني للهجرة كان التجَّار أوَّل مَن وصل إلى الصِّين خلالَ رحلاتهم للتِّجارة والتبادُل التجاري مع الصينيِّين، إلى درجة أنَّهم كوَّنوا جالياتٍ إسلاميَّة مستقلَّة في الدول التي تاجروا معها، مثل الهند والصِّين، وقد تمتَّعت هذه الجاليات بامتيازات كبيرة. حتى إنَّهم كانوا يُعيِّنون قاضيًا لهم لحلِّ مشكلاتهم كتلك التي قامتْ بميناء خانقو الصِّيني، وكان العرب يحصلون على جوازاتٍ تسمح لهم بالتنقُّل في داخل بلاد الصين بغرض التِّجارة، وكان ميناء سيراف هو المركزَ الرئيسَ للرَّحَّالة العرب، ومنه كانوا ينطلقون إلى الصِّين، وفيه تجتمع السِّلع الواردة من المدن العربية وامتدَّ نشاط التجَّار العرب، حتى شواطئ الصين وكوريا شرقًا، وإلى روسيا وشمال أوروبا، وإلى الجُزر البريطانية وأيسلندا غربًا. [147]

---

[146] المباركفوري: مرجع سبق ذكره،العقد الثمين، ص 24.

[147] كراتشيكوفسكي: "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"، ترجمة: صلاح الدين هاشم، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987، ص 293.

كما أحدثَ التجَّارُ حالةً من الرَّواج التجاري، والحراك الدِّيني والدعوي، فعملوا على نشْر الإسلام في شرْق وغرب إفريقيا، والهند والصين وأندونيسيا، وساعدهم في ذلك علاقتهم الحَسَنة بالشُّعوب وحرية انتقالهم وساعَدَهم على ذلك هيبةُ وقوَّة الدولة الإسلاميَّة.[148]

سار الخلفاء الراشدون (ﷺ)على نهج الرسول (ﷺ) في تقديم التساهيل للتجار ومنح الاقطاعات واعطاء الهبات للتجار، ومن ذلك أن أقطع أبوبكر الصديق(ﷺ) أراض للزبير ابن العوام[*](ﷺ)وطلحة بن عبيد الله[*1](ﷺ). وأقطع عمر بن الخطاب(ﷺ) أرضاً لعبد الرحمن ابن عوف(ﷺ)، وأقطع الزبير بن العوام(ﷺ) العقيق بأجمعها. وسار عثمان بن عفان(ﷺ) على النهج نفسه وأقطع الكثيرين من التجار ووسع في منحهم الاقطاعات، سواء في الحجاز او في الامصار الجديدة. أقطع سوق المدينة المنورة للحارث بن الحكم، وأقطع اربعة اخماس أفريقية الى مروان ابن الحكم. [*2]

وتعد الهند من جملة البلاد التي تشرفت بقدوم الصحابة (ﷺ)، ولكن لم يتوغلوا في أعماق البلاد وإنما انحصر نفوذهم في مقاطعة السند وما جاورها من الأقطار[149].

وكان البحارة من العرب الذين كانوا يمرون بشواطئها الغربية ويتاجرون مع أهلها من قبل بزوغ شمس الإسلام، انحصرت دائرة نفوذهم في مليبار[150]

---

[148] المباركفوري: مرجع سبق ذكره، ص 75.

[*] الزبير بن العوام بن خويلد الأسد القرشي الصحابي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول (ﷺ)،إحدى العشرة المبشرين بالجنة، أول من سل سيفه في الإسلام، وكان كثير المال، قتل يوم الجمعة سنة 36هـ.

- ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج3، ص100.

[*1] طلحة بن عبيد الله: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي القرشي المسمى بطلحة الجواد، وهو واحد من العشرة المبشرين بالجنة، شهد أحد مع الرسول (ﷺ)وبايعه على الموت، وشهد الخندق، وكانت له تجارة في العراق، قتل يوم موقعة الجمل، سنة 36هـ.

- ابن سعد: المصدر السابق ، ج3، ص214.

[*2] مروان بن الحكم: هو ابن الحكم بن أبى العاص القرشي الأموي، ولد في حياة الرسول (ﷺ)، عام 2هـ – 623م، من سادات قريش، به إنتقلت الخلافة من العهد السفياني إلى العهد المرواني، سنة 64هـ، أشترك في موقعة الجمل، دافع عن سيدنا عثمان(ﷺ)، وبويع بالخلافة في الجابية، إنتصر في معركة مرج، وأستولى على مصر، ضبط المقاييس والموازيين، وتوفى في دمشق سنة 65هـ–635م.

- ابن سعد، مصدر سبق ذكره، ج5، ص224.

- ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج8، ص257.

[149] مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، مرجع سبق ذكره ، ص 3.

[150] سليمان الندوي، عرب وهندكي تعليقات بالارداتيه، بدون مكان وتاريخ طبع، ص23 .

فالذين دخلوا الهند من التجار والملوك بطريق درة خيبر [*] ما كانوا يعرفون من تعاليم الإسلام إلا قليلاً ولما اصطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة والتابعين (ﷺ) حيث نراهم لم يؤثروا في عقائد البراهمة الراسخة تأثيراً، ولم يحدثوا فيها تغيرا ملموساً، كما أحدث العرب في الشام وفلسطين[*1] ومصر والمغرب الأقصى وغيرها من البلدان التي بلغوا أهلها كلمة التوحيد وفتحوها ثم سكنوها [151]

1- دور التجار العرب في عهد أبو بكر الصديق (ﷺ):(11هـ-13هـ/ 632م - 634م):

نشأ أبو بكر (ﷺ) بمكة وكان لا يخرج منها إلا للتجارة، فهو من أصحاب الأموال في قومه، وله من المروءة التامة كغيره من سادتها، وكان يتميز بالإحسان فيهم، حتى وصف بأنه يصل الرحم ويصدق الحديث، ويكسب المعدوم، ويحمل الكل، ويعين علي نوائب الدهر، وقراء الضيف [152].

إضافة إلى ذلك فقد تميز أبو بكر (ﷺ) في الجاهلية بصفات عدة، وكان عالماً بالأنساب، وكان عالماً بأخبار العرب، وتتلمذ على يده الكثير من النسابين وكانت له صفة حببته إلى قلوب العرب، وهي أنه لم يكن يعيب الأنساب، ولا يذكر المثالب بخلاف غيره. [153]

كان أبو بكر(ﷺ) قريباً من قريش محبباً فيهم – وإليه في الجاهلية الديات والمغارم، وإذا احتمل دية أو غرم مغرماً، وأخبر قريشاً صدقوه، وأعانوه عليه، فضلاً علي ذلك أبوبكر (ﷺ) تاجراً

---

[*] درة خيبر: الممر المشهور بين الجبال التي تحيط بالهند من جهة الشمال.

- الحموى، مصدر سبق ذكره، ج3، ص 156.

[*1] فلسطين : هي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها بيت المقدس، ومن أشهر مدنها عسقلان والرملة وغزة وغيرها.

- الحموى، مصدر سبق ذكره، ج4، ص274.

[151] مسعود الندوي، مرجع سبق ذكره، ص 8.

[152] عبد الوهاب، النحار: مرجع سبق ذكره، الخلفاء الراشدين، ص 45.

[153] طنطاوي، على: أبو بكر الصديق، دار المنارة، جدة، السعودية، 1406هـ-1986م، ص66

نسابة تألفه قريش، صديقاً للرسول (ﷺ) ، وهو بذلك مثل معظم رجالات ذلك الزمن، إلا أن دخوله في الإسلام، وسبقه في ذلك قد رفعه عمن سواه[154].

وقد رُوي أن النبي (ﷺ) قال: (إن أبا بكر أعلمُ قريش بأنسابها)· فالتجارة ومعرفته بها كانت منذ صغره، فقد كان ذو خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته.[155]

لقد كان أبو بكر(رضي الله عنه) يترحل للتجارة بين البلدان حتى وصل البصره من أرض العراق، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عُرف به في الجاهلية.[156]

إن ما تميز به أبو بكر (رضي الله عنه) كونه من أشرف القبائل ساعده ذلك في أن يكون من أشرافها الذين لهم صولات تجارية كبيرة بين المناطق. ويروى أن أبا بكر(رضي الله عنه) قد رأى رؤيا عندما كان في الشام، فقصها على بحيرة الراهب [*]، فقال له:من أين أنت؟ قال:من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأي شيء أنت؟ قال:تاجر، قال: إن صدق الله رؤياك، فإنه يبعث بنبي من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته»، فأَسرَّ أبو بكر(رضي الله عنه) ذلك في نفسه. [157]

وأخذ سيدنا أبوبكر(رضي الله عنه) يشتري المعذبين من الأرقاء بمكة الذين إذ يريد سادتهم أن يصدوهم عن الإسلام ويعتقهم.

---

[154] محمود، شاكر:التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ،بيروت،المكتب الإسلامي،1991م، ص31.

[155] المرجع السابق ، ص30.

[156] نفس المرجع السابق ، ص 35.

[*] بحيره الراهب: يسكن في منطقة بصرى في جنوب سوريا، قابل النبي (ﷺ) في صومعته التي كان يعيش فيها وعرف أنه يحمل خاتم النبوة بين كتفيه .

– عبد الرؤوف المصري، المنتقى في تاريخ القرآن خرافة الراهب بحيرا ، ج40، بدون، ص125.

[157] غربال: دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ص 311 – 312.

وعـن عائشــة (ﷺ) أن أبــابكر(ﷺ) أعتــق سـبعة كلهـم يعـذب لأنــه اسـلم [158] مـنهم بلال[1*](ﷺ)وعامر بن فهيرة (ﷺ)،[2*] وأم عبيس(ﷺ) [3*] [159].

يقودنا ذلك إلى أن التجارة في زمان صحابة(ﷺ) رسول الله (ﷺ) ، أنها كانت تجارة رائجة، وليست من اجل الكسب المادي فقط، بل سعى من خلالها صحابة الرسول (ﷺ) إلى الفوز بالدرجات العلا، فهو كسب معنوي كان مما رمى إليه هؤلاء الصحابة اكثر ماهو مادي وقد دعاهم الوقوف إلي جانب الدعوة الإسلامية عبر ما يقومون به من هبات ،وجهاد بالمال، فدخلت من خلاله دولة الإسلام في ذلك العهد طوراً جديداً، ولعل أبرز ما جاء من نفحات تلك الأنفس الطاهرة تحقيق مناداة الإسلام بأن العبودية منبوذة تماماً فيه، فالله هو الواحد المعبود بحق، فتمخضت عن ذلك أن علا صوت بلال الحبشي (ﷺ) الذي يرفع به الآذان يمثل بعداً إعلاميا تخرج به الدعوة الإسلامية الي حيز الوجود. [160]

بهذا المكسب يبدو أن تجارة أبي بكر قد ربحت ربحا عظيماً – وهنا يعظم دور تجارة المسلمين، من صحابة رسول الله (ﷺ)، في دعم الدعوة الاسلامية.ويذكر أن عتق أبو بكر للرقيق من العبيد، قال له أبوه ابوقحافة: يأبني اني أراك تعتق رقيقاً ضعافاً، فلو انك فعلت ما فعلت، اعتقت

---

[158] السيوطي: الخلفاء الراشدين ، مصدر سابق ،ص 36– 37.

[1*] بلال بن رباح كان مولي ابي بكر (ﷺ)، يكني ابا عبد الله مولدي السراة، واسم امه حمامة، وكانت لبني جمح، كان بلال بن رباح من المستضعفين من المؤمنين – وكان امية بن خلف يعذبه لكي يرجع عن الإسلام اشتراه أبوبكر وأعتقه – هاجر إلى المدينة .

[2*] عامر بن فهيرة ابو فكيهه يقال انه من الازد وقال بعضهم انه مولي لبني عبد الدار، فاسلم بمكة، فكان يعذب ليرجع عن دينه فيابي ، هاجر الهجرة الثانية الي الحبشة

– ابن سعد: المصدر السابق / 4/ص 123.

[3*] أم عبيس: امه بني زهرة وهي زوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولدت له عيساً فكنيت به، اسلمت اول الاسلام، وكانت ممن استضعفه المشركين فعذبوها.

– علي الطنطاوي: مرجع سابق ، ص85.

[159] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 3، ص 66–70.

[160] السيوطي، نفس المصدر، ص 35.

رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك؟ ! فقال أبوبكر (ﷺ): يا أبتي إني أريد الله (ﷻ)، فنزل قوله تعالي: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) [161](*)

2- انتشار الإسلام في الهند في عهد عمر بن الخطاب (ﷺ): (*)

(13هـ -23هـ)/(634م-642م):

مارس سيدنا عمر بن الخطاب (ﷺ): التجارة قبل وبعد إسلامه، وكان يتاجر حتى في خلافته، فلم يتأثر موقفه منها.بل كان يمارسها ويأخذ الأمور فيها بجد وشدة في الوجهه الشرعية حتى يتحقق له ولمن يشركه فيها الضمانات الكافية التي تضمن ان يسترد كل ذي حق حقه. [162]

كان الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ): ، شديد في الحق، وشديد في ان تستقيم حياته، بالكسب الحلال، ولشدة التصاقه بالنشاط التجاري لما عرف عنه من جانب داعم ومساند لدعوة الإسلام. ويبدو ذلك ظاهراً حين رد (ﷺ) على أُبي بن كعب (ﷺ) (*)، قراءته آية. فقال أبي: سمعتها من رسول الله (ﷺ) ،وأنت يلهيك يا عمر ! الصفق – لكنه صفق مبرور، طابعه البذل حيث كان يصيب الدعوة منه النصف حين تحدث الشدة والعسرة [163]

---

(161) ابن هشام: مصدر سبق ذكره ،ج2، ص 264.

(*) سورة الليل: الآيات، 5- 6.

(*) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، العدوي القرشي. ولد بعد عام الفيل، أسلم وهو ثالث الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر رضي الله عنه، وله قصة إسلام شهيره ،هاجر إلى المدينة لحاقاً برسول الله (ﷺ)، دون الدواوين وأرخ للهجرة في عهده، استشهد في سنة 23هـ بعد أن طعنه أبو لؤلؤة الفارسي غدراً أثناء صلاة الصبح وعمره كان 61 عاما.

- ابن سعد ، مصدر سبق ذكره ، ج3 ، ص 205.

(162) هشام : مصدرسبق ذكره، ص 359.

(*) أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، يكني ابا المنذر أمه سهيلة بنت الأسود بن حزام بن عمرو بن مالك بن النجار ، شهد ابي العقبة مع السبعين من الأنصار – وكان يكتب في الجاهلية قبل الإسلام وكانت الكتابة في العرب قليلة – من كتاب الوحي – اخي رسول الله (ﷺ) بينه وبين سعيد بن زيد ابن عمر ابن نفيل – شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، كان اقرأ امة الرسول (ﷺ) للقرآن – مات (ﷺ) في خلافة سيدنا عثمان(ﷺ) سنة ثلاثين هجرية .

- ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج3، ص498 – 502.

(163) الكندي هلوي: مرجع سبق ذكره، ج2، ص109 – 113.

إن ممارسة التجارة كانت من أشرف المهن وأجلها، وكانت مهنة كبار قريش، كيف لا وأن يعمل بها ثاني الخلفاء الراشدين(ﷺ) لهو أمر في غاية الأهمية، كما أن سيدنا محمد(ﷺ) قد امتهن التجارة كما ذكر سابقاً. ويلاحظ أن سيدنا عمر بن الخطاب(ﷺ) حرص كل الحرص على اتقاء الشبهات التي تقلل من عائدها وتقربه من الخسران والعذاب، ويبدو ذلك واضحاً حين جهز عيراً إلى الشام. كما كان يشفق على المجاهدين المسلمين، من ركوب البحر، لعدم مرانهم عليه.
ولذلك اشتغل الجنود الإسلاميون بفتح بلاد الفرس[*] والروم[*1] حقبة من الزمن [164].

إن خوف الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) على جنده من ركوب البحر تسبب في قلة قيام علاقات تجارية مع دول السند، لكن رغم ذلك فقد كانت العلاقات التجارية بين المسلمين وغيرهم تتوسع شيئاً فشيئاً عن طريق الشام ن خاصة وأن الشام واليمن من المناطق الإسلامية ذات التداخل الهندي مع العرب مما ساهم في نقل التقاليد التجارية الإسلامية بالإحتكاك بينهم وتبادل السلع التجارية. [165]

نشير إلى أن صحابة رسول الله (ﷺ) ، كانوا يراعون في تجارتهم تقوية الجانب الانفاقي التكافلي فيما بينهم، حتى يجئ إنفاقهم من أحب ما يملكون، يبدو ذلك حين أرسل عمر بن الخطاب (ﷺ)إلى أبي موسي الأشعري [2*]، (ﷺ)، أن يبتاع له جارية فدعا بها فقال: قال تعالى : (لَنْ تَنَالُوا

---

[*] الفرس: أقدم أمم العالم وأشدها قوة وأثاراً في الأرض، وكانت لهم في العالم دولة عظيمة ، وهم من ولد سام بن نوح وجدهم الأعلى الذي ينتمون إليه هو فرس، ويقال إن الفرس كلهم من ولد إيران، ومواطن الفرس بأرض فارس وبهم سميت ولهم أربعة طبقات ومدة ملكهم في العالم.أربعة ألف سنة ومئتان وثمانين.
- المسعودى، مصدر سبق ذكره، ص257.

[*1] الروم: اختلف في أصل نسبهم فقيل أنهم من ولد روم من سلالة إسحق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل غير ذلك، وبلادهم واسعة الحدود، شرقها وشمالها والخزر والروس وجنوبها الأسكندرية والشام وغربها الأندلس.
- الحموى، مصدر سبق ذكره، ج3، ص97.

[164] الندوي، المصدر السابق، ص 5.

[165] أنور الرفاعي، مرجع سبق ذكره، ص 62.

[2*] أبو موسي الأشعري ، صحابي جليل – حلو الصوت عند تلاوته القرآن الكريم، قال عنه رسول الله (ﷺ) :لقد أوتي هذا من مزامير آل داوود قضي حياته في تعليم القرآن– اشترك في التحكيم بين الخليفة علي(ﷺ) ومعاوية بن أبي سفيان .
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ،2، ص344– 345.

الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (*). وأن عمراً (ﷺ)كواحد من أبرز الصحابة وثاني الخلفاء الراشدين(ﷺ) كان شأنه شأن بقية الصحابة (ﷺ)، وكان عاملاً علي تسخير عائد التجارة ومقويا له، حتى يأتي دوره فعالاً في دعم الجانب الانفاقي للدعوة الإسلامية.[166]

في نقل هذه القيم الإسلامية بين التجار الغير مسلمين الذين يحتكّون بهم من خلال تبادلهم التجاري خاصة في منطقة الشام واليمن اللتان تعتبران من أكثر المناطق التجارية وروداً.[167]

إن جهد عمر بن الخطاب(ﷺ) أثناء ولايته في تنشيط التجارة البحرية كان واضحاً، فأمر بحفر خليج يربط البحر الأحمر بالنيل، كما سبق أن أشرنا، لتسهيل التجارة بين وادي النيل والحجاز. وعرف هذا الخليج بخليج أمير المؤمنين(ﷺ). وفي عهده وضعت العشور على التجارة البحرية. [168]

3- **التجارة في عهد سيدنا عثمان بن عفان** (ﷺ): **(23-35 هـ / 642-655م)**

كانت فترة خلافة سيدنا عثمان بن عفان(ﷺ) تتأجج فيها الفتن والأطماع إلا أنه عمل على السير وفقاً لما توراثه من تقليد إسلامي سار عليه الخلفاء السابقون، فاستعان بالتجار أثناء خلافته، كما عين بعضهم أمثال عبد الله ابن عامر(*) (ﷺ) والياً على البصرة.

نجد أن التجارة التي كان يسعى لها الصحابة (ﷺ) كما ذكر آنفاً ليس من أجل كسب مادي وإنما كانت من أجل إرضاء الله(ﷻ)، وقد سعى جميع الصحابة (ﷺ) لتحقيق هذا الغرض وكنتيجة لذلك فإن التعامل الذي كان يتم من خلال ما يتاجر به مع الشعوب لا يخرج عن مرضاة الله تعالى وعملاً بقوله (ﷺ) (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى) . عليه فنجد أن الصفات التجارية التي كان يتحلى بها هؤلاء الصحابة(ﷺ) صفات إيمانية ، والذي ذكرت في

(*) سورة آل عمران، الآية 92.

(166) النمر: مرجع سبق ذكره، ص 74.

(167) السيوطي: مصدر سبق ذكره ، ص 123.

(168) ابن سعد: المصدر السابق، ج4، ص 123.

(*) عبد الله بن عامر: هو عبد الله بن كريز القرشي، صحابي جليل، فتح جميع إقليم خراسان، كان والياً في عهد عثمان(ﷺ) حتى عزله معاوية (ﷺ), وهو شريف في قومه باراً بهم، جواداً كريماً .

– العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مصر، 1907، ج 6، ص 24.

قول الرسول (ﷺ) : (التاجر الصادق الأمين يبعث مع الصديقين والشهداء يوم القيامة) (*) (169) فكانوا زاهدين عن أمور الدنيا مما جعل كثير من الشعوب الأخرى تلتفت الي امانتهم خلال تجارتهم، بيعاً وشراء فلا غش ولا تطفيف، بل سعوا إلى تطبيق الشرع الإسلامي فكان ما أمرهم به القرآن في الإنفاق والجهاد بأموالهم وأنفسهم قال تعالى : (يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) (*) (170).

وكان للصدق أثر في نشر الدعوة والتمكين لها مما أدي لحدوث الألفة بين التجار وشعوب المناطق التي جابوها فالمسلم بعيداً عن التكديس في تجارته صادق في تعامله نجده قدم نموذجاً جعل اهل البلاد ينجذبوا إليه ويزوج له بناته مما سهل لانتشار دعوة الإسلام في مشارق الأرض الامر الذي ادي لان يعتنق الكثيرين منهم الاسلام.

أخرج الحاكم عن أبي هريرة (ﷺ) قال: (اشتري عثمان الجنة من النبي (ﷺ)، مرتين، حين حفر بئر رومه وحين جهز جيش العسرة)(171).

يمكن القول بأن التجارة توسعت في عهد عثمان بن عفان(ﷺ) وجاءت الغنائم من كل جهة، ووزعت علي المجاهدين والمقاتلين، وأعطيت الأموال للناس حتى كثرت في أيديهم، وبطبيعة الحال فان سيدنا عثمان(ﷺ) كان يعطي ويوزع من بيت المال لكثرة ما بداخله ولحاله وكرمه المعروفين، بل كان أحياناً يعطي من ماله الخاص وان لم يكن في بيت المال من فائض (172).

يتضح مما سبق أن سيدنا عثمان(ﷺ) عين التجار في مناصب في ولايته فذلك دليل على قوة الإيمان وأن المؤمن حقاً لا تزعزع إيمانه الأموال، فهو الذي يحرص على إطعام المسكين وحفظ حقوق الناس. كما أن هؤلاء كانوا بشراً لهم من حوائج الدنيا التي تلزمهم، بل الأكثر من ذلك أن هؤلاء عكسوا الإسلام في أحسن صوره، وأنه دين العمل والعدل، وهذا ما كان يرمي إليه إكساب

(*) الترمذي: مرجع سبق ذكره ،ج1، حديث رقم 1209، ص 163

(169) أبو الدهب ، مرجع سبق ذكره ،ص 149.

(*) سورة التوبة: الآية 44.

(170) اليعقوبي ، مرجع سبق ذكره ص 139.

(171) الترمذي: مصدر سبق ذكره، ج5، ص631.

(172) محمود ، شاكر: مرجع سبق ذكره، ص 44.

صفة العدل والصدق التي هي موجودة أصلاً في الصحابة (ﷺ). كما يقودنا ذلك إلى أن التجارة لا تمنع الولاية، بل من تم تنصيبهم في دواوينها كانوا تجاراً يدفعون في سبيل الله من أموالهم الخاصة. وأكثر عثمان بن عفان (ﷺ) من صلاته المالية بالتجار، مثل سعيد بن العاص(ﷺ) ، وابن الزبير(ﷺ) والعباس بن الحارث بن عبد المطلب(ﷺ) وغيرهم.[173]

4-دور التجارة في انتشار الإسلام في الهند في عهد علي بن أبي طالب[*] (35هـ-40هـ/ 656م- 661م):

كان الإمام علي (ﷺ) من أوائل الصبيان إسلاماً وهاجر إلى المدينة وشهد مع الرسول جميع غزواته إلا تبوك وكانت خلافته رضي الله عنه مليئة بالمشاكل والحروب، فلا تكاد تنطفئ مشكلة إلا اندلعت أخطر منها، فتوقفت الفتوح الإسلامية والنشاط التجاري[174].

وعلى الرغم من أيامه المشحونة بالفتن الداخلية وفترته القصيرة والحروب مع الخوارج، قدمت الجيوش الإسلامية إلى حدود السند من وراء مكران ونواحيها وتحركوا نحو الهند بقيادة الحارث بن مرة العبدي [*1] ومن معه بأرض الهند قريباً من أربع سنوات في الغزو والجهاد، وأصاب مغنماً وسبياً ، استشهد هو ومن معه سنة 42هـ. [175]

أما سبايا الهند الذين ذهب بهم المسلمون إلى بلاد العرب فضموهم إلى أهليهم وجعلوهم موالي[*2] ولعلي بن أبي طالب (ﷺ) علاقة خاصة بهؤلاء السبايا حيث اتخذ منهم موالي وسرايا

---

[173] اليعقوبي: مصدر سبق ذكره ، ص 89.

[*] على ابن أبي طالب:ابن عم الرسول (ﷺ) يكنى بأبي الحسن، كفله الرسول (ﷺ) ، لم يسجد لصنم قبل، أول من آمن بالله ورسوله من الصبيان وعمره خمسة عشر عاماً، خلف الرسول (ﷺ) على المدينة عند غزوة أحد ، زوجه ابنته فاطمة الزهراء، بويع له بالخلافة لما قتل عثمان بن عفان(ﷺ)35هـ /655م .

- الأصفهاني، أبو النعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، بدون تاريخ،ج3، ص62.

[174] السيوطي: مصدر سبق ذكره ،ص 72.

[*1] الحارث بن مرة العبدي: الحارث بن الغيث بن مرة بن الغيث، كان أحد أجواد الإسلام وكان من فرسان علي ابن أبي طالب وقواده، كان من المتطوعين الذين قدموا إلى الهند 38هـ، فتح الغيغان واستشهد بها .

- ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 243.

[175] المباركفوري : مرجع سبق ذكره، ص 84.

[*2] الموالي في الإسلام هم أسرى الحروب الدينية من الرجال إذا اسلموا واعتقهم ملاكهم، فالكفار الذين أسلموا دون حرب ليسوا موالي والكفار الذين أسروا وافتدوا واسلموا ليسوا موالي .

ومن بينهم الحنفية السندية [(*)] وأشارت بعض المصادر أنه لم يرق لكبار تجار المدينة المنورة تولي علي بن أبي طالب (ﷺ) أمر الخلافة لكونه رجل دين أكثر منه رجل اقتصاد وتجارة، لذا فإن التجارة في عهد الخليفة على بن ابي طالب (ﷺ) لم تجد الاهتمام من قبل الخليفة لانشغاله بالفتن التي سادت عهده وقد سارت على ما كانت عليه في عهد عثمان بن عفان (ﷺ).[(176)]

ت/ دور التجار المسلمين في العهد الأمـوي [(*)] (**41هـ- 64هـ**/661 **م- 715م**).

كان للقوافل التجارية في الدولة الأموية طريقان أساسيان تمرُّ عبرهما، الأول تعبر فيه السُّفن بحراً حتى تبلغ مضيق باب المندب، فإما أن تواصل إبحارها عبرَ البحر الأحمر حتى تبلغ ميناء القلزم – السويس فتنتقل بضائعها من هناك عبر القوافل البرية إلى موانئ البحر الابيض المتوسط مثل الإسكندرية فتنتقل بحراً إلى أوروبا، وإما أن تفرغ بضائعها في عدن باليمن ثم تنقلها براً عبر ساحل شبه الجزيرة العربية مروراً بمكة (التي كانت مركزاً تجارياً هاماً) وحتى غزة في فلسطين حيث تتابع بحراً إلى أوروبا، وقد كانت تمرُّ عبر هذا الطريق أغلب البضائع المُصدَّرة إلى شمال أفريقيا والأندلس وأوروبا الغربية. وأما الطريق الثاني فتمرُّ فيه السفن عبر الخليج العربي حتى تفرغ بضائعها في ميناء الأبلة قربَ البصرة، ومن هناك تتابع قوافل البر طريقها عبرَ العراق ثم إلى الشام، وهناك تفرغ الحمولة في موانئ البحر الأبيض المتوسط مثل عكا وصور وصيدا وبيروت واللاذقية وأنطاكيا

– شلبي،أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 303.

(*) الحنفية السندية: هي خولة بن جعفر بن غيث بن ثعلبه ، يقال: كانت أمة من سبي اليمامة فصارت إلى علي بن أبي طالب (ﷺ) ويقال أنها من بني حنيفة فقام عليهم قوم من العرب في عهد أبي بكر الصديق(ﷺ) فأخذوها على المدينة فاشتراها أسامة بن زيد (ﷺ) ثم اشتراها علي بن أبي طالب (ﷺ).

– ابن سعد، مصدر سبق ذكره، ج5، ص9.

(176) أبو خليل شوقي: الحضارة العربية الإسلامية، موجز من الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1994، ص 44.

(*) العهد الاموي: ينتسب العهد الأموي للأمويين ، وكان أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سيداً من سادات قريش في الجاهلية ، وكان يتنافس مع عمه هاشم بن عبد مناف على رئاسة قريش، وكان أميه تاجراً كثير المال وكان له عشرة من الأولاد كلهم ذو سيادة وشرف في الجاهلية، وكثرة الابناء من أكبر أسباب السيادة بعد الشرف والنسب والمال ، وهو قائد قريش يوم الفجار وهو الذي دعا إلى الصلح وتحمل الديات، وقد رهن لذلك ابنه أبا سفيان ، وهو الذي قاد الحرب على الإسلام وهو والد معاوية (ﷺ) مؤسس الدولة الأموية.

– ابن كثير ، مصدر سبق ذكره ، ص 69.

حيث تُنقَل إلى أوروبا، وهو الطريق الذي كانت تُنقَل عبره أغلب البضائع المُصدَّرة إلى أوروبا الشرقية والجنوبية قادمة من الصين عبر بلاد ما وراء النهر.[177]

1 - أهم خلفاء العهد السفياني:(041هـ-60هـ/ 661م-684م)

يبدأ هذا العهد بمعاوية بن أبي سفيان [*] (41هـ/ 661م) بعد ان اجمع المسلمون بخلافته ، فعمل علي توحيد المسلمين ، وقد تميز حكمه بالحكمة والعدل ، كما أنشأ اول اسطول اسلامي ، واتبع سياسية اللامركزية التي سارت عليها الدولة الأموية كما ابتكر اشياء لم تكن معروفة من قبل مثل اتخاذه السرير والعرش،وإحاطة نفسه بحرس خاص ،وجعل الحكم في الدولة وراثياً، أتخذ دمشق عاصمة له، وانتقلت الدولة الإسلامية في عهده إلى طور الملك والسياسة. أصبحت الطرق التجارية التي تمر بالهند والمغرب وإفريقيا بأكملها تقريباً تحت سيادة الأمويين، وسيطر المسلمون على جلّ النشاط التجاري في العالم القديم، إذ أصبحوا يُصدّرون بضائعهم إلى الشرق والغرب، فالصين لها على سبيل المثال المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية والبسط والمعادن وخام الحديد وسبائك الذهب والفضة، فيما استورد المسلمون منها الحرير بدورهم. وفضلاً عن الدور الكبير الذي لعبه هذا النشاط التجاريّ الواسع في تنشيط وتقوية الاقتصاد الأمويّ، فقد انتعش الاقتصاد أكثر بما يُشبه رسوماً جمركية كانت تفرضها الدولة على القوافل التجارية المارَّة بأراضيها، وقد جعلها ذلك أكثر ثراءً وقوة على الصعيد الاقتصاديّ [178].

---

[177] موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ العصر الأموي"، ج2، ص86-87.

[*] معاوية بن أبي سفيان بن عبد شمس المكنى أبو عبد الرحمن ،اسلم يوم فتح مكة، شهد مع النبي (ﷺ) حنين والطائف، كان من كتاب الوحي، روى كثيراً من الأحاديث، تولى إمارة الشام في عهد عمر بن الخطاب (ﷺ)، حارب على بن أبي طالب (ﷺ)، ، بويع له بالخلافة سنة 41هـ /661م وكان سياسياً محنكاً وهو أول من جعل ولاية العهد لابنه من بعده وأول من اتخذ ديوان الخاتم وأول من اتخذ الحرس، توفى سنة 60هـ/779م .

- ابن سعد، مصدر سابق، ج3، ص 32.

[178] ابن عبد ربه،أحمد بن محمد :العقد الفريد ،تحقيق الدكتور منير محمد قميحه،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط3 ، ص46.

علي الرغم من قيام بعض الحركات الدينية والسياسية نجح الخلفاء الامويين في انعاش الاقتصاد الاسلامي ولا ننكر الدور الهام للدولة الاموية خلال تعاقب خلفائها [179].

وكان معاوية بن أبي سفيان أكثر الخلفاء تقرباً إلى التجار وشيوخ القبائل وسادة العشائر. فقد منح عبد الله بن عمر بن الخطاب (ﷺ) منحة سنوية بلغت مئة ألف درهم. واتبع عامله على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز(ﷺ) سياسة معاوية فمنح عبد الله بن عمر(ﷺ) ستين الف درهم على دفعتين. ولما حج معاوية (ﷺ) في احدى السنين منح عبد الله بن صفوان(ﷺ) الفي شاة، وأرسل إلى حكيم بن حزام(ﷺ) أموالاً وصلات لكنه رفضها. وأمر لعبد الله بن جعفر(ﷺ) بخمسين الف دينار، واستمر يزيد بن معاوية(ﷺ) في إعطاء ابن جعفر المنح والعطايا السخية، أما منح معاوية(ﷺ) لأسياد قريش وتجارها فقد عدت ذات أهداف سياسية بسبب رغبته في تحييدهم وشراء رضاهم في خطته لتحويل الخلافة إلى نظام وراثي داخل عائلته، أو لصرفهم عن المطالبة بالخلافة [180].

لما تولى معاوية(ﷺ) الخلافة طلب منه عبد الله بن عامر (ﷺ) أن يثبته في ولايته على البصرة لأن له فيها ودائع وصنائع يخاف أن يفقدها. وتقول إحدى الروايات انه اشترى في البصرة سوقاً من ماله الخاص ووهبه إلى أهله الذين لم يأخذ قط منهم أي ضرائب .

---

[179] شلبي،احمد: التاريخ الإسلامي، ج2 ، ص 46-47.

[180] الحموي: مصدر سبق ذكره ، ج2، ص 45.

وفـي العـراق قلد الخليفـة معاويـة زيـاد[*] بـن أبيـه ولايـة البلـد الـذي كـان تـاجراً ثريـاً. وتـذكر مصادر متعددة أن زياداً أرسل رجلاً من الشام ليتاجر لـه بستين ألف درهم [181]لعل الشاهد على أن معاويـة (ﷺ) اهتم بسير التجارة والمعاملـة فيها مـع غير المسلمين أن طلب احد الموالي التجار من معاويـة أن يكتب لـه منشوراً ليبيـع بضـاعته قبل سـواه فـي سـوق البصـرة، فكتب لـه ذلك المنشـور وطلب– أبو كثير مولى أسلم أحد أثرياء– الموالي من عبد العزيز بن مروان[*1] والي مصر، أن يعفى من العشور كلما دخل مصر بتجارته فاستجيب لطلبه[182].

2- أهم خلفاء العهد المرواني(96هـ- 132هـ/701هـ-749م)

ويبدأ هذا العهد بتولي مروان بن الحكم [*](65 هـ / 685 م):

مرّ تطور التجارة الداخلية في عهد عبد الملك بمرحلة ضعف بسبب عوامل أثرت على حجم التجارة الداخلية، وكان من أبرزها ما يلي:

أولا: كثرة الفتن والقلاقل الداخلية التي عصفت بمعظم أركان الدولة الأموية، ومن المعلوم بداهة أن الاستقرار السياسـي والأمـن الـداخلي يمـثلان اهـم أولويـات ازدهـار التجـارة الداخليـة ونموهـا، ومـع افتقادهما في الدولة الأموية بشكل كبير تعثرت التجارة الداخلية.

---

[181] السيوطى، مصدر سبق ذكره، ص45.

- حسن،ابراهيم محمد: تاريخ الدولة الاموية ،جامعة التحدي، سرت، ليبيا ،2014،ص78.

[*] معاوية بن زياد : هو زياد بن عبيد الثقفي، ويقال زياد بن أبيه وقال ان ابيه وهو زياد بن أبى سفيان الذي ألحقه معاوية ابن أبي سفيان، أمه جارية الحارث بن كلده، إختلف في نسبه ومولده قيل سنة 28ه 649م، وقيل غير ذلك، أوكل له عمر بن الخطاب(ﷺ) صدقات البصرة، وكان له دور بارزاً في تولية الملك لمعاوية، توفى سنة 670م.

- الطبرى: مصدر سبق ذكره، ج5، ص176.

[*1]عبد العزيز بن مروان: هو بن الحكم، ولد في المدينة، ولى العهد من أبيه بعد وفاة أخيه عبد الملك لكنه توفى قبله، تولى مصر في عهد أبيه سنة 65هـ– 684م وأستمر والياً عليها لمدة عشرين عاماً، توفى سنة 48ه – 704م.

– ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص76.

[182] محمود شاكر، مرجع سبق ذكره، ص 31–32.

[*]مروان بن الحكم: هو مروان ابن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، ولد في حياة الرسول (ﷺ) 2ه / 623 م، من سادات قريش وفضلاءها ،ولاه الخلافة يزيد بن معاوية، به انتقلت الخلافة من السفيانيين إلى المروانين في سنة 64 ه / 638 مدافع عن عثمان (ﷺ)، واشترك في معركة الجمل، بيوع بالخلافة في الجابية ثم دمشق، انتصر على القسيسين في معركة مرج شمال دمشق، استولى على مصر، مات بالطاعون سنة65 /685م .

– ابن سعد: مصدر سابق، ج5، ص 224.

ثانيا : نقص السيولة النقدية.

ثالثا : صعوبة دفع الأثمان للصفقات التجارية، وعلى جهة الخصوص الكبيرة منها.

رابعا: ارتفاع نسبة الضرائب على التجارة حيث روي أنها وصلت إلى 33%. [183]

ومع بداية العام 77هـ/ 688م نمت التجارة الداخلية وازدهرت، وكان وراء ذلك العديد من الأسباب منها زيادة السيولة النقدية الداخلية، وذلك بإصدار العملة الإسلامية الجديدة الموحدة، والتي تطورت من حيث الدقة والانضباط والعيار حتى أصبحت محل ثقة المتعاملين في الأسواق وأصبحت تلقى قبولاً عاماً مما سهل عملية المبادلات بشكل كبير وحل عدد النقود محل وزنها وبذلك كانت عملية الإصدار النقدي نقطة تحول في تطور التجارة الداخلية بشكل خاص، سواءً من حيث الزيادة في حجمها أو الاتساع في أرجائها. كما حدث هدوء واستقرار نسبي داخل الدولة الأموية بعد القضاء على الثورات الداخلية وتمت في هذه المرحلة بعض الإصلاحات التي كان من شأنها تيسير الصفقات التجارية، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي: [184]

أ . توحيد وحدة الكيل والميزان من قبل الحجّاج[*] بإقليم العراق

ب . تنظيم الأسواق مما يسهل ويخدم الحركة التجارية.

ج . وجود خدمات لراحة التجار، كالفنادق والحمامات داخل الأسواق

أما التجارة الخارجية في عهد عبد الملك[*1] ، فقد كانت متعلقة بالدولة البيزنطية [*2] ودول المشرق الأقصى. وكانت العلاقة التجارية مع الدولة البيزنطية تمر بمرحلة نمو

---

[183] شعبان، محمد عبد الحي: صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1983، ص 53.

[184] شعبان، محمد عبد الحي: المرجع السابق، ص 28.

[*] الحجاج : هو الحجاج بن يوسف بن عقيل بن سعد ، ولد عام 39هـ / 655م ، وقيل عام40هـ ،وكان هو ووالده يعلمان الغلمان بالطائف. نشأ فصيحاً بليغاً حافظاً لكتاب الله ، إلا أنه وصف بحبه لسفك الدماء ، ولاه عبد الملك والياً للحجاز لكنه عزله بعد مقتل ابن الزبير، وولاه العراق سنة73/ 692. ومكث في ولايته 20 عاماً . توفي سنة 95 هـ.

- الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج5 ، ص 264..

[*1] عبد الملك بن مروان: عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبى العاص بنى أميه بن عبد شمس بن عبد مناف ، أمه عائشة بنت معاوية أبو المغيره بن أميه، كان يكنى بأبي القاسم، وكان أول من سمي في الإسلام بعبد الملك ولد

وقـوة وازدهـار وقـد نشـأ هـذا النمـو والقـوة والازدهـار نتيجـة عـدة عوامـل تتمثـل فـي كثـرة الاضـطرابات والحـروب فـي المنطقـة الشـرقية مـن الدولـة الأمويـة، ممـا خفـض مـن حجـم المبـادلات التجاريـة بينهـا وبـين دول المشـرق ولـو بشـكل جزئـي، وبالتـالي زيـادة حجـم المبـادلات التجاريـة مـع الدولـة البيزنطيـة بـالغرب. وكـذلك الاسـتقرار الأمنـي فـي المنـاطق الغربيـة مـع الدولـة الأمويـة، دفـع بكثيـر مـن رؤوس الأمـوال للهجـرة مـن منـاطق التـوتر فـي الشـرق إلـى إقلـيم الشـام، بحثـاً عـن فـرص اسـتثمارية آمنـة. مـع الاعتمـاد الكلـي لكـل مـن الـدولتين علـى الأخـرى فـي مجـال هـام وحيـوي بالنسـبة لهـا، فكمـا كانـت الدولـة البيزنطيـة تعتمـد كلياً علـى أوراق البـردي، كانـت الدولـة الأمويـة تعتمـد كليـاً فـي حجـم النقـد الـذهبي داخلهـا علـى ما يردها من الدولة البيزنطية[185].

تدهور المبادلات التجارية بين البلدين فقد شهدت هذه المرحلة انخفاضاً كبيراً في المبادلات التجارية بين الدولتين ويعود ذلك إلى عدة عوامل مثل تدهور العلاقات السياسية بين الدولتين بشكل كبير حدوث هدوء نسبي في الأقاليم الشرقية. مما أدى إلى رفع معدلات التبادل التجاري مع دول الشرق الأقصى. وتزايد اعتماد الدولة الأموية في تجارتها مع دول الشرق الأقصى على التجارة البحرية عن طريق الخليج العربي، لا سيما بعد تطور صناعة السفن بها، بشكل أصبحت معه قادرة على الخوض في المحيطات، مما جعل معظم تجارة الدولة الأموية مع دول الشرق الأقصى تتم بواسطة الطرق البحرية فنتيجة لتلك العوامل وغيرها تدهورت التجارة بين البلدين[186].

بالمدينة سنة 26هـ، وبيع له بالخلافة سنة 65ه كان أمير على المدينة والشام ومصر لمدة سبع سنين، توفى بدمشق سنة 705م وعمره ستين عاما.

– ابن سعد، مصدر سبق ذكره، ج5، ص223.

[*2] بيزنطية: مدينة يونانية قديمة، تأسست سنة 658 ق.م، تقع على مصب مضيق البسفور اتخذها قسطنطين عاصمة له، وهى عاصمة ثقافية ودينية وتجارية وكان أول إمبراطور لها أركاديوس 395–408م. بها عدة مجامع فرنسية دخلها السلطان محمد الفاتح واتخذها عاصمة الدولة العثمانية وسميت الإستانة حتى 192 وهى اليوم إستانبول.

– الشتاوى: مرجع سبق ذكره، ص759.

[185] اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ص 125.

[186] نفس المصدر السابق ، ص 140.

والعلاقات التجارية مع دول المشرق الأقصى كانت تعتمد على نوعين من الخطوط، وهما خطوط التجارة البرية وخطوط التجارة البحرية. وكثير من دول المشرق قد دخلت تحت مظلة الدولة الإسلامية لاسيما بلاد الهند، والسند، والتي كانت تحتل صادراتها نسبة كبيرة من واردات الدولة الأموية، ومعنى ذلك تحول جزء من التجارة الخارجية مع الشرق إلى تجارة داخلية بين أرجاء الدولة الإسلامية، كما كان الخليفة يمارس التجارة وهذا يعكس اهتمامه بها مما أدى إلى إصلاحات كثيرة فيها وتذكر المصادر أنه كان يدفع أمواله للتجار مضاربة للاتجار له

بها. وعمل احد عمال الحجاج على خراسان [*]، وهو عبد الله بن ابي بكرة، في شراء الطعام من بلاد العدو وبيعه إلى جيش الحجاج بسعر أعلى. وبرزت شهرة محمد بن يوسف الثقفي[*1] عامل اليمن للوليد بن عبد الملك[*2] ، بالتجارة واشتهر بمقدرته الفائقة في تنمية الأموال أثناء ولايته. وكانت الدولة تكتب للتجار صكوكاً لاثمان بضائعهم أو أموالهم من بيت المال.[187]

وبمجيء عبد الملك أقطع جميع الصوافي[*3] للأشراف حتى لم يبق منها شيئاً، إلا أن هؤلاء المالكين الكبار لم يتوقفوا عن المطالبة بمزيد من القطائع وأمام الحاحهم المستمر، قام الخليفة بالتصرف ببعض الأراضي الخراجية التي توفي أصحابها ولم يكن لهم ورثة فأقطعهم جميع هذه

---

[*] خراسان: بلاد واسعة أول حدودها يلي العراق وآخرها في الهند وتشمل أمهات البلاد ميثابور ومرو، فتحت كل من بلادها عنوة وبعضها صلحاً في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ).

– الحموى: مصدر سبق ذكره، ج2، ص350

[*1] محمد بن يوسف الثقفي: هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن عم الحجاج بن يوسف الفتى الشجاع والفاتح العظيم، ولد سنة 22هـ – 692م، وعهد إليه الحجاج فتح السند وكان عمره سبع وعشرين سنة، وأمره بالسير من فارس إلى الري، قتل سنة 98هـ – 718م.

– البلاذرى: مصدر سبق ذكره، ص536.

[*2] الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص، أمه ولادة بنت العباس بن الحارثة بن زهير العبسي، أكبر أولاد عبد الملك بن مروان، ولد سنة 55 هـ/ 670م. تولى الخلافة 86هـ – 96 هـ / 705– 715.قام بالعديد من الغزوات في فترته . استمرت في عهده تعريب الدواوين والخراج في مصر واهتم بفن العمارة، ومن أشهر ما بناه مسجد دمشق ومسجد الرسول(ﷺ).

ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص 219.

[187] اليعقوبي :مصدر سبق ذكره، ج2،ص226.

[*3] الصوافي: جمع صائفة وهى نظام للدفاع عن حدود المسلمين، وكان يشرف المسلمون المرابطون في الثغور على أعدائهم في الصيف وأخرى في الشتاء، وكان لها ولاة مثل خالد بن الوليد.

– ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ص218.

الأراضـي، وجعـل لأصـحابها حـق ملكيتهـا التامـة، بمـا فـي ذلـك توريثهـا علـى أن يـدفعوا عـن هـذه الأراضـي ضريبة العشر، ورفع ضريبة الخراج عن هذه الأراضـي وقد أعتبر الخليفة أن تصرفه هذا عملاً مشروعاً شبيهاً بإخراجه من بيت المال الجوائز الخاصة وكتب الخليفة الوليد بن عبد الملك لوالي خراج مصر أسامة بن زيد التنوخي كتاباً يأمره يه بان يرسل له فلفلاً بعشرين ألف دينار ليهديه إلى ملك الروم، فاشترى أسامة الفلفل من احد كبار تجار مصر، وهو موسى بن وردان، وأعطاه ثمنها صكوكاً وقبضها موسى بعد أربع سنوات في أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز(*)وفعل العمال ما فعله غيرهم فأخذوا مالاً من التجار وأعطوهم صكوكاً مالية لصرفها من بيت مال مصر آخر.[188]

ويروى أن ابن الزبير(ﷺ) لما أعلن نفسه خليفة في الفتنة الثانية، أخذ الوَرِق من تجار مكة وكتب لهم بها صكوكاً إلى بيت مال البصرة أو الكوفة فاستوفوها دراهم أجود من دراهمهم.كما اهتمت الدولة في عهده بالتجارة البحرية وأكدت على عنصر الأمن للطرق التجارية ومن صور ذلك إرسالها جيش للقضاء على قراصنة كانوا يقطعون الطريق على تلك الخطوط البحرية فقضى عليهم، واهتم الحجاج بتحصين المدن التجارية، كما طور صناعة السفن التجارية وأصبحت وسائل النقل البحري والرحلات التجارية أكثر أمناً، وسرعة وأعلى كفاءة مما شجع على رواج التجارة. كما قام عبد الملك بتعريب النقد تعريباً نهائياً وأحدث دور الضرب التي تضرب فيها الدنانير، وجعلها بإشراف الخلافة.[189]

وقد ذكر أن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، والي حرب وصلاة العراق لسليمان ابن عبد الملك، كان قد أخذ متاعاً وبضاعة من التجار وكتب لهم صكوكاً لصرفها لدى مسؤول ديوان الخراج(*1) في العراق. وبلغ مبلغ احد الصكوك مئة ألف درهم. ورفض مسؤول الديوان ويدعى صالح ابن عبد الرحمن صرفها لتكرار هذا الأمر.[190]

(*) عمر بن عبد العزيز: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب (ﷺ)، ولد في مدينة حلوان، حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وهو من أحسن خلفاء بنى أمية، سيرة وأسبقهم إلى نشر الإسلام وقد شبه المسلمون خلافته بخلافة جده عمر بن الخطاب (ﷺ) بعدله وزهده ومن إصلاحاته دفع الجزية عما أسلم من أهل الذمة كما خفض الضرائب عن عامة المسلمين خاصة الموالى من قريش.

-ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ج7، ص158.

(188) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص 222.

(189) نفس المصدر السابق و الصفحة.

(*1) الخراج: هو مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوه كما يؤخذ على الأرض التي ملكها المسلمون صلحاً.

أما في عهد الخليفة عمر بن العزيز(ﷺ) (99هـ/710م) فقد سار بالناس سيرة الخلفاء الراشدين عدلاً وإنصافاً حتى وصفه أنس ابن مالك قائلاً: (ما صليت خلف إمام أشبه بالرسول (ﷺ) من هذا الفتي عمر بن عبد العزيز(ﷺ). وفي عهده توسعت التجارة بين الهنود والعرب ودخلت أعداد هائلة من سكان آسيا في الدين الإسلامي خاصة شبه القارة الهندية بسبب معاملته الحسنة الطيبة والدليل على ذلك أن الموالي المسلمين من غير العرب تمتعوا بالمعاملة الحسنة طوال فترة الخلافة الراشدة، ولكن عندما جاءت الدولة الأموية باستثناء عمر بن العزيز(ﷺ). وقد تعصبت للعرب وأساءت معاملة الموالي مما جعلهم يشتركون في كل ثورة ضد الحكم الأموي. نجد فترة عمر بن عبد العزيز(ﷺ). على الرغم من قصر فترته إلا أنه كان مضرب الأمثال في الإنصاف بين العرب والعجم والروم حتى كثر البياسرة[*] في عهده [191].

وفي عهد يزيد بن هشام [*1] تسممي ملوك الهند المسلمين بأسماء العرب وابقي ملوك السند المسلمين علي بلادهم[192]

وفي عهد هشام بن عبد الملك [*2] نشطت حركة الجهاد وكان لها اكبر الاثر في توطيد الاوضاع في بلاد السند خاصة بلاد شبه القارة الهندية مما ادي لانتشار الاسلام [193]

– الماوردى: مصدر سبق ذكره، ص152.

[190] اليعقوبي: المصدر السابق، ص 141.

[*] البياسرة: يراد بها من ولد من المسلمين بأرض الهند .

– الكوفي: مرجع سبق ذكره، ص 87.

[191] محمد، نصر مهنى: انتشار الإسلام في آسيا، ج1، الفتوحات الإسلامية ،دراسة في تاريخ العلاقات الدولية الإقليمية، الجامع الحديث، الإسكندرية، 2001، ص 31.

(*1) يزيد بن هشام : هو بن عبد الملك بن مروان ، تولي الخلافة بعد أبيه ، اتسم عهده ببعض التقلبات

– الكوفي: مرجع سبق ذكره، ص 87.

(192) حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الأموية ، جامعة التحدي ، سرت ليبيا ، 2014 ، ص 44

(*2) هشام بن عبد الملك : من أبناء مروان بن الحكم بن العاص ، بويع بالخلافة بعد أخيه يزيد سنة 105هـ – 724م ، وكان عمره آنذاك 34 سنة ، وفي عهده فتحت بعض البلاد ، توفي بالرصافة وكان عمره 53سنة .

– ابن كثير : مصدر سبق ذكره ، ج9 ، ص 156 .

(193) اليعقوبي ، مصدر سبق ذكره ، ص 222

عموماً شهدت الدولة الأموية حركة تجارية نشطة عبرَ أنحائها المختلفة الواسعة ومع الدول والإمبراطوريات الأخرى المجاورة على حد سواء. ولم تقم الدولة أي قيود من أي شكل على كافة أشكال التجارة بين ولايات الدولة نفسها، كما لم تفرض قيوداً، ولم تحتكر أي نوع من البضائع التجارية، وبذلك فإن القوانين التجارية لم تختلف في العهد الأموي كثيراً عما كانت عليه في عهد الخلافة الراشدة [194].

وخلاصة القول فإن المجتمع العربي الجاهلي أو في عهد الإسلام كانت التجارة واحدة من أهم المهن التي يمارسونها، ولما جاء الإسلام اكتسبت نظماً وتقاليد متطورة، كانت ثمرة إتصال أهل مكة التجاري، بالعالم الخارجي، كاليمن والحبشة وغيرها. والمسلمون جزء من هذا المجتمع، كانت لهم علاقاتهم التجارية التي تشكل غالب ومعاشهم وعندما أُمر (ﷺ) بدعوته ، جعلها واحدة من المعينات على المضي قدماً في سبيل نشر الدعوة إلى الله والإعلاء من شأنها.

نجد ذلك واضحاً حينما زادت مضايقة الكفار للمسلمين في بداية الدعوة لعبت العلاقات التجارية بين الحبشة ومكة دوراً في توجيه النبي (ﷺ)للمسلمين بالهجرة إليها ، إضافة لما يتصف به ملكها من العدل بين الناس. كما أن التبادل التجاري له دور في نشر الإسلام, وأن التعامل وفقاً لما سنه النبي (ﷺ) والخلفاء من بعده من السماحة والعفو وما بذلوه في تأمين طرق التجارة خاصة في عهد الخلافة الراشدة ، فالتجارة بعد الرسالة المحمدية أخذت منحى آخر في زكاة وصدقات للأموال وتطهيراً للنفس، مما خلق روح التكافل في المجتمع المسلم. وكذلك ازدهرت التجارة في العهد الأموي وكان الانفتاح علي العالم دون قيد وشرط ولم تحتكر البضائع ولم تخرج من دائرة القوانين الراشدة.

---

[194] السرجاني:راغب، الحياة الاقتصادية في الخلافة الأموية، موقع قصة الإسلام، بدون مكان طبع،2006م، ص5.

[60] ابن الاثير :مصدر سبق ذكره، ج3،ص200.

[61] ابن خلدون : مصدر سبق ذكره، ص302.

الفصل الثالث

أساليب التجار في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية

أ- الأساليب المباشرة:

اتبع التجار عدة أساليب كانت لها فعاليتها الكبيرة وأثرها البارز في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية ومن هذه الأساليب:

1- الإسلام دين فطرة:

إن الله فطر الناس جميعاً علي فطرة سليمة تدفعهم لمعرفة الله بعد أن أودعهم حواس تعينهم علي ذلك، ولذلك الإسلام ينتقل من إنسان إلي إنسان ومن امة إلي أمة في سهولة ويسر فلا غرو أن انتشر الإسلام في معظم المناطق دون جهد منظم أو سياسة مرسومة لأن الإسلام يتميز بوضوحه وبساطته، ونجد الإنسان يكسب الصلة المباشرة بالله سبحانه وتعالى بدون وسيط فيقف بين يديه خمس مرات في اليوم ويدعوه دون حجاب [195].

كما نجد أن الإسلام يعطي حق الميراث للمرأة، بينما نجدها في الهند لا تحب أن تحيا بعد زوجها بل تراها تدخل النار فخورة، أو يدفنوها حية، وتحرم من الميراث في الديانة الهندوكية، فلا غرابة ان دفعت الفطرة الناس بمختلف أجناسهم وبيئاتهم إلي الدخول في الدين الإسلامي أفواجاً[196].

وبالرغم ما يحيط به المجتمع الهندي نفسه من قداسة قانونية تدعو إلي قيام الطبقات وتميزها وصراعها، ظهر الدين الإسلامي دين فطرة يخاطب الناس بمساواة تامة لا يفرق بين الغني والفقير، ويدعوهم جميعاً إلي الإيمان والتصديق بوجود الله وبرسالة سيدنا (ﷺ)، وهو في ذات الوقت نظام أخلاقي يرسم مسيرة الإنسان في علاقاته ويجعل من مكارم الأخلاق تكملة لازمة لأركانه حتى يحقق العدل والمساواة ومنع البغي وإزالة الظلم وكفالة التوازن الاجتماعي والتكافل والتعاون وسد الذرائع التي تدعو إلي نظام الطبقات [197].

إن انتشار الإسلام في الهند لم يقم علي القسر وإنما قام علي الإقناع الذي كان يقوم به دعاة من التجار متفرقون لا يملكون سلاحاً ولا غزاة، إلا إيمانهم العميق بدينهم، لذا نجده انتشر بالتسرب

---

[195] مونس، حسين : الإسلام الفاتح ،سلسلة دعوة الحق رابطة العلم الإسلامي، 1400 هـ، ص 24.

[196] وول، ديورانت: مرجع سبق ذكره ، المجلد الأول، ج3، ص 182.

[197] قطب، سيد : السلام العالي والإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 168.

- محمود، حسن أحمد: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص 32.

السلمي البطيء من قوم إلي قوم، وقد يسر أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته، سهل التناول ولا لبس ولا تعقيد في أصوله، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف، ووسائل الدخول فيه أبسط، إذ لا يطلب من الشخص للدخول في الإسلام سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح في جماعة المسلمين، فالذي ينتسب للإسلام يشعر بأنه أصبح شخصاً محترماً له الحرية في رأيه [198].

وأيضاً مما ساعد علي انتشار الإسلام، إقبال الكثيرين من الهنادكة علي الدخول في الدين الإسلامي لما فيه من تسامح ومساواة وعدل وكافة الصفات الحميدة، فلا طبقات فيه ولا تفاضل بين أفراده إلا بالتقوى وذلك كما ورد في قوله (ﷺ): "الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق لعربي علي عجمي إلا بالتقوى"[*]، ولقد خضع أهل الهند قرون طويلة إلي عقائدهم وشعائرهم التي تدعو إلي العنصرية والتفرقة.[199]

ونجد الإسلام انتشر في تلك البلاد بجهود الأفراد ولم يكن هناك حاكم إسلامي يقال انه أجبر الناس علي الإسلام أو يرعى شؤون المسلمين، ولكنها جهود الأفراد وقوة الإسلام وبساطته التي مهدت له السبيل.[200]

الدين الإسلامي دين يخاطب الناس بمساواة تامة لا يفرق بين الغني والفقير، ويدعوهم جميعاً إلي الإيمان والتصديق بوجود الله وبرسالة سيدنا محمد (ﷺ) وهو في ذات الوقت نظام أخلاقي يرسم مسيرة الإنسان في علاقاته، ويجعل من مكارم الأخلاق تكملة لازمة لأركانه. [201]

---

[198] شلبي: مرجع سبق ذكره، ص 466.

- الساداتي : مرجع سبق ذكره، ص 148.

[*] الجرجاني، عبد الله بن عدي بن الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص 220، حديث رقم 2.

[199] الشيخ ،عبد العزيز جاويش : الإسلام دين الفطرة والحرية، دار الهلال، بدون تاريخ، ص15.

- النمر، مرجع سابق ذكره، 69 .

[200] محمود : مرجع سبق ذكره، ص 31 .

[201] الساداتي، احمد محمد : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية والباكستانية وحضارتهم، ج1، مكتبة الأدب، القاهرة، 1957 م، ص 148 .

انتشر الإسلامي بالإقناع والتسرب السلمي البطيء بالاختلاط والتزاوج وقد يسر انتشاره لأنه دين بطبيعته سهل التناول في مبادئه، حبب الإسلام إلى الهنود مظاهره الجميلة البعيدة عن التكلف، وشعائره البسيطة ولغته السهلة. [202]

أيضاً من العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في الهند بساطة الدين الإسلامي، وتطابقه مع الفطرة السليمة مقارنة بالديانات الهندوكية والبوذية والجينية، التي كانت منتشرة في شبه القارة الهندية آنذاك، وعندما جاء التجار المسلمون وطرحوا مبادئهم أثناء بيعهم وجد الهنود الفرق الشاسع بين دياناتهم وبين الإسلام الذي تميز بالبساطة والعفة والأخلاق، والأمانة والتكاتف الاجتماعي، وهو دين المحبة والمساواة كما وجدوا أن الإسلام دين للجميع لا لكاهن [*] أو قديس أو قس سيطرة عليه.[203]

2- الأخلاق والمعاملات:

الإسلام دين الإنسانية ودين الخلود والأبدية فأنه يحق أن يدعو إلي مكارم الأخلاق والرسول (ﷺ) قدوة لأمته وأسوة لملته في قوله تعالى: (قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[*]

والأخلاق الحسنة تشمل كل خصلة من خصال الإنسانية التي تجعل كل من يتصف بها إنساناً كاملاً بتمام معنى الإنسانية وقد جاءت الكثير من الآيات التي توضح ذلك وتدعو لمكارم الأخلاق. قال تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

---

(202) شلبي : مرجع سبق ذكره ، أديان الهند الكبرى، ص 94 .

(*) الكاهن :من الكهانة والكاهن في حياة الفراعنة لهم دور خطير و قد كانوا على اختلاف طبقاتهم يقومون في المعابد بخدمات تحت أعلام الدين، بجانب قيامهم بأعمال أخرى منها ما يتصل بقيادة الجيش و منها الإشراف على مختلف الفنون والصناعات وكان الكهان كغيرهم من أصحاب المهن الاخري في مصر الفرعونية حريصين كل الحرص علي الحفاظ علي مهنتهم يورثونهم ابنائهم من بعدهم.

-الموسوعة العربية الميسرة : المجلد الثالث س ك "الطبعة الثانية دار الجيل الجمعية المصرية 2001 ص 192.

[203] طارق، فتحي سلطان : انتشار الإسلامي في آسيا، ط1، دار الفكر، عمان، 2010م، ص115.

[*] سورة الأحزاب: الآية 21.

وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [*]

فهذه الصفات المذكورة قد اتصف بها الرسول (ﷺ)، وخصه بها الخالق (ﷻ) عن غيره وأوجبها على أمته، وقد برزت هذه الصفات في صحابته الكرام (ﷺ)، فكانت منابرهم تعج بكمال الأخلاق وحسن الصفات حتى تميز بها كثير من التجار المسلمين فانعكست في أساليبهم التي كانوا يتبعونها في تجارتهم لاسيما مع شبه القارة الهندية. [204]

حيث ظهر الإسلام ودخل العرب في دين الله أفواجاً كان منهم هؤلاء التجار والعرب وغيرهم، فحملوا معهم دينهم إلي تلك البلاد التي يتعاملون معها وكان من الطبيعي ان يتحدث هؤلاء في حماس وإيمان عن دينهم الجديد وعن الرسول (ﷺ) الذي ظهر في بلادهم يدعو الناس إلي التوحيد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعاً في الوقت الذي كانت تعاني من التفرقة ونظام المساواة والتوحيد نعمة جديدة عليهم يحلو لهم أن يسمعوها، وان يقارنوا بينها وبين ما هم فيه من أوضاع التفرقة وأثقالها والعناء النفسي والاجتماعي، لذا وجد الإسلام في الهند أرضاً خصبة سهلة لغرس بذرته. [205]

كما نجدهم في حاجة ماسة إلي قواعد سلوكية تحكم معاملاتهم الداخلية والخارجية،لأن الأفراد لا يستطيعون فرادى ويحتاجون إلي الآخرين في شتى جوانب الحياة تحقيقاً لمطالبهم المستمرة المشتركة لعدم قدرتهم علي الحياة الانعزالية، فنجد التجار رحلوا إلي هناك لبيع بضائعهم بالصدق والأمانة والمساواة بين الأفراد، وأي تاجر مسلم دون النظر لمكان مولده أو الدولة التي ينتمي إليها، يلقى في دار الإسلام معاملة حسنة لائقة وهو أمين على تجارته وأخلاقه، وله التشجيع المادي والمعنوي للتمسك بإسلامه في كل مجال من مجالات النشاط والتجارة تعطي الأفضلية للمسلم، ولو كان غريباً،

---

[*] سورة البقرة : الآية 177.

[204] العلامة، أبو النصر مبشر : الإسلام دين الفطرة الأبدي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405 هـ - 1984 م، ص 201

[205] النمر : مرجع سبق ذكره، ص 61 .

ولقد ترك كثير من التجار البلد الذي ولدوا فيه ليعملوا ويبذلوا خبرتهم في مناطق أخرى عرف حكامها بالظلم والمحاباة. [206]

اندفع التجار المسلمون بتجارتهم التي تحمل مبادئ دينهم السمحة ،مخترقين الآفاق بأخلاقهم الفاضلة ومعاملاتهم الصادقة يجوبون الأقطار والبحار يبيعون ويبتاعون مع التجار والأهالي دون زيغ أو انحراف عن هذه الأخلاق الدينية الطيبة والمحفزات النبوية بل أكثر من ذلك صارت لديهم تلك التجارة وسيلة من وسائل الدعوة لانتشار الإسلام شعارهم في ذلك قول الرسول (ﷺ): (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى وإذا اقتضى)[*] [207].

وبذلك كان المسلمون الذين يترددون بتجارتهم علي بلاد الهند بحيث أعجب بهم الناس وبأخلاقهم الفاضلة ومعاملاتهم الصادقة الطيبة، فاحتضنوا دينهم وتجارتهم ولعل ذلك كان أكبر نجاح حققوه في تلك المنطقة بنشر الدين الإسلامي بينهم.[208]

في الوقت الذي كانت الهند تنتظر اليد التي تنتشلها من تلك المحن والفوضى والفتن التي كانت غارقة فيها حتى ظهر الإسلام علي أيدي أولئك المسلمين، فوجه تلك الشعوب الهائمة علي وجوهها، وجهة صالحة فأنقذهم من تلك الحروب الأهلية المدمرة التي كادت أن تأتي علي دعائمها وتقضي علي حضارتها، فمن الطبيعي أن يحاول التاجر العربي المسلم التحدث عن دينه الإسلامي ودعوة أصدقائه ومعارفه في مواني الهند ومراكزها التجارية التي يرتادها لأغراض التجارة بل ويحاول نشرها بين أهل الهند الذين يشهد لهم بالنزعة الدينية وحبهم للعرب. [209]

---

[206] مخول: قيصر أديب: الإسلام في الشرق الأقصى، تعريب الدكتور: نبيل صبحي، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص33.

– الندوى: مرجع سبق ذكره، ص 65.

– الساداتي، احمد محمد : مرجع سبق ذكره ج1، ص3 .

[*] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، ج3، ص 730 .

[207] مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الرابع، ص 96 .

[208] أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي: اللطائف والمعارف، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، 1416هـ، 1960، ص 80.

[209] الندوى : تاريخ العلاقات بين الهند والبلاد والعربية ،مرجع سبق ذكره، ص 144.

– ديورانت ، وول : مرجع سبق ذكره، ج4، ص 126 .

تركت المبادئ السامية التي حملها التجار المسلمون المتجسدة في أخلاقهم ومعاملاتهم الطيبة أثراً بالغاً في كسب مودة وتأييد بعض الحكام لهم والدليل علي ذلك الملك الذي اعتنق الإسلام علي يد أولئك التجار المسلمين ويدعى الملك شكروتي(*) وكان يثق بالمسلمين ثقة عظيمة حتى كان يرغب بنفسه الناس إلي اعتناق الإسلام، ويرجع السبب لتقوية أسطوله الذي كان في أيدي المسلمين، بل أصدر أمراً علي كل أسرة في مملكته أن تربي واحداً أو اثنين من أبنائها علي الديانة الإسلامية في الوقت الذي كانت فيه الهند الجنوبية مسرحاً للمصادمات الدينية بين الهندوسية والبوذية والجينية، فكان الناس بطبيعة الحال مضطرين لقبول أفكار جديدة، فظهر الإسلام يدعو إلى عقائد ومبادئ سهلة التناول(210)

وكان لإسلام الملك شكروتي دوراً عظيماً عميقاً في رعاياه وإذا اعتنق هندوسي الإسلام حتى لو كان من الطبقة السفلى فإنه ينال نفس الاحترام والتقدير بما كان سبباً لدخول كثير من المضطهدين في الإسلام.(211)

وقد أرسى الاسلام الدعائم الأخلاقية الراسخة للتعامل مع الغير تتمثل في قوله تعالى: (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (*) وفي قول الرسول (ﷺ) : (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا) (1*)، وإذا كان الإسلام قد أرسى مثل هذه الدعائم الأخلاقية للتعامل مع جميع الشعوب دون عنصرية وتفرقة وتزود بهذه الأخلاق الكريمة وذهبوا إلي أماكن تجارتهم مما أدى إلي انتشار الإسلام(212)

(*) شكروتي يسمى في بعض المراجع حكورتي بمعنى الملك والإمبراطور ظهر في القرن الثالث الهجري 3هـ – 624 م، هو واحد من ملوك الهند.

- البلاذري : مصدر سبق ذكره، ص 143.

(210) النمر: مرجع سبق ذكره، ص 66–67 .

(211) النمر: المرجع السابق، ص 64.

(*) سورة النحل: الآية 126.

(1*) الخطابي: كتاب العزلة، ج3، حديث رقم 123 ، والحديث مرفوع.

(212) محمود : مرجع سبق ذكره، ص 31.

ولا غرو فقد تعلم الهنود أشياء كثيرة من العرب المسلمين، ومن أفضل ما تعلموه روح التسامح والأخلاق الفاضلة التي ينبغي مراعاتها وأبلغ دليل على روح المساواة ما روي عن أبن عمران أن النبي (ﷺ) قال: (إن دخلت عليكم وانتم جلوس فلا يقومن أحد منكم في وجهي وإن قمت فكما انتم، وإن جلست فكما انتم فإن ذلك خلق من أخلاق المشركين) (*). (213)

كما نجد الباعة المتجولين والتجار المسلمون وفدوا للتجارة في المناطق الهندية المختلفة فقد كانوا يقومون بزيارات موسمية علي حسب أوقات الرحلات التجارية، وأثاروا وأشاعوا الفضول عن الإسلام من ناحية، فإن المسلمين بالإضافة إلى ملابسهم الفضفاضة وغطاء الرأس المميز قد جذبوا الانتباه وبفضل الانتباه بفضل الأمانة التي تميزوا بها في التعامل في البيع والشراء ،وكثيراً ما قدموا التيسيرات في البيع كما لا يتحصلون علي باقي مستحقاتهم إلا في الزيارات الموسمية القادمة، مما يدعم الرابطة بينهم وبين المسلمين ويخلق نوعا من الإلفة والمحبة، بينما زاد الفضول في فضل تكرار تطهرهم ووضوئهم علي مدار اليوم وقيامهم بالصلاة بما فيها من ركوع وسجود ومناجاة لله ودعاء كل هذا أدى إلي انتشار الإسلام في الهند. (214)

ولقد عرف عن التجار حسن الخلق والأمانة ودماثة الأخلاق وحسن الصحبة والرفقة في السفر، كما كان التجار المسلمين تجاراً ودعاة في وقت واحد، حاملين قبل بضائعهم رسالة الإسلام الرفيع، والدقة في البيع والشراء، فرأى فيهم الهنود مثالاً يحتذى به، وهدفاً أسمى يسعون له ففضلوا الدين الإسلامي قبل بضائع التجار الحاملين لتلك البضائع وحملوه لينقلوه إلي بقية أهاليهم.(215)

ولم يقتصر اعتناق الإسلام علي الطبقات الفقيرة بل شمل أيضاً ملوك الهند الذين بادروا الدخول في الإسلام، والعقيدة السمحاء، يذكر على سبيل المثال حاكمي مدنيتي الملتان(*)،

(*) أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبو داود، كتاب الادب في قيام الرجل للرجل، دار سحنون، ط2، حديث رقم 1992 .

(213) جلال، مظهر: مرجع سبق ذكره، ص27.

(214) محمود، حسن أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 41.

(215) طارق، فتحي سلطان : مرجع سبق ذكره، ص 75.

(*) الملتان: هي مدينة في آخر بلاد السند، وهي مجاورة لبلاد الهند، ولكن البعض يجعلها من بلاد الهند، وبها صنم يعظمه أهل الهند، وهي مدينة كبيرة عليها حصن منيع، سميت بالملتان باسم الصنم وهو علي صورة إنسان مربع علي

وصيمور [*1]، فضلاً عن مملكة البلهرا [*2] التي تسمي ملوكها بأسماء عربية مثل لقب الحاج وقد كان لحاكم هذه السلطنة علاقات ودية مع الجالية الإسلامية الموجودة بها حيث حظيت بالرعاية والاحترام والتقدير.[216]

3- الإقناع والحكمة:

لقد كسب الدعاة والتجار قلوب الأهالي بتعلمهم لغتهم وانتحال عاداتهم وأخلاقهم التي لا تتعارض مع الإسلام واخذوا جانب الرفق والعطف والتدرج علي منتهى الحكمة في نشر تعاليم دينهم، فبدءوا بإقناع زوجاتهم إلي الإسلام، واستخدموا كل السبل والوسائل والموعظة الحسنة حتى يتم تأليفهم وانخراطهم في الإسلام فمثلاً اتبعوا مبادئ وشروط مبسطة علاوة علي أسلوب القدوة والحكمة والموعظة الحسنة لأنها دستور التعامل والتخاطب مع الغير في الإسلام، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [*] [217].

ومن ثم فقد تمكنوا من تقريب هذا الدين إلي أذهان الشعب الهندي، فلا عجب أن التجار المسلمين كانوا عندما يدخلون البلاد يعرضون الإسلام في معاملاتهم وقدوتهم الحسنة علي أهلها، ثم يتركونهم وشأنهم من يعتنق بفضائله الإنسانية ثم يسعون الهنود بأنفسهم لاعتناق الإسلام فلا غرابة

كرسي من جبس وآجر، وقد ألبس جميع جسده جلداً أحمد، فلا يتبين للإنسان من جسده شيء إلا عيناه، ولا يترك مكشوفا ، وعيناه جوهرتان وعلي رأسه إكليل من الذهب مرصع، والصنم متربع ومادِ ذراعية علي ركبتيه، وهو معظم عندهم جداً وبين هذا الصنم في وسط الملتان ويوجد فيها سوق عامر، وليس بالهند أو السند قوم يعبدون الأوثان إلا هؤلاء الذين مع هذا الضم وهي محط القوافل التجارية قرى نقطة التقاء الروافد الخمسة التي تكون نهر الهندوسي.

–الحميري:،مصدر سبق ذكره ، ص 546 .

[*1] صيمور : ميناء من أهم مواني ملابار تقع في الجنوب الغربي من ملابار وتسمي سيمور وهي الآن تقع إلي الجنوب من بومباي بنحو 25 ميلاً.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص 440.

[*2] البلهرا : لقب ملك من ملوك الهند صاحب مدينة المانكير وهو أكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه، وتصلي لرسله إذا وردوا عليهم، وهو أعظم ملوك الهند .

– المسعودي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 67.

[216] الحميري : مصدر سبق ذكره، ص 546.

[*] سورة النحل: الآية 125.

[217] مونس، حسين : الإسلام الفاتح، سلسلة دعوة الحق رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى، 1400 هـ، ص 24.

أن تبلورت العقيدة في قلوبهم ونفوسهم سلمياً وانتشر الإسلام بأجمل الصور الحسنة والطرق السلمية، لأنه لولا إتباعهم هذه السياسة لكانوا قد جلبوا علي أنفسهم الخسران والخراب، بل وأرادوا أن يتحركوا دون أن تجاريهم الأديان المحلية القديمة ذلك لأنها سارت علي أيدي التجار المسلمين المعروفين عند السكان كتجار فحسب لا دعاة أتوا لنشر الإسلام ولأنها سارت بطريقة الحكمة والإقناع والاقتناع بعيداً عن التدخل في الشؤون السياسية وان حركتهم محدوده في مراكز التجارة.[218]

كان أولئك التجار المسلمين من غير المحترفين للدعوة أصلاً، ولكنهم جذبوا الناس حيثما نزلوا بدينهم الحنيف بالمُثل الطيبة والقدوة الحسنة، فكان التاجر المسلم مثالاً للصدق والأمانة والنزاهة وسط البيئات وأهلها وصار بهذا الخلق مثالاً أعلى للداعي الإسلامي، وملجأ للناس يجدون فيه ما يهديهم إلى الدين الإسلامي وتعاليمه. [219]

والحكمة والموعظة هي دستور التعامل والتخاطب مع التجار الهنود من جانب التجار المسلمون، ونجد أسلوب الإقناع والحكمة والقدوة الحسنة في الإسلام الذي أرسى دعائم أخلاقية راسخة للتعامل مع الغير تتمثل في قوله (ﷺ) : (بلغوا عني ولو آية ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده في النار) [*] فإن رسالة التجار في توزيع تجارتهم وتوزيع أفكارهم تقوم علي منهجً فكري وعقلي شاملاً ساهم في تحويل الملايين من الهنود إلى الإسلام بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة والحكمة والإقناع[220]

---

[218] – شلبي، عبد الجليل : حركة التبشير الإسلامي في آسيا وأفريقيا وأوربا، مؤسسة الخليل العربي، القاهرة، 1409 / 1989م، ص 27.

– فوزي، محمد صالح وبجامة : دخول الإسلام وانتشاره في دول جنوب شرق آسيا، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا قيم التاريخ، 1426 – 2005م، ص 197.

[219] العدوي، إبراهيم أحمد: التاريخ الإسلامي أبعاده السياسية وآفاقه الحضارية، لبنان، بيروت، 1976 م، ص 385.

[*] الترمذي، محمد ين عيسي: مصدر سبق ذكره ، ص 40، رقم 2669.

[220] العناني، إبراهيم محمد: أسس مبادئ الدبلوماسية في الإسلام ندوة الدبلوماسية، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بدون تاريخ، ص 203 .

–آرنولد، توماس: الدعوة إلي الإسلام، ترجمة حسين إبراهيم حسن، عبد الحميد عابدين، ط1، مكتبة النهضة، القاهرة، 1970م، ص 265.

4- **المساواة والعدالة الاجتماعية :**

اتفقت جميع الأديان السماوية على المساواة والعدالة بين الناس، والإسلام اعتنى بالمساواة والعدالة في جميع الحقوق اعتناءاً لا مثيل له، وأنه وضع تعليمات متينة وقوانين صارمة يخضع لها المسلمين من أي طبقة او جنس ويعيشون في ظلالها بالمساواة ويحيون تحت سيادتها حياة هادفة قال تعالى: (إنما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [*] [221]

كما ساوى الإسلام بين جميع الناس في كل شيء مثلاً ففي حد السرقة تقطع اليد للجميع دون محاباة من أحد مهما كانت منزلته في عشريته. ويدلل على ذلك قوله (ﷺ) : (لو سرقت فاطمة بنت رسول الله لقطع يدها) [*] ، ولكن في شبه القارة الهندية في عقاب السارق حسب الطبقة التي ينتمي إليها، فإذا كان من طبقة البراهمة والكشترا قطعوا اليد بالخلاف وفي بعض الطبقات يطبق حكم القتل.

وفي جريمة الزنا عند المسلمين تعد من اكبر الذنوب بعد الكفر والشرك بالله، وقتل النفس ومن أكبر الفواحش علي الإطلاق ، فحكم الإسلام إذا زنا شخص أقيم عليه الحد وهو الجلد أو الرجم كما في قوله تعالى : (والزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) [*] وعقاب الزنا عند الهنود ان المرأة تُخرج من بيت الزوج وتُنفى إذا ثبتت عليها جريمة الزنا، او يرجع إلي بلاده وعليه كفارة صيام ثم يلقوه في إخثاء البقر وأبوالها وألبانها أياماً معدودات حتى يختمر فيها. ويُخرج ويَطعم ما شاء ما هو جُنة وفي طبقة الشودرا يسقط عن طبقته ولا يعود لها . [222]

وفي جريمة القتل اذا كان القاتل من طبقة البراهمة والمقتول من سائر الطبقات لم يلزمه الكفارة وهي تكون بالصوم والصلاة والصدقة، إذا كان المقتول من طبقة البراهمة كان أمره إلى الإخوة وبم يجزه

---

[*] سورة الحجرات: الآية 12.

[221] العلامة، أبو النصر مبشر الطرازي الحسن : الإسلام دين الفطرة الأبدي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405 هـ، 1984م، ص 201 .

[*] مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، ج2، ص 1315 بكتاب الحدود، حد السرقة، حديث رقم 6884.

[*] سورة النور: الآية 2.

[222] أبوبكر، الجزائري : مناهج المسلم، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1979م، ص 548.

كفارة إذ أن الكفارة تمحو الذنوب أما من دون البراهمة أو الكشترا إذا قتل بعض بعضهم يكفر بكفارة [223]

ولديهم في الميراث الشرط الأول لسقوط النساء منه ما عدا الابنة إذا كانت غير متزوجة ينفق عليها من الميراث حتى وقت زواجها، ويكون جهازها منه، ثم تقطع نفقته منها، أما الزوجة فإن لم تحرق نفسها بعد وفاة زوجها، وآثرت الحياة كان علي الوارث نفقتها ما دامت علي قيد الحياة، أما الابن وأولاده أولى من الأب والأجداد، فإن لم يكن للميت وارث على حسب الطبقات، إذا كان من طبقة البراهمة ليس للوالي على تركته سبيل، ولكنها تكون للصدقة فقط، أما باقي الطبقات تؤول التركة فيها إلي بيت مال الوالي. [224]

أما حق الميت علي من ورثه غسله وتكفينه ثم حرقه بما أمكن من صندل أو حطب، وتجعل بعض عظامه المحترقة في إناء ثم تلقى في النهر حتى تدخله الجنة وتنقذه من جهنم وباقي رماده يطرح في بعض الأودية الجارية، ولا يحرق الأطفال من سنة إلي ثلاث سنوات، يغسل مع ثيابه ويترك يومين بسبب جنابة الميت وأما الحي لا يميل فيه إلي الإحراق إلا الأرملة التي تؤثر إتباع زوجها. [225]

وكان المسلمون لاسيما التجار منهم إذا ارتكب أي فرد منهم جريمة من الجرائم التي ذكرت يقام عليه الحد دون النظر في مكانته الاجتماعية، مما حبب الإسلام في نفوس الهندوس ونجد إذا اعتنق هندوسي الإسلام، ولو كان من الطبقة السفلى فإنه ينال نفس الاحترام والتقدير والجزاء والثواب في جميع ضروب الحياة وكان ذلك سبباً في دخول كثير من المضطهدين في الإسلام. [226]

أما المرأة في الهند إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج مرة اخري، وهي بين أمرين أن تبقى أرملة طول حياتها وإما أن تحرق نفسها، وهو أفضل لأنها تبقى في عذاب طوال حياتها، والرجل مسموح له أن يتزوج بأكثر من واحدة إلي أربع وما فوق الأربع محرم عليه إلا أن تموت أحداهن من تحت يده فيتم العدد بغيرها ولا يتجاوز الزواج الطبقات، يمكن أن يتزوج البرهمي أربعاً والكشترا ثلاث والشوادرا

---

[223] البيروني: مصدر سبق ذكره، ص 435.

[224] وول، ديورانت: مرجع سبق ذكره، ص 174 – 175.

[225] البيروني : المصدر السابق ، ص 439.

[226] النمر: مرجع سبق ذكره، ص 95.

واحدة ويجوز لكل واحد من أهل الطبقات أن يتزوج من طبقة فوق طبقته ويكون الولد منسوب إلي طبقة الأم دون الأب.[227]

تعيش المرأة وليس لها خيار سواء كانت بنتاً صغيرة او شابة او عجوزُ في خيار أبيها، والمتزوجة في خيار زوجها، والأرملة في خيار أبنائها، وعلي المرأة ان ترضى بمن ارتضاه لها والدها، وإذا كان لها زوج فتخدمه طوال حياته ولا تفكر في رجل آخر بعد وفاته بل عليها أن تهجر ما تشتهيه من الأكل اللذيذ، واللبس والزينة كلها، وتعيش أرملة إلي آخر عمرها. [228]

مفهوم المساواة المطلقة الذي جاء به الإسلام لا يحول قط دون اختلاط المسلمين التجار في حياتهم اليومية مع المواطنين في الهند، في الأماكن التي يتنقلون فيها بل لا يحول أيضاً دون التزاوج من النساء في تلك المناطق فالإسلام لا يفرض حاجز اللون وفي كثير من الأحيان يستقر بعض التجار المسلمين استقراراً دائماً او موسمياً في المناطق وكونوا أسراً وقد أدى ذلك إلي انتشار الإسلام وتوسعه.[229]

ونجد أنه حينما جاء الإسلام فقد جاء بمبادئي واضحة ومعالم سليمة ترمي لبناء وتأسيس الاسرة مهما تشكلت ومهما تعدد أفرادها ، وفي هذا المجال فإن المرأة في شبه القارة الهندية كانت تعاني على ما يبدو من أمور كثيرة طالت حرياتها في حق الاختيار وحق الحياة بسبب التقاليد الهوجاء والجاهلة التي كانت تمارس، فنجد أن المرأة لم تترك لها فرصة الزواج بعد وفاة بعلها، والإسلام لم يكن إلا ترياقاًُ لسموم تلك العادات، وقد نادى النبي ﷺ بتقدير المرأة وحفظ حقها حتى في آخر لحظات عمره فنجده يقول ﷺ في حجة الوداع (رفقاً بالقوارير) . ولعل الباعث الحقيقي لإرتياد الإسلام هو ما يحمله من مساواة وحفظ الحقوق والعدالة التي كانت ظاهرة في المعاملات التي حملها التجار المسلمين إلى شبه القارة الهندية فاتحين بذلك الطريق إلى نور الهدى وكلمة الحق .

---

[227] الندوي : مرجع سبق ذكره، ص 63 .

[228] شلبي، عبد الجليل : مرجع سبق ذكره، ص 28.

[229] المرجع السبق ذكره ، ص 91 .

وعلى الرغم من انتهاء كثير من التقاليد العمياء في وقتنا الحاضر التي كانت شبيهه أو متقاربة مع ما يمارسه الهنود مع المرأة كالحداد بطرق غير شرعية على الرغم من محاولات الدعاة إلى نبذها فإننا نلاحظ أن هنالك من يتمسك بها.

وبفضل الإسلام و دعوته ومناداته بالمساواة فلم تعد المرأة كما في السابق ولم تعد مكبلة اليدين ، بل أصبحت تطرق كافة المنابر وكل الجهات التي تبرز من خلالها قدراتها، وأصبحت المرأة كياناً فاعلاً في المجتمع جنباً لجنب مع الرجل تشاركه جميع أموره وأصبحت الحياة تسير وفق إنسجام وتناغم تام بفضل دين الله الإسلام وما أوصانا به النبي ﷺ من وصايا في حفظ حقوق المرأة . وفي الحديث (من أحق الناس بحسن صحابتي، قال : أمك..) وهذه إشارة واضحة لتلك الحقوق.

ب) الأساليب الغير مباشرة:

1- الديانات والمعتقدات :

بجانب العلاقات التجارية بين العرب والهنود فإن هنالك تشابهاً عقائدياً بين الهنود والعرب حيث كانوا يعبدون الأصنام ويركعون لها ،ويخضعون وينذرون ويتقربون لها، وقبل مجيء التجار المسلمين للهند كانت الهند تمر بأزمات دينية واجتماعية نيفة حيث تعبد آلاف الآلهة، ويندفع الناس وراء الشهوات ويتعاملون بالطبقة والعصبية الجامحة، والتقارب في الديانة علي مذهب واحد، والمقارنة بين الأمتين منصوبة علي أساس اعتبار خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات، وبيوت الأصنام التي كان يعبدها العرب والهنود، وهي البيوت السبعة وكانت الكعبة [*] منها بيت الصنم لزحل زعيمهم.[230]

جاء الإسلام بدعوة الناس كافة لعبادة الله وحده ونبذ ما سواه من الآلهة المزعومة والأرباب المزيفين سواء كانوا بشراً او جناً، وان روح الإسلام هو التوحيد توحيد الربوبية والألوهية التي تعني إفراد الله

---

[*] الكعبة : تقع الكعبة في وسط المسجد الحرام ،مستطيلة الشكل طولها أربعة وعشرون زراعاً وشبر وعرضها ثلاث عشرون ذراعاً وشبر، وهي قبلة المسلمين، وسميت بالكعبة لارتفاع بنيانها وكل بناء مرتفع هو كعبة ويقال سميت بالكعبة لأنها مكعبة علي شكل الكعب.

- الحموي : مصدر سبق ذكره، ج4، ص 464 – 465 .

(230) المباركفوري: مرجع سبق ذكره،العقد الثمين ، ص 21.

بالعبادة وان عنوان الإسلام هو تلك الكلمة العظيمة لا إله إلا الله وان سر الإسلام علي سعة تعاليمه يتجلى في دستوره الخالد القرآن الكريم قال تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[*] بمعنى لا نعبد غيرك ونستعين بسواك[231].

وموقف الدين الإسلامي مع معتقدات الهند القديمة التي كانت تسود قبله يتضح في قوله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [*] ومن المعروف عن الإسلام انه عقيدة سمحة بسيطة ملائمة لكل عصر وبيئة، ولقد استطاع أن يتصالح مع إنسان الهند وان ينتشر بينهم بسهولة ويسر ويحل محل معتقداتهم وعباداتهم القديمة السابقة، فوصل لكل إنسان فيها ملكاً كان أم مملوكاً. [232]

2- المصاهرة:

بعد أن كان العرب في الجاهلية ينزلون إلي الشواطئ الهندية تجاراً فقط صاروا بعد شروق شمس الإسلام تجاراً ودعاة، فرأى الهنود صوراً مجسمة للإسلام في أولئك التجار بمعاملتهم وأخلاقهم فتأثروا بهم وأقبلوا ينهلون من معين الإسلام الصافي ،وكان مما شجع الهنود علي الدخول في الإسلام معاملة المسلمين الأخوية الودية في مقابل ما يلاقيه الإنسان الهندي من معاملة لأخيه الإنسان باختلاف طبقاته الاجتماعية، وامتزجوا مع أهلها وتوجد إلي يومنا هذا أجيال من نسلهم في جنوب الهند [233].

ولقد انتهج الإسلام المصاهرة وسيلة من الوسائل لنشر الدين الإسلامي، حيث اختلط العرب بأهل الهند وتزوجوا منهم وكونوا أسراً كانت عوناً لهم في تجارتهم ودعوتهم، فالإسلام لا يعرف حاجز اللون

---

[*] سورة الفاتحة: الآية 5.

(231) القرضاوي : يوسف، العبادة في الإسلام، موسوعة الرسالة، ط12، القاهرة، 1988، ص 135.

[*] سورة البقرة: الآية 256.

[232] آرنولد : الدعوة إلي الإسلام، ترجمه إلي العربية حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين ،و إسماعيل النجراوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1970 م، ص 65.

[233] السيد، صباح الدين عبد الرحمن: التسامح الديني بين ملوك الهند والمسلمين، بدون تاريخ نشر، ص24.

أو الجنس مما ساعد على استقرار بعض التجار استقراراً دائماً وموسمياً في المناطق التي زاروها وقد أتى انتشار الإسلام نتيجة للتزاوج والاختلاط [234].

كما نجد أن الحكام والسلاطين اعتنقوا الإسلام بسبب المصاهرة، مما يدل علي دفع مسيرة الإسلام والدعوة وكان بعض رؤساء القبائل يشترطون علي التجار والراغبين في الدخول إلي بلادهم أن يتزوجوا من الفقيرات والأرامل والمسنات، ومن لا عائل لهن، فمثلاً وزع تاجر حضرمي مسلم ماله في سبيل مهور النساء من اجل الزواج ونشر الإسلام [235].

وكان التجار المسلمون يتزوجون من نساء من أسر رؤساء القبائل المحليين وذلك نظراً لقدرة التاجر المادية التي تميزه نسبياً عن الهندي العادي مما أسهم بدوره في نشر الإسلام.[236]

3- اللغة العربية:

انتشار اللغة العربية يعني انتشار الإسلام لأنها لغة القرآن الكريم وأداته التي توصل وتسهل فهمه للناس ونجدها قد دخلت الهند مع دخول العرب، حيث أنها في المقام الأول لغة دين الإسلام، ثم هي لغة التجار العرب الذين نشروا ثقافتهم في بلاد الهند، فبدأ الهنود يقبلون علي دراستها وتعلمها ومن ثم أخذت مكانتها في الأمور الحكمية والسياسية [237].

وقد تأثرت اللغات الهندية بالعربية حتى انتقلت بعض الكلمات والألفاظ والمصطلحات التي تدخل في تعاملاتهم، حيث عربوا الألفاظ والمصطلحات التي توجد في اللغة العربية مثل أسماء الأطعمة والأشربة والأدوات وأسماء الحيوانات وبعض مصطلحات العلوم والصناعة كما هي إلى الهندية، وبعضها مع شيء من التحريف ونذكر بعض الأمثلة من الأردية

---

[234] شلبي : مرجع سبق ذكره، ص 28.

- الندوي : مرجع سبق ذكره، ص 63.

[235] شلبي: المرجع السابق، ص 28.

[236] مونس، حسين: مرجع سبق ذكره، ص 17.

[237] إبراهيم، احمد العدوي : مرجع سبق ذكره، ص 285.

ومقابلها بالعربية لكلمة (دام) بالأردية بمعنى النفقة والمال مأخوذة من كلمة درهم [(*)] العربية وكلمة التعرج التي أصلها في العربية تمشي ولكلمة خراء مأخوذة من خراط الذي يخرط الحديد. وغير ذلك من الكلمات العديدة. [(238)]

ولقد تأثر العرب أنفسهم باللغات الهندية فأدخلوا بعض الكلمات الهندية التي كانت أسماء لسلع مثل الزنجبيل [(*1)] والكافور [(*2)] ورد ذكرها في القرآن الكريم مثل زنجبيل التي وردت ذكرها في قوله تعالى:(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً)[(*)] ولفظ كافور أيضاً ورد في قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً) [(*)]،والفلفل والأبنوس[(*3)] وغيرها من أسماء النبات والحيوان[(239)]

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية وسط الهنود رغبتهم في دخول الإسلام ورغبتهم في تعلم القرآن الكريم لأنه لا يجوز التعبد إلا به، وفي شبه القارة الهندية نتيجة حتمية للهجرات التجارية المتزايدة للعرب واختلاطهم بالأهالي المحليين[(240)]

[(*)] درهم، لفظ أعجمي عرب من الكلمة اليونانية الدراخما وفي الفارسية لاراخم و أديرام وهي عملة فضية استخدمها العرب في معاملاتهم نقلاً عن الفرس.

– الماوردي، علي محمد بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط1، دار الفكر مصر، 1983م،ص123.

[(238)] الندوي، السيد أبو الحسن علي: المسلمون في الهند، ج2، دار الطبع للطباعة، بيروت، بدون تاريخ، ص 65 .

[(*1)] الزنجبيل : نبات عشبي هندي الأصل له عروق تسري في الأرض وتتولد فيها عروق حارقة الطعم، وهي تتفرع من نبات كالقصب وهو لفظ فارسي

– العلايلي : مرجع سبق ذكره، ص 306 .

[(*2)] كافور: مادة عطرية تستخرج من جرة الكافور وتستخدم في الطب موطنها جنوب الصين أوراقها بيضاء مائلة للصفرة ودائمة.

– العلايلي : المرجع السابق، ص 690 .

[(*)] سورة الإنسان: الآية رقم 17 .

[(*)] سورة الإنسان: الآية رقم 15 .

[(*3)] الأبنوس شجر فصيلته الأبنوسيات ينمو في البلدان الحارة خشبه سميك أسود صلب، و أبنوس من لفظ يوناني .

– العلايلي: مرجع سبق ذكره، ص، 246.

[(239)] أمين، احمد : ضحى الإسلام، ج1، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1331 هـ، 1933 م، ص246.

[(240)] أمين احمد: المرجع السابق، ج1، ص 242.

– العدوي، إبراهيم احمد: التاريخ الإسلامي ،مرجع سبق ذكره، ص 285 .

وعلي الرغم من اختلاف اللغات الهندية فإن طول إقامة التجار العرب فيها أثناء تجارتهم عرّبت بعض الأسماء والألفاظ للسلع الهندية، فضلاً عن جهودهم في نقل مصطلحات اللغة العربية ونشرها في المدن والمراكز التجارية الهندية الكبرى والامتزاج مع لغة الأهالي مما أسفر عن ظهور لغة خاصة عرفتها المصادر باللسان الهندي العربي وهي مزيج من العامية العربية ومصطلحات مقتبسة من بعض لغات شبه القارة الهندية [241].

كما عُرِّبت العديد من الألفاظ والمصطلحات التي هم في حاجة إليها من اللغة الهندية التي لا توجد في لغتهم ،مثل أسماء الأطعمة والأشربة، وأسماء النباتات والأزهار، والأدوات والأدوية وبعض مصطلحات العلوم والصناعة [242].

كما إن حركة التعريب قد أتاحت للعرب المجال في التعرف على ميادين العمل الإدارية التي كانت حكراً للفرس والروم، لخبرتهم وتوسعهم في تلك الأعمال التي ظل العرب بعيدين عنها خاصة في إدارة الأموال، ساعدهم التعريب على الانخراط في تلك الأعمال فبرزوا فيها وأتاحت لهم الفرصة في إبراز مقدراتهم التي اكتسبوها. [243]

وقد كان العمل في التجارة يعتمد على معرفة الحساب وطرق كتابة الأرقام المختلفة فواجهتهم في البداية صعوبة كتابة الأرقام وكذلك الكسور ولكن بفضل حركة التعريب نجح العرب في إخراج ما قد صار نظاماً يعرف في علم الرياضيات بالنظام العشري[*] تأسيساً على جهود الهنود، فأدخلوا ما

---

[241] المسعودي : مصدر سبق ذكره، ص 169.

[242] شوقي، مرجع سبق ذكره، ص 49.

(243) ستانو،ودكسب:المسلمين في تاريخ الحضارة ،ترجمة دكتور محمد فتحي عثمان ، الدار السعودية للتوذيع والنشر ،ط1982،1م، ص98.

[*] النظام العشري : هو النظام رمزي لكتابة الأعداد والكسور مبني على قوى عشرة (10) وفيه يكتب العدد على هيئة صف من الأرقام المعنوية وكل مكان في ذلك الصف يمثل قوة معينة من قوى العدد عشرة (10) ففي أي خانة إلى اليسار العلامة العشرية يكون الرقم الموجود فيها مرفوعاً إلى قوة العدد عشرة (10) أعلى بمرتبة من الخانة السابقة وفي الخانة التي إلى يمين العلامة العشرية تقل القوى مرتبة عن السابقة، ومن المعتقد أن اختبار هذا النظام العشري يرجع إلى اعتياد الإنسان العد على صياغة العشرة في أوائل الحضارات وقد كان للنظام العشري أثر كبير

يعرف بالأرقام العربية التي استفادوا في وضعها من الأرقام الهندية التي حلت محل الرموز الإغريقية الرومانية [*1] وهي رموز عسيرة في الكتابة فتطورت نتيجة لذلك الرياضيات الإحصائية وظهر تقدمها بين الشعوب الإسلامية وقد تأثر العرب أنفسهم باللغات الهندية فأدخلوا بعض الكلمات الهندية ونجد إن الأدب العربي قد استفاد من الهنود في أمور مثل القصص الهندي التي أولع بها العرب والحِكِمِ وهو نوع يتفق مع الذوق العربي فهو أشبه بالأمثال العربية ذوات المعاني[244].

4- العوامل المناخية:

كان لها أثر كبير في توقيت الرحلات التجارية لا البحرية وحدها بل وحتى البرية، فالحر والبرد عاملان مهمان ونذكر على سبيل المثال أن القوافل التجارية التي تجتاز الشمال الأفريقي، كانت تتجنب التنقل أو تخففه في الصيف خشية ما قد يحدث من انعدام الماء وارتفاع درجة الحرارة، وكذلك الأماكن التي تغطيها الثلوج في الشتاء كانت التجارة تنقطع

في تبسيط علم الحساب وكتابة الأرقام بعد أن حل محل الأرقام الرومانية ويسمى الرقم المكتوب طبقاً للنظام العشري رقماً عشرياً.

– خرداذبة: مصدر سبق ذكره، ص 60.

– ملحق رقم 11، ص 170.

[*1] لرموز الرومانية : منذ أقدم العصور توصل الإنسان إلى استعمال بعض الرموز التي تشر للأعداد فقد كان الإغريق يستخدمون رموزاً على هيئة خطوط رأسية مثلاً (I) يعنى واحد، (III) يعنى ثلاثة، (IIII) يعنى أربعة وهكذا يشير عدد الخطوط الدراسة إلى الرقم المعني وهي طريقة طويلة وصنعته خاصة عندما تكون الأرقام كبيرة. وبمرور الزمن تطورت هذه الطريقة وابتكر الرومان = رموزاً أخرى لكتابة الأرقام وهي (I) (II) (III) (IV) (V) (VI) (VII) (VIII) (IX) (X) للدلالة على الأرقام واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة على التوالي، وهي أيضاً أرقام صعبة في كتابتها وهي الأرقام التي كانت تستخدم في الدواوين قبل التعريب. وبعد ذلك استخدم نوع جديد من الأرقام أو الرموز أخذها العرب عن الهنود واخترعوا الصفر ليشغلوا خانة، مما أعطى فوائد كبيرة في تسهيل كتابة الأرقام.

– الجاك، علي محمد (مختص الرياضيات بالمركز القومي للمناهج وآخرون، منهج الرياضيات مرحلة الأساس، شركة الجزيرة للطباعة والنشر، مدني، ط3، 2004م، ص 173)

– ملحق رقم 11، ص 170.

[244] أحمد، أمين، مرجع سبق ذكره، ط1، ص 242.

فـي تلـك الأثنـاء، وكانـت التجـارة البحريـة تخضـع لمثـل هـذه الأمـور لا فـي المحـيط الهنـدي فحسـب ولكـن فـي البحـر الأبـيض المتوسـط، ومثـل هـذه الأمـور تحفزنـا علـي الحـديث علـي الـزمن الـذي كـان يقضـيه التـاجر المسـافر بحـراً أو المتنقـل بـراً فـي الـرحلات الطويلـة، كـان التـاجر الـذي يتنقـل مـن جنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة مـثلاً إلـي مـوانئ الهنـد الغربيـة، يخـرج مـع الريـاح الموسـمية (*) الشـتوية ويقـيم فـي المـواني الهنديـة حتـى يحـين موعـد عـودة السـفن مـع الريـاح الموسـمية الصـيفية،أي أنـه قـد يقضـي ثلاثـة أشـهر أو أربعـة فـي الهنـد وفـي البحـر الأبـيض المتوسـط كانـت الريـاح التجاريـة التـي تهـب مـن الشـمال الشـرقي إلـي الجنـوب الغربـي صـيفاً ومـن الجنـوب الغربـي إلـي الشـمال الشـرقي شـتاءً وهـي التـي تحمـل السـفن الكبيـرة تضـطر هذه السفن إلي الإقامة في بعض المدن في فصل الشتاء أو فصل الصيف". [245]

وهذه الفترة التي كان التاجر يقضيها في المواني المختلفة كان يفيد منها في الإتجار محلياً ولكن هل كان هذا ما يفعله ؟ وهل كانت أوقاتهم كلها تنفق في تبادل السلع ؟ فإن التجار الذين يقيمون في الموانئ المختلفة لابد ان تدور فيما بينهم أحاديث متنوعة وهي قد لا تختلف عن الأحاديث التي كانت تدور بين التجار في دكاكين وحوانيت زبائنهم م الهنود أثناء إقامتهم هناك أياماً أو أسابيع أو شهوراً وهناك القصص التي تروى، والأحاديث التي يتبادلها القوم والتي ينقلونها معهم، ومن يدري فقد يحدث بين الوقت والآخر أن يكون بين الموجودين عالم يتحدث عن شئون الإسلام ،ودليل علي ذلك

(*) الرياح الموسمية : هي الرياح التي تتحكم باتجاهاتها وأوقاتها في السفر من الساحل وفي الإبحار إليه، الرياح الموسمية الجنوبية الغربية للوصول إلي الهند والصين والرياح الموسمية الشمالية الشرقية للوصول إلي ساحل الجزيرة العربية والساحل الأفريقي وقد أطلق العرب علي الرياح التي تهب من الشمال الشرقي الغربي إلي الجنوب الغربي أسم الصبا والتي هب من الجنوب الغربي إلي الشمال الرقي أسم بالدبور، ولها أثر بالغ في حركة التجارة .

– أنور، عبد الحليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، إشراف أحمد ميثاري العدواني، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص 159.

– خرداذبة: مصدر سبق ذكره، ص 60.

– ملحق رقم 11، ص 170.

[245] الندوي : مرجع سبق ذكره، ص 97.

قصة الرجل الذي سمع عن الرسول (ﷺ) وسافر بنفسه وتشرف بلقائه : ولقد تطرقنا إليها في الفصل الثاني بوضوح وشمول. [246]

ثم إن الرياح الموسمية لعبت دوراً موجهاً في حركة السفر وتحديد موعد الإقلاع، ولا غرو فقد كان تغير اتجاه الرياح يتم في فترتين ففي الفترة المتداولة بين شهري نوفمبر ومارس كان اتجاهها عادة من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، بينما كان اتجاهها يتغير في المدة الواقعة بين شهري أبريل وأكتوبر من الجنوب الغربي إلي الشمال الشرقي وبناءاً علي اتجاه حركة الرياح كان بداية هبوبها نحو الوجهة المقصودة هو الذي يحدد موعد إقلاع السفن اتجاه الهند. [247]

وعند العودة كان التجار في انتظار موعد الرياح الموسمية أيضاً وإذا لم تكن السفن قد تجهزت بكل حمولتها من البضائع، فأنها تضطر لانتظار الرياح الموسمية التي تليها فتطول إقامتها، وتتحول من إقامة عابرة السبيل إلي إقامة طويلة، لذلك أقيمت أماكن للتجار الذي يفضلون البقاء في الهند لفترة مؤقتة او يتركون وكلاءهم هناك إقامة دائمة في الخانات [*] التي بنيت لمصلحة المسافرين تجاراً كانوا أم حجاجاً، وكانت تختلف حجماً بالنسبة للحاجة إليها واهتمام الحكام المحليين بالأمر، فهناك خانات تسع عرضها لأربعمائة دابة فيما تقوم حولها أماكن لوضع البضائع للتجار أما هؤلاء ،فكانوا يقيمون في غرف تقع فوق أجزاء من العرضة، وكانت تتوسط هذه بئر يستقي منها هذا العدد الكبير

---

[246] النمر : مرجع سبق ذكره، ص 63.
- مجلة العربي، سبق ذكرها، ص 51.

[247] – البشارى : مصدر سبق ذكره، ص 38 .

[*] خانات جمع خان هو الحانوت أو صاحب الحانوت ،والخان الدار التي ينزل بها التجار ،وتعرف كذلك بالفندق أو الوكالة، وقد يطلق الخان علي عدة دور لنزول التجار وصيانة أموالهم من الضياع، وتقع بجوارها عادة مساحة لوضع البضائع التي تأتي بها القوافل التجارية، وقد نشطت الخانات والفنادق والوكالات بانتشار التجارة بين اتحاد الولايات الإسلامية أو علي طرق المواصلات الرئيسية بين الشرق والغرب ومن أمثلة الخانات في الهند وفي القاهرة خان مسرور وفي بغداد خان مرجان وفي دمشق خان أسعد باشا وفي حلب خان الوزير .

– أحمد، عطية الله : القاموس الإسلامي، المجلد الثاني، ط1، مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة، 1389 هـ، 1966 م، ص 292، ملحق رقم 7 290.

من الناس ،وأدى ذلك لحدوث كثير من حالات الزواج بين التجار وأهالي الميناء، مما أدى إلي انتشار الإسلام وانتشار بعض العناصر الثقافية.[248]

5- العملة:

كان التعامل عند العرب قبل ظهور العملة يتم عن طريق المقايضة [*] تم تحولوا بعد ذلك للمبايعة بالمعادن النفيسة كالذهب والفضة، وكان يبيع الناس ما يستغنون عنه من السلع بقطع من الذهب ثقيلة أو خفيفة حسب قيمة ما يعرض وكان يراعى في ذلك الوزن، وكانوا قبل الإسلام يتعاملون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم من الرطل[*1].

---

(248) شوقي : مرجع سبق ذكره، ص 196.

- مجلة العربي، سبق ذكرها، ص، 53.

[*] المقايضة : تعني مبادلة شي بآخر دون وسيط نقدي، وكانت المقايضة سبيل الناس في التعامل حتى القرن الثامن قبل الميلاد، وعندما اخترع الليديون النقود المسكوكة، ولكن ما زالت بعد اختراع النقود المعدنية، فالحيوان والخيول التي كانت وسيلة المقايضة تتعرض للمرض أو التلف مما كان يؤثر في قوتها الشرائية، أو يؤدي إلي ضياع الثروة، هذا لصعوبة تجزئة مثل هذه الأمور لتحقيق العمليات التجارية البسيطة لذلك ما لبث الناس أن اتخذوا المعادن معياراً ثابتاً لا يتعرض للضياع كرأس مال نافع قابل للتشكل والتجزئة حتى تحقق أقل الأغراض والاحتياجات فضلاً عن صغر حجمها وسهولة نقلها مع التجار من سوق إلي أخرى، وهكذا أخذت المقايضة تتلاشى تدريجياً . والمقايضة في القانون عقد به يلتزم كل المتعاقدين أن ينقل إلي الآخر علي سبيل التبادل ملكية مال ليس من النقود ويعتبر لكل المقايضين بائعاً للشيء الذي قايض به ومشترياً للشيء الذي قايض عليه.

- المسعودي : مصدر سق ذكره، ص 153 .

[1*] الرطل: من الأوزان التي شاعت في بلاد العرب منذ العهد الجاهلي فهو يستخدم للوزن ،وهو يعادل 12 أواقية بأواني العرب الوقية جزء صغير من الرطل وتزن حوالي 40 درهماً والرطل يزن 480 درهم، ولفظ رطل تعريب للفظ يوناني Litr

-الكرملي، الأب استان مادي: النقود العربية وعلم السمبات ،المطبقة العصرية، القاهرة، ط1 ،1939 م،ص39

- ملحق رقم 12

وكان هذا التعامل موجوداً عند العرب قبل الإسلام وقبل ظهور الصكة[*] أو العملة ومن أشهر العملات التي كانت متداولة بين العرب الدينار [*1]. [249]

والعملة يرجع تاريخها إلي عصور الروم [*2] والفرس [*3] فقد كان العرب يتعاملون بنقودهم بعد أن كانوا يعتمدون علي التبادل في السلع والمبايعة بمعدني الذهب والفضة [250].

كما كان لكل ميناء نظام خاص في تعامله مع التجار وغيرهم من حيث تحصيل مختلف الرسوم، وهي رسوم لم تكن ثابتة او موحدة في جميع الموانئ بل كانت تختلف قيمتها ولكن كانت السمة الغالبة في كل ميناء هو التعامل الحسن، من صاحب الميناء وأهله لضيوفهم، حيث كانوا يبادلونهم الهدايا مرحبين بهم وكل هذا طبعاً ليس لإدراكهم لأهمية التجار لهم ولاقتصاد بلادهم وترويج تجارتهم فقط، بل سماحة طباع التجار

---

[*] الصكة: هي التي تنقش عليها صورة كلمات مقلوبة الاتجاه لتطبع بطريقة الضغط او الضرب علي قطعة من المعدن فتظهر معتدلة، ثم تغير المعدن إلي الأثر الذي تتركه أو تحدثه، ثم تنقل إلي القطعة المعدنية التي ظهر عليها الأثر أو من يقوم بهذا العمل

- ابن خلدون :،مصدر بق ذكره، ص 323 .

[*1] الدينار : لفظ فارسي معرب، وهو أسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عن العرب ،مشتق عن الروم من DEMI إلي عشرة، ورد ذكره في القرآن الكريم قوله تعالى : وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ.... ألخ سورة آل عمران الآية 76 ورد ذكرها أيضاً في الأحاديث .

- ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 225.

[249] المقريزي، نقي الدين أحمد بن علي : شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق السيد علي بحر العلوم، ط1 المطبعة الحبرية النجف، 1386 هـ – 1967، ص 4.

[*2] الروم : اختلف في أصل الروم ونسبهم، فقيل من ولد روم من سلالة إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل غير ذلك بلادهم واسعة الحدود، شرقها وشمالها الترك وجنوبها الخزر والروس وشمالها الأسكندرية وغرباها الأندلس .

- الحموي: مصدر سبق ذكره، ص 267.

[*3] الفرس هم من ولد سام بن نوح، وجدهم الأعلى الذين ينتمون إليه هو فرس، وقيل ان الفرس كلهم من ولد براني ومواطن الفرس أرض فارس، وبه سميت وهم أقدم أمم العالم وأشهرها قورة وآثاراً في الأرض، وكانت لهم في العالم دولتين الأولى الكينينة المعاصرة لدولة الروم والشام وهو من ولد سام بن نوح وجدهم الأعلى تمسى البشاقية والثانية الكنيانية والثالثة السكانية، الرابعة الساسانية ومدة ملكهم في العالم أربعة آلاف سنة ومائتان، وثمانين 4280 وأول ملك لهم هو كيو مرث عاش 1000 سنة .

– المسعودي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 281.

[250] المقريزي : مصدر سبق ذكره، ص 257.

وسماحه سلوكهم وهذا أيضاً راجع لأصالة السكان في تلك المناطق التي جاء منها التجار التي شهدت أقدم حضارات العالم فضلاً عن انتشار الإسلام فيها [251].

ونظراً لأهمية العملة النقدية التي تعتبر عصب الحياة الذي ينعش الأنشطة الاقتصادية وينظم جميع أشكال المعاملات الاقتصادية بين الناس وبالأخص التجارة حرصت الأمم الكبرى منذ بزوغ فجر الحضارات علي صك [*] عملاتها النقدية ضمن أشكال تحمل ملامحها وطابعها الخاص، مما يمثل أهمية لقوتها الاقتصادية فقد كانت تلك العملات النقدية القديمة تراثاً هاماً مهد لظهور جيل جديد وأنماط جديدة من العملات أو المصكوكات [252].

وكانت الكميات من السلع التي يحملها التجار الي البيوت التجارية يصعب حمل أثمانها نقداً في الوقت الذي كانت النقود ذهباً او فضة وهما معدنان ثقيلا الوزن.

هذا الأمر حمل التجار المتعاملين علي الاعتماد علي السفتجة [*] وهي التي شجعت التجار علي التعامل وتبادل السلع بينهم[253].

والتجار يستعملون السفتجة مما يؤمن نفوذهم ويخفف الصعوبات والمخاطر التي تنجم عن نقل النقود بين الدول المتباعدة وما تتعرض لها من خطر السرقة فهي مأمونة من الضياع وخفيفة الوزن بعيدة عن متناول اللصوص، واستعملت في البيع والشراء، ولكنها لا تكون سارية المفعول إلا

---

[251] أحمد، شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 197.

[*] صك العملة : الختم علي النقود المتداولة بين الناس كالدنانير والدراهم أي موضع الختم او الطابع عليها، ولفظ السكة كان يطلق علي الطابع أو الحديدة المتخذة لذلك، ثم أطلق علي النقوش الظاهرة علي النقود، ونظراً لشرف هذه الوظيفة السامية وسمو مكانتها ظل سك العملة تحت الإشراف الرسمي والمباشر للملوك، والذي يتجسد في أختامهم المضروبة علي النقود مما يضمن منع أي تلاعب أو غش فيها.

- ابن خلدون : مصدر سبق ذكره، ص 322.

[252] أمين ،أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 283.

[*]السفتجة: هي جمع للسفاتج وهي وثيقة أو بطاقة تسلم إلي صاحب البريد، بعد أن تملأ من طرف المسافر، إن التاجر يضع فيها القيمة المالية التي ينوي إرسالها ثم يمضي او يوقع عليها صاحب البريد بعد أن يقبض المال أي هي أصل الشيك وهي ورقة يطلب فيها صاحب محل في بلد من زبون له في بلد آخر ،أن يدفع لحاملها مبلغاً معيناً، كما أن مصطلح السفتجة ما زال يتداول لحد الآن في المعاملات ويدعى سند السحب .

[59] إبراهيم مصطفى احمد الزيان: المعجم الوسيط، ط 2، ج3، دار المعارف، بيروت، بدون تاريخ، ص432

بتوقيع صاحبها، وكثيراً ما كان التجار المتنقلون يستودعون وكلاءهم مبالغ طائلة، شريطة أن يتعهد هؤلاء بعدم مسها او التصرف بها إلا بأمر صريح منهم. [254]

ونخلص من هذا بان السفتجة كأداة من أدوات المالية بين التجار (وهي أصل الشيك) وهي ورقة يطلب فيها صاحب محل في بلد من زبون له في بلد آخر ،أن يدفع لحاملها مبلغاً معيناً، وهنا في رحاب الأسواق الإسلامية نشأت هذه الوسيلة التي يسرت علي التجار تبادل السلع.

والتعامل في بيئة إنسانية تتسم بالمصداقية واحترام العهود والمواثيق ،والثقة التي تتوفر بين الجانبين البائع والمشتري ،وهذا من صميم تعاليم الدين الإسلامي الذي رسخ للقيم الفاضلة التي أرتاح لها المتعامل معه مما جعل النفس تتوق لهذه الروح السمحة فالإسلام بنيت تشريعاته علي القدوة الحسنة والصدق والأمانة الشيء الذي أدى إلي دخول العديد في الإسلام.[255]

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول إن أساليب التجار في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية مرتبطة مع بعضها كما حث الإسلام علي مكارم الأخلاق مثل الكرم والشهامة والإيثار والصدق والأمانة والوفاء وعدم الغدر، وكان لها الأثر في تقبل الآخرين لهم والتعامل معهم والتقرب منهم. وكان المسلمون قدوة حسنة، فكان التجار المسلمين ينقلون تلك التقاليد الإسلامية أثناء التواجد في الموانى لفترات طويلة، كذلك كانت المصاهرة واجبة لسد الذرائع والدخول إلى عالم الأسر، ولا يعني النكاح فحسب بل تعاملاً يحمل في طياته التفاصيل اليومية في الإسلام على
أرض الواقع عملاً مشاهداً.

---

[254] ابن بطوطة : مصدر سبق ذكره، ص 87 .

[255] شلبي : مصدر سبق ذكره، ص 43 .

الفصل الرابع

أثر الإسلام في شبــه القارة الهندية

أ. الأثــر الاجتماعي:

إن دخول الدين الإسلامي إلى بلاد شبه الجزيرة الهندية ألقى بظلاله على كل انماط الحياة هنالك لأنه لم يكن عبر الفتوحات الإسلامية، بل تسرب عبر الأفراد والجماعات معاشرة ومصاهرة، متاجرة ومسامرة وسلوكاً ونمطاً. وحياة أصبحت لها آثار بعيدة المدى في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، الشيء الذي يدعوا دائماً إلي تقوية روح الإخاء العربي الإسلامي وتعميق الروابط بين الشعوب خاصة إبان فترة التجار المسلمين، وقد كان الوجود التجاري العربي في شبه القارة الهندية خلال هذه الفترة مؤشراً علي اكتمال ملامح الدولة بكل متطلباتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

عاشت الهند في العصر الجاهلي في نظام الطبقات والتفرقة العنصرية والتجزئة في فترة (مَنُّو – Menno) [*] الذي حدد الطوائف في الحياة الهندوسية، وكان يعتبر ذلك شجاعة وبطولة يتفاخر بها بين قبائله ولما جاء التجار نشروا الإسلام الذي وضع حداً لهذه الطبقات وطهر الهنود من العادات والتقاليد السيئة التي كانوا يمارسونها [256].

ومن ذلك طريقة الكسب لديهم التي تعتمد على نظام القمع والتسلط، حيث يعتبر الهندي ما يجمعه من مال من الطبقات الدنيا جزءاً من دخله، لا يهمه بأي حال يجمع ماله لا يفرق بين الحلال والحرام، بل يعتبر تباهي وتفاخر بين جماعته وطبقته، وعليه عندما احتكوا بالتجار المسلمين وضعوا حداً لهذه الأعمال [257].

---

[*] منّو: ابن فاتك الحكيم، ظهر في زمان الملك ابن أردشير، ولد في مردينيوس، وهو مؤسس العقيدة والديانة المانوية. وصف بالزندقة، وكان له اثر كبير في الآراء الدينية وكانت تعاليمه مزيجاً من النصرانية والزرادشتية.

– ابن النديم: مصدر سبق ذكره، ص 390.

[256] النمر: مرجع سبق ذكره، ص 27.

[257] شوقي : مرجع سبق ذكره، ص 98.

كان نظام الطبقات يتشكل منه المجتمع الهندي قبل مجيء الإسلام، فكانت كل طبقة منها تتمسك بعاداتها وتقاليدها الخاصة بها. وكل مجموعة تتعصب إلي طبقتها التي كانت سائدة في تلك الفترة، وكانت غاية الفرد في الطبقة نصر طبقته والمحافظة عليها والدفاع عنها [258].

وعندما جاء الإسلام إلى الهند وجد الترحاب من الطبقات التي كانت تحس بالظلم والتفرقة ورأوا في الإسلام طوق النجاة من العبودية الشنيعة والطريق إلى الإنسانية العليا، ودخلوا في الإسلام بجماعاتهم ولعل ذلك يتضح مما لمسوه من المساواة والإنسانية والأخوة الآدمية التي يتسم بها الدين الإسلامي [259].

تأثر نظام الطبقات الهندية بالتجار المسلمين الذين وصلوا إلي بلاد الهند، ونجد ذلك واضحاً من خلال النظام الإسلامي الذي انتهجه التجار المسلمون والذي يتجلى في بث روح الوحدة الجماعة عن طريق الدعوة إلى الإسلام بما يحمله المسلم من فكر ديني يدعو للمساواة والتعاون وإفشاء روح العدل بين الجميع . فأصبح هدف التاجر مع بيع تجارته ناصراً للحق داعياً للمساواة فكانت النتيجة أن شاعت سمة العدالة والإخاء والمحبة بتلك البلاد [260].

وبإسلام عدد كبير من الهنود تحطمت رابطة المجتمع القبلي ونظام الطبقات والعنصرية والعبودية التي يعاني منها شعب الهند منذ أمد بعيد وحلت محلها رابطة الإيمان والعدل والمساواة تحت مظلة الإسلام الجامعة لكل الطوائف والأجناس دون تمييز بلون أو لسان، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[*] [261].

ساعدت الهجرات التجارية الهندية المتبادلة مع الشعوب الواقعة على ساحل المحيط الهندي وبلدان شبه جزيرة العرب والبلدان كاليمن في حدوث نوع من الاستقرار التجاري نتيجة المعاملات التجارية مع هذه البلدان أدت إلى حدوث اندماج اجتماعي نتج عنه مظاهر حضارية اجتماعية تدل عليها

---

[258] الساداتي: مرجع سبق ذكره، ص 19.

[259] الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 36 .

[260] النمر: مرجع سبق ذكره، ص 28 .

[*] سورة الحجرات: الآية 13.

[261] الرفاعي، أنور: الإسلام حضارته ونظمه، دار الفكر، 1932م، ص 240.

شواهد كثيرة ما زالت موجودة حتى اليوم رغم اختلاف الديانات والأعراف بين أصحاب الأرض والوافدين، كما نجد التعايش السلمي بين التجار وأهل المنفعة قائماً رغم بعض الغيوم العابرة والتي تعكر صفو علاقتهما التجارية ودليل علي ذلك ملك مدينة منجرور [*] الذي كان لا يتهاون في نزع فتيل الحروب الناشئة أحياناً بين التجار وأهل المدينة، ولكنه نجح في إقرار الصلح بين الطرفين بدافع المصلحة الاقتصادية ضماناً لتدفق التجار العرب علي مملكته. [262]

لعبت التجارة المتبادلة مع الدول الاسلامية دوراً كبيراً في انتشار الإسلام في الهند حيث نجد ذلك واضحاً من تعامل حكامها الذين لم يظهروا العداوة للمسلمين وذلك نسبة لرعاية مصالحهم الاقتصادية معهم، وبفضل النشاط التجاري بينهم وبين المسلمين الأمر الذي تمخضت عنه فرصة الانتشار الإسلامي عن طريق توحيد المجتمع ونشر الدعوة ببناء المساجد والمراكز التي تولى رعايتها والإشراف عليها المسلمون كما أنهم تكفلوا ببنائها من أموالهم، فكان لهذه الدور أثرا بالغاً في الروابط الاجتماعية وما تمثله من مظاهر مختلفة كالجمع والأعياد التي تحدث فيها احتكاكات بين الشعوب أسهمت في نقل الكثير الي الإسلام فتزايد الوافدين إليه ليتعايشوا في ظل شريعته العادلة، وكان الهندوسي المحلي ينظر لهم نظرة إكبار وتقدير، مما كان سبباً لدخول كثير من المضطهدين في الإسلام وإذا اعتنق واحد منهم الإسلام فإنه ينال نفس الاحترام والتقدير [263].

ب. الأثر الاقتصادي:

وصل التجار المسلمون في القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري إلى الهند الشرقية للحصول على مواردها الطبيعية وسارت السفن الإسلامية في محاذاة الشاطئ الفارسي وساحل كروماندل واستغرقت هذه الرحلة ثلاثة أشهر وأحياناً شهرين، ولقي التجار المسلمون المسافرون بالطريق البحري كل

---

[*] منجرور: في بعض المواقع تسمى مخرور على اسم الملك، وهي مدينة على خور عظيم يسمى خور الدُنك، وهي مدينة تجارية كبيرة، ينزل بها معظم تجار اليمن فارس تابعة لبلاد الملابار.

– الشامي، يحي : موسوعة المدن الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص 355.

[262] الرفاعي، أنور، مرجع سبق ذكره، ص 248.

[263] النمر: مرجع سبق ذكره، ص 65.

مساعدة من الجاليات الإسلامية في موانئ الهند، وحصلوا علي امتيازات عديدة من السلطات المحلية للمتاجرة في طمأنينة وتأدية شعائر الإسلام في غير مضايقة فقامت نتيجة لهذا النشاط التجاري الإسلامي في الهند جاليات إسلامية في المواني الهندية والصينية حتى أن جماعات من التجار المسلمين قد استقرت في ميناء خانقو منذ القرن التاسع الميلادي [264].

اشتهرت مدينة سيراف منذ القرن العاشر الميلادي/الرابع الميلادي بأنها المركز التجاري الذي تتجمع به فئات التجار من الشرق الأقصى من بلاد فارس والعراق وحتى بلاد العرب والحبشة ومصر بإفريقيا[*] فتأثر أهالي سيراف بالتجارة والسفر في بحار الشرق الأقصى حتى أن عدداً كبيراً منهم يحى حياته علي ظهر السفن، ومن الشواهد على ذلك نجد أن التاجر من أصل سيراف قد يمكث أربعين عاماً من عمره على ظهر سفينته لا يغادرها [265].

حظي أهالي الهند الذين اعتنقوا الإسلام بحرية تامة لممارسة شعائرهم الدينية من جانب ملوكهم الذين روءوا فيهم نهضة للاقتصاد الهندي، ويرجع السبب في اعتبارهم أكبر العوامل التي أدت إلي رواج تجارتهم الهندية التي كانت تدر على هؤلاء الحكام الدخل الوفير، وكانت سواحل السند وملابار الواقعة علي بحر العرب من أكثر البلدان التي رحبت بالإسلام[266].

وكان الملوك يثقون بالتجار المسلمين ثقة عظيمة حتى انه كان الملك يرغب بنفسه الناس إلي دخول الإسلام، وذلك لتقوية أسطوله الذي كان في أيدي المسلمين، بل أصدر أمراً يحتم علي كل أسرة من السباكين (المساكين) في مملكته أن تربي واحداً أو اثنين من أبنائها علي الديانة الإسلامية.[267]

---

[264] العدوي : مرجع سبق ذكره، ص 372.

[*] بلاد إفريقيا : هي أحد أقاليم قارة إفريقيا وهو الساحل الشرق منه وكان هذا الجزء من القارة على اتصال بالجزيرة العربية منذ أقدم العصور، وتضم إفريقيا الشرقية مصر والسودان وأثيوبيا، وبها النيل الذي يعد من أطول انهار العالم.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 135.

[265] الحموي: نفس المصدر، ص 393.

[266] النمر: مرجع سبق ذكره، ص 61.

[267] النمر: المرجع السابق ، ص67.

هناك إشارة إلي تاجر مسلم كان يتاجر مع البلاد العربية أقام سوقاً في مكان يسمى ويلابورم[*] وكبر السوق حتى صار مكانها ثغراً عظيماً ونجد المسلمين زادوا وكثروا في شبه القارة الهندية من الوافدين التجار من البلاد العربية من الشرق وعمان والبصرة وبغداد. [268]

كما كان لتجارة الهنود هيئات واتحادات منها ما كان مشهوراً مثل ماينجرامان (Manjgraman) وفلنجايد (Valajciy)، وكان لهذه الاتحادات تأثير قوي في الاقتصاد الهندي ،حيث تهدف إلي حماية التجارة في بلدان شبه القارة الهندية وعبر البحار، وكان للملك وكبار المسؤولين نصيب في هذه الاتحادات وأطلق علي الاتحاد الذي غطى نشاطه جنوب الهند وسومطرة اتحاد تجار نناديش (Nanadehc) وكان هذا الاتحاد محمياً بقوة الأسطول الحربي للدولة، فقد تولت الدولة حماية السفن التجارية في حالة تهديدها بالخطر، وقد بلغ من قوة التجار أن طوائف الحرفيين كانت لها تحكم واضح في المنتجات التي تضع للتبادل التجاري وكانت طوائف التجار هي التي تمول وتوزع السلع التجارية علي الحرفيين [269].

ومما سبق يمكننا القول ان الاقتصاد الحر وحرية التنقل والسفر وعدم تدخل الملوك شجعت علي ازدهار الحركة التجارية لتعدد مناطق الإنتاج واتساع المسافات واختلاف وسائل التعامل مما أوجد وسائل جديدة للتعامل كأوامر الدفع وقيام بعض الأفراد بدور الوكيل التجاري لمجموعة من التجار، ولكن علي الرغم من تضخم ثروات التجار– التي هي نتيجة تلك الحرية الاقتصادية – إلا أن عونهم للدول كان مشروطاً وأنه كان علي هيئة قروض واجبة السداد وأحياناً كانوا يقوموا بتقديم هدايا حتى تسهل عليهم أمورهم التجارية، كل هذا ساعد التجار بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في نشر الدين الإسلامي [270].

---

[*] ويلابورم : مدينة من مدن الهند تسمى الآن بكاليكوت .

– الندوى: مرجع سبق ذكره،ص187.

[268] نفس المرجع، ص 68.

[269] النمر : مرجع سبق، ص 198.

[270] أبو عثمان الجاحظ، التبصر بالتجارة، المجمع العلمي بدمشق، 1932، ص 20.

– السيد مقبول، مرجع سبق ذكره، ص 127.

وكان الحكام المسلمون يحكمون لصالح الشعب فقد أصبحوا على مر الأيام من أبنائها وأصبحت الدماء الهندية الأصلية تجرى في عروقهم، لا سيما بعد أن تزاوج الملوك والأمراء مع، الأسر الهندية العريقة فارتبط الشعب برابطة الدم والنسب، ولم يعد هنالك الفارق الذي يفرق بينهما فلم يكن الملوك ينظرون إلى الشعب على أنهم غرباء عنه، ويجد فيهم دائماً صور امانيه وأماله، حين يراهم يشاركونهم أعياده، فكان الحكم لذلك حكماً وطنياً حتى لو صدر عنه ظلم فهو كما يصدر من أية حكومة وطنية على شعبها . [271].

وفي ظل هذا الحكم انصرف الشعب إلى الإنتاج والعمل واستغلال خيرات بلاده لصالحه هو لا لمصالح شعب آخر، فازدهرت التجارة والزراعة وتقدمت الصناعة ونمت حتى كانت الهند تصنع ما يكفيها ويفيض عن حاجتها فتصدره للخارج ومما زاد الطلب على تجارة الهند وصناعتها لا سيما الملابس، فتوفرت الخيرات، حتى أصبحت الهند مضرب الأمثال في الفن، والثروة وخزائن الذهب والفضة والأحجار الكريمة. [272]

ت. الأثــر السياسي:

يرجع الفضل في اكتشاف بلدان الشرق الأقصى عموماً وشبه القارة الهندية خاصة إلي التجار والتجارة ،ولهم نصيب الأسد في ذلك حيث نجد التجار غالباً ما تقودهم مصالحهم وفضولهم أحياناً إلي الوصول إلي تلك البلاد والإقامة فيها مما يتيح لهم معرفتها لذا فإن ما رووه من قصص، وما دونوه في مذكراتهم من مشاهدات تقدم معطيات مهمة عن الجغرافيا الطبيعية والبشرية لتلك المناطق، الأمر الذي أفاد منه العرب في رسم صورة الشرق. [273]

---

[271] أبو عثمان الجاحظ، المرجع السابق ، ص 20.

- السيد مقبول، مرجع سبق ذكره، ص 127.

[272] النمر: تاريخ الإسلام في الهند: مرجع سبق ذكره، ص 32.

[273] سليمان التاجر : أخبار الصين والهند، تحقيق: إبراهيم خوري، سلسلة أبحاث عن تاريخ شبه القارة الهندية، ط1، دار الموسم للإعلام، بيروت، 1991م، ص 37.

واستطاعت الهند أن تلعب دوراً كبيراً في حركة مرور التجارة العالمية بفضل موقعها الجغرافي المميز مما عزز علاقاتها مع الدول الأخرى، فقيام التجار برحلاتهم التجارية المارة بالهند استطاعوا خلق روابط حميمة ومثيرة مع الشعب الهندي ولاسيما مع الشعوب الإسلامية، واستطاعت كذلك الارتباط بين أقطار الشرق وبين أوربا، ويتضح ذلك من خلال العصور الوسطى (*) حيث كان البحث عن طريق بحري مباشر هو الذي قاد إلي لاكتشاف أمريكا الشمالية واكتشاف أجزاء مجهولة من أرض المعمورة وبذلك افتتح هذا الكشف عصر وحدة كل الجنس البشري [274].

وكانت السفن الهندية تبحر من كوبلون وتقوم برحلات منتظمة إلي الساحل الجنوبي، محملة بالأفاوية (*) الهندية التي كانت تغذي أوروبا فكانت هذه المحملات التجارية عاملاً قوياً لجذب الغربيين للتجارة الهندية التي كانت تتشكل من عدة موانئ بحرية أخرى [275].

كانت شدة الطلب علي التوابل والبخور والعطور من الهند سبباً في حركة الأساطيل وإقامة الحروب ، للبحث عن مصادرها التي شاع من حولها الأساطير والحكايات الخرافية وقد قيل في الروايات أن التوابل التي بأسواق مصر تأتيها من الفردوس، وقد زاد الإلحاح علي طلب التوابل بعد اتصال أوربا بالحياة في الشرق نتيجة الحروب الصليبية (*1)

(*) العصور الوسطى : فترة تبدأ من حوالي سنة 500 من وقت سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، لكن الآراء تختلف بالنسبة لنهايتها، ويعتبر البعض أنها انتهت مع اكتشاف كولمبوس لأمريكا والبعض قال انتهت مع بداية الثورة الصناعية في غرب أوروبا بسبب الاختلافات التاريخية والاقتصادية والثقافية ومظاهر العصور الوسطى في أوروبا يختلف عن مظاهرها في شرق وجنوب البحر المتوسط.

– غربال: مرجع سبق ذكره، ص 637.

(274) جوا تيابن: س د/ دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية الغوض، ط1 وكالة المطبوعات الكويت، 1980م، ص 251.

(*) الأفاوية : أطلقها البعض على التوابل، وقد عربت بقلب الفاء إلى باء وأصل الكلمة فارسي .

– شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 269.

(275) ك م ب: بتكار : آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة احمد خالي، الجمهورية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دار المعارف لمصر، بدون تاريخ، ص 32 .

(*1) الحروب الصليبية : أو حروب الفرنجة وهي مجموعة من الحروب والحملات التي قام بها الأوروبيون في العصور الوسطى خلال أواخر القرن الحادي عشر وحتى القرن التاسع عشر، واتخذوا الدين ستاراً لأطماعهم، بدأت

وإدراكهم لخصائصها المتنوعة والمختلفة بالإضافة إلي تطور الطب في أوربا نتيجة لاتصال الحضارة الإسلامية في الأندلس(*) والشمال الأفريقي .[276]

ولعل ما اشتهرت به الهند من قديم الزمان من خيراتها الوفيرة من التوابل والبخور والعطور التي كانت تصدر إلي البلاد الغربية.

وكانت هذه الشهرة مما أسال لعاب الأوربيين وجعلهم يتسابقون إلي الهند، وكانت تجارتهم التي تذهب إلي أوربا مارة بالبلاد العربية ومصر وتزداد ثروة هذه البلاد بما يجبى عليها من الضرائب .[277]

وظهر أثر التجارة في عوامل النزاع بين أوربا وبين البلاد العربية ولاسيما مصر ودول أوربا نفسها مثل جنوة. [*] والبندقية[*1] وأسبانيا [*2] والبرتغال [*3] وهولندا [*4] وانجلترا في الاستعمار الهندي كما كانت صادرات الهند والرغبة في الاستفادة منها سبباً في اكتشاف رأس الرجاء الصالح[*5] بل سبباً في اكتشاف الدنيا الجديدة (الأمريكتين) .

عام 1095م من البابا أوريان الثاني في مؤتمر كلرمنت بفرنسا ضد المسلمين بدافع الحقد والانتقام . نجحت في بعضها أو باءت بالفشل .

– حسن، حبشي: الحروب الصليبية في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، 1948م ص 6 .

(*) الأندلس، كلمة أعجمية لم يستعملها العرب إلا بعد الإسلام، وهي جزيرة كبيرة تواجه المغرب العربي، يحدها من الشمال المغرب ومن الشرق المحيط الأطلسي ومن الجنوب البحر المتوسط، وهي على شكل مثلث أحاطت به البحار والمحيط المتوسط.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 263.

(276) المسعودي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 862.

(277) النمر: مرجع سبق ذكره، ص 15.

(*) جنوة : مدينة إقليم لبجوريا شمال غرب إيطاليا الميناء الرئيس لإيطاليا ،أعظم ميناء في البحر الأبيض المتوسط ازدهرت إبان حكم روهان ،مدينة تجارية وبحرية ،مما أدى إلي حروب مع جيرانها، وجلبت لها الحروب الصليبية ثروة عظيمة ،كما حصلت علي امتيازات تجارية هامة .

– الموسوعة الميسرة : مرجع سبق ذكره، ص 899 .

وعندما حاول كولمبس[*] أن يصل إلي الهند عن طريق الاتجاه إلي الغرب بدلاً من الشرق، ويرجع لمعان اسم الهند وتجارتها في أوربا بسبب هذا النشاط وهو الذي جعلهم يسمون الجزر التي وصل إليها المستكشفون الأوربيون في أمريكا باسم جزر الهند الغربية لأنهم حينما وصلوا إليها ظنوا أنها الهند، وهكذا كانت الهند التجارية واسمها وما يحيط بها من أفكار ضوءاً لامعاً يجذب إليها الأنظار مما قاد لها الاستعمار الإنجليزي الذي ظلت ترزح تحته طويلاً وسبب لها متاعب مادية وبشرية [278].

(*1) البندقية: عاصمة إقليم فينيسيا شرق غرب إيطاليا تقع علي جزر متعددة بالطرف الشمالي للبحر الأدرياني، وتوجد بها صناعات كثيرة مثل صناعة الزجاج وأدخلت صناعات جديدة مثل السفن وطحن الغلال والمنسوجات الحديدة، تعد السياحة اكبر مصدر لدخلها بها كنيسة سان مارك ،وكنائس تاريخية أخرى وأكاديمية القانون.

– الموسوعة الميسرة :، مرجع سبق ذكره، ص 1828 .

(*2) أسبانيا: مملكة تقع علي البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي بين البرتقال وفرنسا، عاصمتها مدريد لغاتها الأسبانية الكاتالانية الغالية، اشتهرت مع البرتقال ببلاد الأندلس التي قام طارق بن زياد في عام في 93هـ – 709م بعبور مضيق جبل طارق إليها وتقابل مع جيوش الممالك الأسبانية وانتصر عليها .

–الموسوعة العربية الميسرة: المرجع السابق، ص48.

(*3) البرتغال : تقع في الجانب الغربي من شبه جزيرة أبيريا ويحدها المحيط الأطلنطي جنوباً وغرباً أسبانيا وشرقاً وشمالاً وسطحها معظمه جبلي وتتخللها انهار ،وهي رائدة الكشوف الجغرافية

–الحموي: مصدر سبق ذكره، ص 48 .

(*4) هولندا عاصمتها التاريخية لاهاي ويطلق عليها أسم الولاية عادة علي المملكة كلها، قادت كفاح الهولنديين في سبيل الاستقلال عن أسبانيا، وفيها أكبر شركة تجارية وفي عام 1940م قسمت هولندا إلي هولندا الشمالية والجنوبية.

– الحموي: مصدر سبق ذكره، ص 48.

(*5) رأس الرجاء الصالح : إقليم أقصى الجنوب الأفريقي، يبلغ ارتفاعه 243 متراً عن سطح البحر، تقع سواحلها علي المحيطين الهندي والأطلسي، العاصمة كب تاون.

– البعلبكي، منير: موسوعة الموارد العربية دائرة معارف دار العلم للملايين، 1990، ص 190 .

[*] كولمبس : اسمه كريستوفر، ملاح إيطالي عمل في خدمة أسبانيا مهدت رحلاته الأربع إلي العالم الجديد السبيل لحركة الاستكشاف والاستعمار الأوربية وغيرت مجرى التاريخ، وآمن بإمكانية الوصول.

– البعلبكي، منير : مرجع سبق ذكره، المجلد الثاني، ص 1501 .

[278] النمر، عبد المنعم: مرجع سبق ذكره، ص 15 – 16 .

كانت الهند الجنوبية مسرحاً للمصادمات الدينية بين الهندوسية والبوذية والجنينية، فكانت بطبيعة الحال مضطره لقبول أفكار جديدة بعقائد بسيطة وعبادات سهلة وإلي المبادئ الموحدة دخل الناس في الدين الإسلامي واعتنق الملوك الإسلام وبذلك أثروا في رعاياهم حتى لا يفقدوا مكانتهم السياسية والاجتماعية بين الشعوب، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين التجار وكافة الشعوب الهندية[279].وكان انتشار الإسلام في الهند بداية عهد جديد تجلت آثاره السياسية في قيام الدول الإسلامية في شبه القارة الهندية، التي ميزت بين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. والدين الإسلامي دين شامل لأوجه الحياة المختلفة، عكس ما كان سائداً عند الملل الأخرى. وما عاناه الشعب الهندي من فوارق اجتماعية وطبقية باعدت بين أجناسهم، لذلك شارك المسلون غيرهم من الهندوس الظروف التي مرت بهم في بعض العهود من بؤس وشقاء [280].

وهكذا انتشر الإسلام في حياة الناس العامة والخاصة ووحد بين شتى العناصر، فتولد في نفوسهم ميل للإخاء والتآلف مما أدى إلى توحيد آرائهم في القضايا السياسية المشتركة بينهم الأمر الذي أدى لقيام الدول الإسلامية المتعاقبة عليها، ولقد امتدت جذوره إلى أعماق بلاد شبه الجزيرة الهندية عرضاً وطولاً، وما الحضارة التي قدمها الإسلام لبلاد الهند إلا دليل على عظم تلك الجذور التي أصبحت أصولاً تحكى حضارة أمة، ومدنية دين، ورضى إنسان، وعظمة رسالة ، وسمو عقيدة، وعندما نتأمل تاريخ الإسلام في الهند نجد أن التجار العرب المسلمين أول من دخل بلاد الهند، فكان التجار العرب المسلمون تجاراً وائمة وقادة وقدوات لمن جاء بعدهم وكانوا أول من حملوا الرسالة العظيمة منذ أيام البعثة والخلافة الراشدة ثم مع الخلفاء الأمويين والعباسيين[*] في أرض الهند،

---

[279]المرجع السابق، ص 66 .

[280] نفس المرجع السابق ، ص22.

[*]الدولة العباسية: هي الدولة الإسلامية التي جاءت بعد سقوط الدولة الأموية عام 132هـ- 750م، اندلعت الثورة العباسية في خرسان بقيادة أبو مسلم الخراساني بعد 50 عاماً من الدعوة السرية، ثم كانت المناداة بالسفاح خليفة بعد مقتل أخيه إبراهيم أبي محمد، وتعقب العباسيون الأمويين بالشام وقتلوا مروان الثاني آخر خلفاء بني أميه في الشام على دولتهم وعدد الخلفاء العباسيين 37 خليفة، بلغت الدولة في عهدهم قمة مجدها وينحدر أفراد السلالة العباسية من العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ﷺ) وأشهر خلفائهم أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد.

ومنها في القرن الرابع عشر مملكة الغزنويون (*1) وحكموا جزءاً كبيراً من أرض الهند من الغرب إلى الشمال والجنوب الغربي واتخذوا غزنة (*2) عاصمة لهم، ولم يكن هدف الغزنويون وقوادهم في بلاد الهند جمع الأموال كما يرى بعض المؤرخين، بل كانت رغبتهم في الجهاد ورفع راية الإسلام في غير بلاد الإسلام أقوى الأسباب التي دفعتهم للقيام بفتوحاتهم، واتسعت دولتهم حتى استولوا على الصنم المعروف بسومينان(*) وأقاموا بدلاً من بيوت الأصنام مساجد الإسلام[281].

نجد بعض الهنود تركوا عبادة الأوثان واعتنقوا الإسلام تقرباً لحكامهم الجدد، فلاقى الإسلام ترحيباً من الطوائف الفقيرة التي كانت تعاني من اضطهاد الحكام الهنود الذين كانوا ينبذونهم ويحتقرونهم، ودافعهم في ذلك ما اتصف به الإسلام من المساواة والعدالة بين الناس [282].

وعندما ضعفت الدولة الغزنوية لعوامل متعددة أدت لانهيارها في آخر الأمر، منها المحاولات المتكررة التي بذلها ولاة الأقاليم في الدولة الغزنوية للاستقلال بالولايات التي يحكمونها، ولكن لم تكن هي عوامل الضعف فقط، بل إن الأمراء أنفسهم حاربوا بعضهم البعض للوصول للسيادة والحكم، واستعان بعضهم بأعداء دولتهم مما أدى إلى إنهيار الدولة الغزنوية التي قامت على أنقاضها الدولة الإسلامية

– العلايلي: مرجع سبق ذكره، ص 447.

(*1) مملكة الغزنوية: أسسها ناصر الدين سكتيت في مدينة غزنه، امتدت فتوحاتها إلى شبه القارة الهندية، بدأت من مملكة جيبال التي استعملت خلال حروبها مع سكتيكيت وتعهدت بدفع الجزية لهم، ومن ثم نقضت العهد وألحق بها هزيمة نكراء. وعلى الرغم من حروبهم مع شبه القارة الهندية إلا أنها مهدت الطريق لابنه محمود الغزوني الذي غزي الهند ، فالتقى بملكها وانتصر عليه، ودخلت المملكة تحت راية الإسلام.

– ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ص 76.

(*2) غزنة : تقع جنوب غرب كابل في أفغانستان وينسب إليها الغزنيين .

– الحموي:مصدر سبق ذكره ،ج4،ص207.

(*) سومينان : مدينة ساحلية واسعة بها علماء الهنود وعبادتهم، ويوجد بها الصنم المعروف وهو أعظم أصنامهم يحجون إليه كل ليلة خسوف، وهو على هيئة إنسان يجلس على كرسي من الذهب.

– ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج4، تحقيق : محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1948م، ص 210.

(281) أرنولد : مرجع سبق ذكره، ص 314.

(282) أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ج1، القاهرة، 1938م، ص 67.

الغورية. [*] التي سارت على نهجها وقد اتخذ قوادها دلهي. [*1] عاصمة لهم، وكان نظام الحكم فيها ملكياً وراثياً يعتمد على أفراد العائلة [283].

وفي عهدهم قامت دولة إسلامية في شمال الهند كما مهدت سياستهم في هذه البلاد إلى قيام إمبراطورية إسلامية فيها لها تقاليدها ومقوماتها واسندوا إدارة دولتهم في الهند إلى رجال أكفاء احسنوا توجيههم فعملوا على تثبيت الحكم الإسلامي في هذه البلاد [284].

إضافة لذلك نجد أن الدين الإسلامي قد أعطى الغور حماساً وقوة للجهاد في سبيل الله، ولقد وحد بين المسلمين وجمع شملهم روح الأخوة والمساواة التي بثها الإسلام فيهم، اما الهنادكة فالنظام الطبقي السائد بينهم والذي بمقتضاه انقسم الناس إلى منبوذين وإشراف عرقل وقوفهم في صف واحد في وجه غزاتهم، وكان سببا في انتصار الغور في الهند المستقلة التي يحكمها أشخاص لا يرتبطون مع بعضهم البعض برباط يمكن أن يؤدي دوره في الدفاع عن الوطن [285].

وتتابعت على الهند عدة دول إسلامية الواحدة تلو الأخرى حتى الدولة المغولية[*] وكان عهدها أزهى عهود الحكم الإسلامي للهند وبلغت من القوى والاتساع ما لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند.

(*) الدولة الغورية : تقع بلاد الغور في أفغانستان الحالية بين هراة وغزنة وكانوا لا يدينون بالإسلام في بادئ الامر، ومؤسسها محمد الغوري الذي استولى على غزنة ليحافظوا على أملاك المسلمين فيها . واستمرت فتوحاته 30 عاماً، بدأها بغزو الملتان والاستيلاء عليها من أيدي القرامطة عام 570هـ ولكن الهندوس ألحقوا به هزيمة عام 581م ،و تحت هذه المظلة تتابعت على الهند حكم خمسة اسر هي المماليك – الخلجيون – التغلبيون – السادات واللوديون ويعرفون بسلاطين دلهي

– الموسوعة الميسرة: مصدر سبق ذكره،ج1ص1399.

(*1)دهلي: تسمي باسم كلمة نبيل في عهد آخر الملوك الهنود وإسمه (وادبته) الراجيوتي 307هـ/ 918م، ويسمى دهلى لأن أرضها كانت لينه غير متماسكة لأن (دهول) في اللغة الهندية معناه التراب الغير متماسك.

– النمر: مرجع سبق ذكره، ص 101.

(283) الرفاعي، أنور : مرجع سبق ذكره، ص 87.

[284] متز، آدم : ج2، مرجع سبق ذكره، ص 365.

[285] الندوي: مرجع سبق ذكره، ص 206.

[*] الدولة المغولية : أسسها ظهر الدين محمد بابر 1274هـ – 1932م، وهي آخر مملكة للمسلمين في الهند وصلت بالإسلام إلى أرقى صوره وأقوى نفوذه، وقد مهدت للطرق للمسافرين وحفر الطرق والمجاري المائية. وقد أعقبه في

بالإضافة إلى ذلك فإن الغرب الاستعماري ظل في صراع ومحاربة للإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية أدى لتدهور الأحوال السياسية في القارة وزيادة النفوذ الأجنبي الذي أدى للحروب الصليبية ضد المسلمين بسبب الكراهية والعداء فضلاً عن أن الوجود الإسلامي في الهند لأكثر من ثمانية قرون أثار حفيظة الأوروبيين ودفعهم حقدهم لإقتلاعه، وبدأ الإنجليز إثارة الفتنة بين المسلمين والهندوس فأسسوا حزب المؤتمر. والذي أعلن الولاء التام للحكومة البريطانية، ور فض المسلمين الانضمام إليه فزاد التباعد، فأعلن الهندوس إلغاء اللغة الأردية التي يتحدث بها مسلمو الهند لتحل محلها اللغة الهندوسية، وبعد عشرون عاماً من قيام المؤتمر قامت الرابطة الإسلامية لحماية حقوق المسلمين والتقدم بمطالبهم إلى الحكومة ولكن لرد هذا الفعل ألف الهندوس حزباً جديداً لكي يتصدى للمسلمين، ولكن اصدر بعض المسلمين الإنسحاب من الجيش مما أدى إلى إثارة الإنجليز وحكموا عليهم بالسجن [286].

وضعفت الدولة الإسلامية واستطاع السيخ[*] السيطرة على كشمير [*1] عام 1224هـ / 1809م، ولكن الإنجليز هزموا السيخ وابقوا عميلهم الهندوكي أميراً على كشمير المسلمة مقابل 75 مليون

الحكم ابنه هاميون ثم جلال الدين أكبر الذي يعد من أقوى ملوك المغول وكان لا يفرق في المعاملة بين المسلمين والهنادكة مما أدي إلى زيادة الأمراء في بلاطه، وكان من نتائج هذه السياسة انضمام الهندوس إليهم وتزويجه ابنه سليم نور الدين من امرأتين هندويكتين ن وفي عهده قامت شركة الهند الإنجليزية . توفى عام 1014هـ .

– الشيال: مرجع سبق ذكره، ص 19.

– سليم، أحمد الأمين :تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1998م، ص235.

[286] النمر: مرجع سبق ذكره، ص 43.

[*] السيخ كلمة سنسكرتية تعنى المريد أو التابع ومؤسسهم ناناك ويدعى خور أي المعلم، وهم جماعة دينية من الهنود ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي داعية إلى دين جديد زعموا أن فيه شيء من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار لا هندوس ولا مسلمون، وقد أعادوا المسلمين خلال تاريخهم بشكل عنيف كما أعادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم مع الاحتفاظ على الولاء الشديد للبريطانيين من خلال فترة استعمار الهند.

– المنجد، محمد صالح: الإسلام سؤال وجواب، مجلة علمية، العدد 25، ربيع الأول 1437هـ /2016، ص2.

[*1] كشمير: بلد إسلامي يقع في الطرف الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية، تحيط به الصين من الشمال والشرق وباكستان من الغرب والهند من الجنوب، مساحتها 1218 كلم2، المسلمون 90% من السكان، وتشمل ثلاثة مناطق هي جمو وكشمير ومناطق الحدود وهي بلاد جبلية طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات وهي أجمل مناطق العالم من

روبية على أن يعترف بالسيادة البريطانية مثلما حدث في سائر الإمارات وبدأت مأساة كشمير وكان لها أعظم الأثر في بعث روح الإيمان والجهاد لدى مسلمي كشمير ودارت أول معركة بين المسلمين والهندوس سقط فيها آلاف المسلمين بمساعدة المستعمر البريطاني الذي بقى يؤآذر الهندوس، وفي سبيل طمث المعالم الإسلامية وضعت الحكومة في نيودلهي مخططاً طويل المدى للقضاء على هوية كشمير الإسلامية، بداته بمذابح جماعية للمسلمين ونشر الإلحاد والإباحية والفساد الخلقي بين المسلمين عن طريق وسائل الإعلام بالإضافة إلى إغلاق المدارس الإسلامية في كشمير في كثير من الأحيان. ومازال الشعب الكشميري يقاوم المحتل ومازالت قضية كشمير القائمة تنتظر الحل. [287]

ث. الأثـر الثقافـي :

هناك مؤشرات تشكل مفاتيح الثقافة والحضارة وانتقال الأفكار والثقافات المحلية بواسطة السفن والقوى التجارية المتواجدة في المحيط الهندي، فمثلاً ظلّ المحيط الهندي مجمعاً للحضارات والثقافات العربية والأفريقية والأوربية وبقدر ما تعددت شواطئه وموانيه وخلجانه بقدر ما تعددت شعوبه وانتقلت كثير من عناصر الثقافة مع التجار والتجارة وانتشرت علي امتداد شواطئه، لتتصهر في بوتقة واحدة وتتفاعل مع بعضها البعض ،وكانت التجارة والتجار أبرز المظاهر التي حملت في دواخلها كل المشاهد الدينية والثقافية والحضارية، ونجد السفن لم تكن مجرد وسيلة لنقل البضائع بل كانت الموانئ الهندية لتبادل تلك الثقافات بين تلك الشعوب[288].

حيث مناظرها الطبيعية، وصل إليها الإسلام في القرن الهجري الأول، وفتحها هشام بن عمر التغلي في عهد المنصور.

- الموسوعه العربية الميسرة: مصدر سبق ذكره،ج2،ص1964.

(287) شلبي: المرجع السابق ذكره، ص 83.

[288] ابن بطوطة : مصدر سبق ذكره، ص 43.

لقد أثرت العلاقات التجارية العراقية الهندية تأثيراً واضحاً علي الجانب الثقافي والحضاري الهندي ومن هذه التأثيرات نظام منازل القمر الشائع عن الهنود والذي اقتبس من بلاد بابل[*] كما أن نظام التعامل بالفضة في عقود البيع والشراء اقتبس من البابليين فضلاً عن نظام الأوزان مثل المن[*1] عندهم، وتعد اللغة السنسكريتية خير دليل علي العلاقات الثقافية التي نشأت قديماً بين العراق والهند فهذه اللغة حفظت كلمات لا ريب أنها دخيلة تسربت إليها من اللغة البابلية. ومن المجالات التي نجد فيها إشارة ثقافية بين البلدين في مجال الرسم والنحت فضلاً عن التشابه الكبير في العمارة[289].

كما نجد العلاقات التجارية بين العرب وشبه القارة الهندية ما هو أشبه بالتبادل الثقافي، نجد العرب أخذوا من الهنود الطب والفلسفة وعلم الهيئة وبالمقابل أخذ الهنود من العرب علوم دينهم واهم هذه العلوم علوم اللغة العربية لغة القرآن. وفي طبيعة الإسلام انه يدفع بعجلة الحضارة والمدنية في كل بلد يدخله– والتجار عندما توغلوا في الهند معهم دينهم وحضارتهم وثقافتهم– ولكن في نفس الوقت لم يهمل أمر حضارة الهند وثقافتها، بل شغلوا بها وانهمكوا في كل العصور في النقل منها حتى ترجموا أشعاراً من المهابهارتا [*].إضافة لذلك فإن العرب وقفوا علي جانب من حضارة الهند وأخبارها وما بها

---

[*] بابل : من أشهر وأقدم مدن الشرق القديم، كانت عاصمة للدولة البابلية الأولى وبلغ عصرها الذهبي في عهد حموراي وظهرت فيها الدولة البابلية الثانية الكلدانية فتحها قورش، وصارت مدينة فارس، دخلها الاسكندر وتوفي بها
– الحموي: مصدر سبق ذكره، ص 315

[*1] المن: معروف في جميع بلاد الإسلام ويسمونه رطلاً، ورطل يثرب إلي قدح مائتا درهم، و4 رطل اليمن بغدادي ولبنان المن .
– المقدسي، البشاري :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة بريل، لبدون، 1909، ص، 98 .
– الحموي : مصدر سبق ذكره، ج2، ص210.

[289] نعيم، زكي: مرجع سبق ذكره، ص 174.

[*] المهابهارتا: هي قصائد عظيمة من أضخم آثار العالم الأدبية، وهي تشمل علي 215 ألف بيت شعر وتعد من عمل قرون متتالية لا من عمل رجل واحد، وتقدر المدة بين وضع نصها الأصلي وآخر تصحيح فيها بألف سنة،ولا يمكن تحديد عمرها بالضبط ،ولها أهمية عظيمة عند الهندوس فقد قيل أن كتب الويدا الأربعة وضعت في كفة ميزان وأن المهابهارتا وضعت في الكفة الأخرى، فرجحت كفة المهابهارتا ويقال قراءة ما تيسر يمحو الذنوب، وان تقديس الهندوس لها كتقديس النصارى للكتاب المقدس، ويعتقد الهندوس أن المهابهارتا وضعت في السماء وأن الآلهة أنعمت بها علي الناس.

من ثقافات فتخرج بعض علماء العرب علي أيدي الهنود بمدرسة جندسابور [*1] الساسانية ومنهم الحارث ابن كلدة الثقفي [*2] الذي يشتغل بالطب في بلاد فارس. [290]

واشتهر بلاد الهند بالطب منذ القدم ولكن طبها كان بسيطاً، يعتمد علي الأعشاب والعقاقير والسحر والتعاويذ، وفي القرن الرابع قبل الميلاد ظهر فيها الطب المركب كما ظهرت العمليات، وقد اكتسب أطباء الهند تطوراً ملحوظاً في القرن الأول الميلادي حتى القرن الرابع الميلادي، في الدقة والنظام في قوائمه التي تتعلق بالعلاج ومواصفات الأدوية، الفترة من القرن الرابع إلي القرن السابع الميلادي دخل في طور جديد سمي سوس زوتا Susuta وفي هذا التطور الثاني أتسم الطب بالتنسيق والتنظيم في كل الأمور [291].

عندما وصل الإسلام إلى بلاد الهند علي يد التجار العرب، غير من أشكال العلائق الاجتماعية المختلفة ووضع حداً للتسلط والاستبداد وبمرور الوقت أخذت البضائع تحل محل السيف ،مما أنتج مناخاً سلمياً عبرت منه الهجرات المتبادلة، وكانت السفن التجارية تعبر المحيط الهندي بين مختلف المواني في سلام ووئام ومحبة مما خلق وحدة ثقافية للقوى التي تتواصل أطرافها [292].

ومن الأثر الحضاري الذي خلفه الإسلام الجالية العمانية المقيمة في بلاد الهند التي ساهمت مع كافة الجاليات الإسلامية الأخرى في تحقيق نهضة عمرانية تمثلت في ظهور مدن جديدة وتعمير مدن

- الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر، 1393هـ - 1993م، ص514.

[*1] جند سابور: مدينة بناها سابور الأول ابن أردشير 241-272، بخوزستان من أجل أسرى الرومان واسكنهم فيها، وكانت فيها مدرسة طبية فتحها أبو موسى الاشعرى عام 638م .

- الحموي: مصدر سبق ذكره،ج2، ص 170 .

[*2] الحارث بن كلده الثقفي : هو ابن علّاج بن أبي سلمى الثقفي المشهور بطبيب العرب، ولد بالطائف في العصر الجاهلي ونشأ فيها وسافر بالبلاد وتعلم الطب باليمن وسافر إلى بلاد فارس وتمرن وعرف الداء والدواء .

net/culture . p54.، www. Alu.kah-

(290) الساداتي : المرجع السابق ، ص 28 .

[291] النمر، عبد المنعم: مرجع سبق ذكره، ص 256.

[292] بورتشن، إبراهيم القادري: أثر الفتوحات الإسلامية في ترسيخ الصلات الحضارية بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية، جامعة الملك سعود، الرياض 2007، ص 112.

هنديـة أخـرى، فقـد ظهـرت لأول مـرة مدينـة المنصـورة [*] ومـدن أخـرى، كمـا شـملت هـذه النهضـة العمرانية بناء المساجد في عدة مدن [293].

وأيضـاً مـن الآثـار الثقافيـة الإسـلامية التـي انعكـس طابعهـا علـى الهنـد نجـد أن المسـلمين والهنـود استخدموا فن العمارة وفق المنهج الإسلامي دون أن يطغى عليه الفن الهندوسي. كما انتشر الإسلام فـي شبه القـارة الهنديـة بفضـل التجـار المسـلمين حيث أسلم ملوكها فأصبحت لهم قوة ومكانـة عند المسلمين وتبعها انتشار الثقافة الإسلامية وبناء المساجد وانتشارها في الهند والدليل علـى ذلك مسجد أجميـر ومسـجد القطـب ومنارتـه التـي ترتفـع إلـى (242) قـدماً وأنشـأوا فيهـا مدارسـاً لتعلـيم الكتـاب والسنة[294].

وهكذا انتشر الإسلام ووصلت تأثيراته إلي أقصـى ما يمكن، وقد ترتب علـي انتشـار الإسـلام وجود مجتمـع جديـد يـدين بـدين ومبـادئ جديـدة فـإن الامتـزاج بـين التعـاليم الإسـلامية الوافـدة وبـين التقاليـد المحليـة فـي شـبه القـارة الهنديـة وتفاعلهـا أدى فـي نهايـة الأمـر إلـي الملائمـة بيـنهم، فمـثلاً عـاش المسلمون مع الهنود في وئام ومحبة حتى أن المسلمين كانوا يقيمون مراكز تجارية داخل المجتمعات الوثنيـة دون تـردد او خـوف ولا شـك أن التـزام المسـلمين بإتبـاعهم تعـاليم ديـنهم ومبادئـه السـمحة أثـر بطريقة مباشرة فيهم فأدى ذلك إلي تغيير السلوك [295].

---

[*] المنصـورة: هـي مدينـة سـاحلية تقـع فـي بـلاد السـند علـي نهـر مهـران وهـي مدينـة عظيمـة بناهـا أبـو جعفـر المنصـور واسمها مشتق منه، وكانت تحكمها واحدة من سلالة قريش، بها النخيل وأهلها كثيري العدد أغلبهم مسلمون وللإسلام عندهم طراوة ولهم ذكاء وفطنة، ومعروف، وصدقة، وحسن أخلاق، والجنس غير العربي يغلب عليه الكفر ، مدينة تجارية ومكتظة بالتجار.

- المقديسي، البشاري: مصدر سبق ذكره، ص 479 .
- الحميري : مصدر سبق ذكره، ص 549.

(293) المسعودي : مصدر ذكره، ج1، ص 168.

[294] محمود، شاكر: مرجع سبق ذكره، ص 882.

[295] أرلونـد، سـيد تومـاس: الـدعوة للإسـلام، ترجمـة د.حسـن إبـراهيم وآخـرين، مكتبـة النهضـة المصـرية، القـاهرة، 1920م، ص 401.

فلا غرابة إن انتظمت في المنطقة مراكز ثقافية وغيرها وقد ظهرت هذه الثقافة في بلاط السلاطين فقد أجزل الحكام العطاء للعلماء الوافدين من العالم الإسلامي للإسهام في النهضة الإسلامية وقد شجع موقع الهند المتميز بان أصبحت قبلة لأهل بلدان كثيرة فأدى إلى بلورة التمازج الثقافي لتنطلق منها بقية البلدان الأخرى في آسيا [296].

والهند قارة تسكنها مجموعة شعوب مختلفة الأجناس والمذاهب الدينية والفكرية والاجتماعية وجهود الهند في التعلم قديمة جداً وأكثر نتاج الهند الفكري كتب باللغة السنسكرينية وهي معروفة الأصول مما ساعد علي معرفة جميع نواحي الثقافة الهندية من علوم وفلسفة وساهم الهنود في جميع العلوم القديمة ونقلوا ما في العلوم اليونانية وشرحوها وزادوا عليها، وأشهر علومهم الفلك [*] والرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب[*1] ودليل ذلك كتاب باهماسدانتا الذي يعد من أقدم الرسائل الفلكية ، ونجده وصل بلاط الدولة العباسية في عهد الخليفة المنصور [*2]

---

[296] ابن الجوزي:مصدر سبق ذكره،ص15. .

[*] الفلك : نشأ عن علم التنجيم، وأقدم الرسائل الفلكية كتاب أميدذانا ، واعترف كاتبه باعتماده علي الفلك اليوناني، ثم أريابهاتا أعظم الفلكيين والرياضيات عند الهنود الذي علل الكسوف والخسوف في حركة الأرض حول الشمس أي قال بدوران الأرض حول الشمس قبل النهضة الأوربية ، كما شرح كروية الأرض في دورتها الحيوية حول محورها، كما عرف الرياضيات والنظام العشري وحل بعض المعادلات من الدرجة الثانية ،وكان نجاحهم في الجبر أعظم من الهندسة .

- المسعودي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص 364.

[*1] الطب : الطب اكثر ما اشتهر به الهنود وكان أطباء الهنود منذ القرن السادس قبل الميلاد يعرفون الأوعية الدموية والأنسجة الدهنية والضفائر العصبية والجهاز اللمفاوي وأنواع العضلات وحركاتها ويعرفون تجبير العظام .... ألخ، وأشهر الكتب الطبية اترافا – فيرا وفيه قائمة بكثير من الأمراض وأعراضها، وضع كتاب آخر وصف لمائة وأحدى وعشرين آلة جراحية منها المشارط والملاقط والمناظير ووصف الكثير عن العمليات الكبرى .

- ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ص 400.

[*2] المنصور : هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس، أمه أم ولد يقال لها السلامة البربرية، يكنى بابي جعفر، ولد عام 95 هـ / 713م، تولى الخلافة بعد أخيه السفاح سنة 136هـ / 754م، قتل أبا مسلم الخراساني، وأسس مدينة بغداد، ولى عهده ابنه المهدي، توفي بالمدينة عام 158هـ / 757م وعمره 64 سنة ومدة خلافته 22 سنة .

كذلك اخذ العرب منهم أرقاماً تستخدم في علم الحساب إلى اليوم. [297] كما انتشرت الفلسفة الهندية بدرجة تفوق الطب والعلوم لأن الرغبة في الفلسفة اشتدت عند الهنود حتى أصبحت جانباً مهماً لا غنى عنه في الحياة حتى امتزجت الفلسفة بالدين، وكانت الفلسفة الهندية تعتمد علي الجدل المنطقي الشفوي اكثر من الكتابة، حيث تقام مناظرات فلسفية دائمة، ولهم صنفين من المذاهب ،المذاهب الاستيكية[*] والمذاهب الناستيكية [*1] [298].

كانت الصلات بين الهندوس والمسلمين ضعيفة في أول الأمر، وعاش المسلمون في منازل الهندوس مع اختلافهم الكبير في التقاليد والعادات والمعتقدات وبمرور الزمن اختلط الفريقان ،وتأثر المسلمون بالهندوس والهندوس بالمسلمين، ويتجلى ذلك في رفض بعض المسلمين أكل لحم البقر وإنكار زواج الأرامل ،والاشتراك مع الهندوس في أعيادهم وأفراحهم، كما أخذ الهندوس عن المسلمين عادة حجاب المرأة وبعض أزياء المسلمين واستخدام الألفاظ العربية والفارسية والتركية، وأدى ذلك إلي ظهور لغة جديدة في القرن الثالث عشر الميلادي وهي اللغة الأردية . [299]

ويمكن القول بأن الحياة الثقافية ازدهرت في بلاد الهند قبل انتشار الإسلام حينها، حتى أن المسلمين يعتبرون الهند إحدى الأمم الأربع التي لها اهتمامات علمية وقد برع الهنود في الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب كما ذكرنا آنفاً، وتعتبر الهند الغرة التي فيها الصلاح والحكمة وهي ينبوع العدل

---

(297) الرفاعي، أنور: مرجع سبق ذكره، ص 511.

(*) الاستيكية: هي المذاهب المؤمنة بأصول الدين ، والمسلمة بصواب الكتب المقدسة صواباً لا يأتيه الباطل، وقبلت الطبقات القائم منذ القديم في الهند، وأشهرها ستة مذاهب تسمى قيدان أو دارشانات أي البراهين، ولزام علي كل مفكر هندي ممن يؤمنون بسلطة البراهمة ان يعتنق إحدى هذه المذاهب.

- ابن خلدون: مصدر سبق ذكره ، ص224.

(*1) الناستيكية : ومعناها المذاهب التي شكت وأنكرت وجود الله وتجاهلت أحكام وأكثر اتباعها من أنصار يهوذا.

- ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 323.

(298) الرفاعي، أنور: مرجع سبق ذكره، ص 512.

(299) المسعودي : مصدر سبق ذكره، ص 229.

والسياسة كما يوجد بها قصور الراجيون[*] خاصة بالشعراء والأدباء، كما نجد الملاحم الشعرية الرائعة مثل كتاب (المحيط في القصص) ويشبه ألف ليلة وليلة [300].

ولما ظهر الإسلام في بلاد الهند، انتشرت الثقافة الإسلامية بها وازدهرت وأعيد تشييد مسجدها الجامع علي أحسن صورة وإضافة إلي مدرسة فيحاء والراجيون [301].

مما سبق يمكن القول إن أساليب التجار في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية مرتبطة مع بعضها البعض لما تمليه الضرورة في الوقت المحدد الذي يكون له الأثر في خلق الحدث الإسلامي المعين فتعاليم الإسلام ركزت علي مكارم الأخلاق التي تممها الإسلام عند العرب مثال الكرم والشهامة والإيثار وإغاثة الملهوف وإشباع الجائع وكساء العاري والصدق والأمانة والوفاء وعدم الغدر فهي قيم لا تنفك في التعامل البشري اليومي , فقد كان لها الأثر في تقبل الآخر لهم والتعامل معهم بثقة ليس ذلك فحسب بل التقرب منهم والدخول في عالمهم , وهنا يكون تأثير القدوة الحسنة، يتضح جلياً بان الحراك التجاري في موانئ شبه جزيرة الهند قد أفرز الكثير من الجوانب الحياتية الملحة لتطلعات الأفراد هناك , فالتجارة نفسها لم تكن ربحاً وخسارة بل هي مدرسة تحمل الكثير من القيم والأخلاقيات الفاضلة لما تتطلبه من الصدق والأمانة ، وعدم الغش ، وسماحة الأخلاق، والوفاء بالعهود , وبما أن التاجر المسلم يمثل رأس الرمح هنا فهو يمثل النموذج الحي لتلك القيم من واقع دينه الذي يحث علي مكارم الأخلاق فالإنسان العربي حتى قبل الإسلام يمتاز بالشجاعة، والكرم ،والإيثار ،والوفاء بالعهد ،والمروءة ، وإباء الضيم والظلم، والنجدة , وفي قول الرسول(ﷺ): (بعثت

---

[*]الراجيون: هم أقدم طبقة وأشرف في العالم الإسلامي ولهم تاريخ قديم موغل في القدم، ويكتنفه الغموض، وهم فرسان علي قدر كبير من الشجاعة والمهارة العسكرية، وقد قاوموا المسلمين بنجاح وعناء ، يسكنون في حصون وبروج مشيدة، ويحكم الراجا حصنه الحصين، وهم من سلالة الملوك والحكام القدامى الذين ورد ذكرهم في الأساطير الهندية واعتبروا أنفسهم أشراف البلاد وسادتها، اهتموا بالمعابد وحصنوا مدنهم بالأسوار والقلاع واهتموا بالحياة الأدبية وقربوا إليهم الشعراء العلماء، ودربوا أبناءهم علي الحروب وأساليب الفروسية واحترموا النساء والعفو عن الضعيف والمغلوب ونصر المظلوم.

- المسعودي: المصدر السابق، ج 2، ص 230.

[300] الرفاعي، أنور: مصدر سبق ذكره، ص 63.

[301] المسعودي: المصدر السابق، ج 2، ص 230.

لأتمم مكارم الأخلاق) فالإتمام يعني أن هنالك ضمانات موجودة وكانت تحتاج لكابح للمفاخرة والمباهاة والمنّ, فانعكس ذلك في الأثر الاجتماعي معاشرة ومصاهرة , وكذلك الأثر الاقتصادي في رواج وازدهار التجارة .

كما أن دين الإسلام يرفض ذُلّ الإنسان, وكان البعد السياسي عدلاً، ومساواة ، وبما أن القرين بالمقارن يقتدي كان الأثر الثقافي واضحاً في ذلك من خلال المعاملات اليومية، ونمط الحياة للتجار المسلمين وتداول الحكايات والقصص وكل تفاصيل الحياة له أثرٌ واضح في كل هذه الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .


الخاتمة

مما هو واضح أن هنالك ثلاثة عناصر أعطت صورة واضحة لشبه القارة الهندية هي المكان والإنسان والزمان تكاملت فيها الحياة ا لغالبة علي شبه القارة الهندية. أما عن المكان فإن موقعها الجغرافي كان للطبيعة أثرها الفاعل في ذلك حيث تحدها الجبال في شمالها وغربها وجنوبها بحر العرب وشرقها خليج البنغال , موقعها الفلكي يقع بين خطي عرض°8، °37 وطولا °61،°100 شرق خط غرينتش، وتمتاز بإقليمها الحار المعتدل ،ويتشكل الغطاء النباتي علي حسب ارتفاع الأرض ، أما عن مساحتها فتبلغ حوالي 3,8مليون كلم فهي ذات أراضي واسعة تتعدد فيها الجبال والهضاب والأودية والأنهار. يتكون التركيب السكاني الذي يمثل الإنسان في الجماعة التورانية والجماعة الهندية ،وقد سكنها في القدم عناصر بشرية تعرف الدرافيدني وعناصر ما قبل الاستراليين وأقزام الجبال والمغول .

وتنقسم المجتمعات إلي طبقات، الطبقة الأولي الاريوني وذات ميزة استعلائه علي المجتمع ولونهم ابيض والبراهمة ومنهم الكهنة ورجال الدين ،والكشتريا وهم الجنود يقومون بمهمة الدفاع وحمل السلاح ، أما الشوترا فهم الصناع وأصحاب المهن الحقيرة .

أما عن اللغات بلغت (240) لغة و(300) لهجة تنحدر كلها من ثلاث لغات أساسية هي اللغة السنسكرتية واللغة الكلاسيكية واللغة التاهلية الدواويدية ، كما تشكل الديانات أنماط مختلفة من التعبير، منها الكنفوشية التي ترتكز علي إبقاء التقاليد الهندية وإعطائها صبغة دستورية ، والديانة الكهنوتية وهي ضد التفرقة العنصرية واستقلال البشر ، ومن تعاليمها التدريبات الشاقة لتسمو الروح فوق الرغبات ،أما الديانة البوذية فقد اعتمدت علي مبدأ التصوف والخشونة ونبذ الترف ،كما نجد الديانة الهندوسية (الهندوكية) التي تؤمن بتعدد الديانات وأنواع التعبد ، والرقص أحد الشعائر العبادة عندهم.

وتمثل الحالة الاجتماعية كثير من الفوارق والطبقية ، فالمجتمع مقسم إلي طبقات منهم البراهمة وهم رجال الدين وعليهم إدارة شئون المعابد ،والاريون ،والكشتريا(الجنود) ، والشودرا(الصناع).

اما الحالة السياسية فقد اتسم الهنود بالبداوة والقسوة وشدة البأس ،ولكل قرية مجلس قروي يدير شئون القرية ،وكان الملوك هم خلفاء الله في الأرض يساعدهم الحكام والموظفون الكبار ،وهذا النظام وراثياً لتولي زعامة القبيلة ،أما عن الزمان فإنها الفترة مابين القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي .

وتعتبر التجارة سنام الحراك الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لما لها من دور فاعل في ربط الشعوب وتداخل الأجناس تأميناً للغذاء وتداولاً للسلع والصناعات المحلية , فهي تمثل محور الارتكاز في نشر الدعوة الإسلامية متسمة بالسماحة والتعامل الفاضل الذي يكون له دور في تثبيت دعائم القدوة الحسنة (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى) [*], وهي تمثل سفارة بين الدول.

وعليه لا بد من تمهيد الطرق التي تسهل عبور التجار المسافرين براً وبحراً على أن يرعى فيه قربه من المدن والقرى وأن يكون آمناً , فقد تناول البحث عدة طرق برية أهمها طريق الحرير الذي يمتد من الصين إلي أوربا، والطريق الذي يسمى بطريق البخور الذي تعبر البواخر محملة بمنتجات الشرق إلي أورباً واقتضت الضرورة لنقل البضائع بأن تسخر في ذلك الحمير، والبغال ، والجمال، وحيوانات اللاما , كما ظهرت حرفة صناعة المراكب الشراعية التي تصنع من الخشب وتعددت أشكالها .

وكان للسفن الدور الأعظم في نقل البضائع وبكميات مهولة فتعددت أسمائها وأشكالها وأنواعها ومنها (الأهورة – البارجة – الباتاماس – الباركات – البغلة – الدوني – العبكري، والفيجين) وتختلف هذه السفن في طولها وعرضها وعمقها وحمولتها وهذا يؤكد الاهتمام بالتجارة لإنعاش سبل العيش ولكسب الكثير من التقاليد والعادات ومعرفة البلدان ونمط الحياة فيها وكلما كثرت السفن تعددت الموانى البحرية ومنها ميناء (كجرات – كمباي— كرو ماندل) وتعدد المواني يعني تعدد الأماكن

---

[*] البخاري : كتاب البيوع ، باب السهولة و السماجة في الشراء و البيع، رقم الحديث 1988، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، ص 225.

فتتسع دائرة المعرفة لدى التجار , وكانت السلع الهندية المتداولة (الزنجبيل – الفلفل – ومواد دباغة الجلود) وأيضاً الشاي والقطن والعاج والصندل والتوابل.

تعاملت الهند مع الواردات الأفريقية مثل الذهب والعاج ، أما الواردات الأوربية فتمثلت في النشادر والزرنيخ والأسلحة والخوخ والسلاح .

أما العلاقات بين العرب والهند ضاربة في القدم فنجد في أشعارهم في الجاهلية ذكر جودة السيوف الهندية , وحتى بعد ظهور الإسلام ودونك تلك القصيدة التي نظمها كعب بن زهير التي قال فيها أن الرسول(ﷺ) لنور يستضاء به مهندٌ من سيوف الهند مسلول , وقال الرسول(ﷺ) قل من سيوف الله مسلول. .

وقد كانت البضائع الهندية رائجة في الأسواق العربية قبل الإسلام مثل العنبر والعود والمسك فقد اختلطت الأعراق الهندية والعربية وقد كان لقرب المسافة الأثر في تعميق هذه العلاقات في التبادل التجاري والثقافي والاجتماعي، فأسست مراكز تجارية في الهند وكان بين التجار أهل علم فأنشأوا المدارس وقد كانت للديانات السماوية أثر في صبغ بعض القيم الإنسانية في نفوس الناس علماً بان النفس البشرية مهيأة لحب الخير بالفطرة .

ونحن ندرك بأن حركة الملاحة قد انتعشت في المحيط الهندي قرب المواني البحرية في اليمن وعمان وبحر العرب مما مكن لحركة التواصل الاجتماعي بين العرب والهند فالتجارة تمثل مدرسة خاصة ليس للربح وإنما لانصهار الشعوب واكتساب الكثير من أدوات المعرفة والعادات في كل مناحي الحياة في الملبس والمسكن والمأكل , فقد كانت نقطة الانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية .

والحضارة الإنسانية قامت علي ركنين أساسيين ارتكزت عليهما هما الغذاء والأمن اللذان يمثلان الدافع القوي لاستمرارها , والقرآن الكريم قد أمن على ذلك في قوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [*] , وذلك بائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين ووضع لذلك التشريعات التي

---

[*] سورة قريش ، الآية 4

تحفظ القسط والعدل والموازين في قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ{1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ{2} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ{3}) (*). فالتبادل التجاري كان موجوداً في رحلتي الشتاء والصيف , وقد أخذ عمل الرسول (ﷺ) بالتجارة في شبابه بعداً دينياً في سيرة المصطفى(ﷺ), وقد مثل اتجاره بأموال السيدة خديجة(رضي الله عنها) بعداً تجارياً في الشراكة وتداول المال من أجل الربح وتوزيع الأسهم فلا غرو أن تكون للتجارة دور في نشر تعاليم الإسلام , وقد دعي ذلك إلي تأمين طرق التجارة في عهد الخلافة الراشدة لتعبر القوافل في فيافي الجزيرة العربية وهي آمنة , وقد دعم التجار المسلمون الدعوة بالاتفاق وتجهيز الجيوش أمثال سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان (رضوان الله عليهم أجمعين) فإنهم كانوا تجاراً قبل الدعوة وبعدها ولكن الأمر اختلف فالتجارة بعد الرسالة المحمدية أخذت منحى آخر في الزكاة وصدقات للأموال وتطهيراً للنفس , مما خلق روح التكافل في المجتمع المسلم , وهذا جعل علاقتهم بالتجار الآخرين مصدر قوة ليس في الجسد وإنما في التعامل الحسن والأمانة والمصداقية والوفاء بكل الملتزمات التي يقرها الدين ويوافق عليه الشرع مما حدا بالرسول (ﷺ) وخلفائه من بعده أن يقدموا الكثير من التسهيلات لهم حتى تزدهر تجارتهم لأنهم يمثلون رأس الرمح في إيرادات بيت مال المسلمين .

وقد توسعت التجارة في العهد الأموي وانفتحت علي كثير في بلاد الدنيا شرقاً وغرباً عبر باب المندب والإسكندرية ومكة التي كانت تمثل مركزاً تجارياً مهماً وذلك في العهد السفياني (معاوية بن أبي سفيان) وبدأت التجارة تضمحل في العهد المرواني وذلك للاضطرابات النقص السيولة النقدية وارتفاع الضرائب . إلي أن جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي أزاح الفوارق العرقية وأمّن الطرق وأقام دولة العدل وأعادها إلي سيرتها الأولى على الرغم من ذلك فقد ازدهرت التجارة في العهد الأموي وكان الانفتاح علي العالم دون قيد أو شرط ولم تحتكر البضائع ولم تخرج من دائرة القوانين الراشدة .

(*) سورة المطففين ، الآيات 1-3.

ونلاحظ إن أساليب التجار في انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية مرتبطة مع بعضها البعض لما تمليه الضرورة في الوقت المحدد الذي يكون له الأثر في خلق الحدث الإسلامي المعين فتعاليم الإسلام ركزت علي مكارم الأخلاق التي تممها الإسلام عند العرب مثال الكرم والشهامة والإيثار وإغاثة الملهوف وإشباع الجائع وكساء العاري والصدق والأمانة والوفاء وعدم الغدر فهي قيم لا تنفك في التعامل البشري اليومي , فقد كان لها الأثر في تقبل الآخر لهم والتعامل معهم بثقة ليس ذلك فحسب بل التقرب منهم والدخول في عالمهم , وهنا يكون تأثير القدوة الحسنة كذلك المكوث في المواني لفترات طويلة علي حسب حركة الرياح جعل المصاهرة واجبة لسد الذرائع والدخول إلي عالم الأسر لا يعني النكاح فحسب إنما هو تعامل يحمل في طياته التفاصيل اليومية في الإسلام علي أرض الواقع عملاً مشاهداً .

والبقاء في المواني لفترات طويلة تصحبه الحكايات والقصص عن عدالة الإسلام فيجذب له الكثيرين في رحابة والشوق لرؤية صاحب الرسالة الجديدة في مجتمع هيمنت عليه الطبيعة العرقية والقوانين التي تحط من كرامة النفس البشرية وبعده عن القيمة العدلية ومبدأ المساواة في الحقوق والواجبات . والمساواة المطروحة في الإسلام لا تفضل جنساً علي الآخر أو طائفة علي الأخرى أو رجل علي امرأة فالجزاء علي قدر العمل والعقوبة علي قدر الجرم لا استثناء لأحد مهما كانت مكانته.

وإن الحراك الاجتماعي في المواني فرض تعلم بعض المفردات إن كانت عربية أو هندية لتسهيل المهمة التجارية مما أدى إلي انتشار اللغة العربية لغة الإسلام ,كما وأن المعتقدات الدينية السائدة في الهند من أصنام وطقوس عبادة لا يمكن أن تقنع العقل البشري ويظل في شك من أمرها فيتوقف متأملا إلي الملكوت الأعلى ليسبر في أغوار الدنيا ليجد ما يصنع اليقين في قلبه , فكان الإسلام البلسم الشافي لكل تساؤلاته في تنسيق وتنظيم الحياة عبادة وإعمار .

ولحركة التجارة في المواني، والمواسم ،والمعاملات، والرسوم، والملوك الذين اسلموا ،والمصاهرة ، والعملات التي تتداول , ونظام جديد في التعامل مثل السفتجة , وروايات تقال وقصص تسرد وقدوة

حسنة تقدم وسماحة تحتذي وأمانة تشتهى وصدق مرغوب، وزي مميز جعل الإسلام ينداح في شبه القارة الهندية .

يتضح جلياً بان الحراك التجاري في موانئ شبه جزيرة الهند قد أفرز الكثير من الجوانب الحياتية الملحة لتطلعات الأفراد هناك , فالتجارة نفسها لم تكن ربحاً وخسارة بل هي مدرسة تحمل الكثير من القيم والأخلاقيات الفاضلة لما تتطلبه من الصدق والأمانة ، وعدم الغش ، وسماحة الأخلاق، والوفاء بالعهود , وبما أن التاجر المسلم يمثل رأس الرمح هنا فهو يمثل النموذج الحي لتلك القيم من واقع دينه الذي يحث علي مكارم الأخلاق فالإنسان العربي حتى قبل الإسلام يمتاز بالشجاعة، والكرم ،والإيثار ،والوفاء بالعهد ،والمروءة ، وإباء الضيم والظلم، والنجدة , وفي قول الرسول(ﷺ): (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [*] فالإتمام يعني أن هنالك ضمانات موجودة وكانت تحتاج لكابح للمفاخرة والمباهاة والمنّ, فانعكس ذلك في الأثر الاجتماعي معاشرة ومصاهرة , وكذلك الأثر الاقتصادي في رواج وازدهار التجارة .

وبما أن دين الإسلام يرفض ذُلّ الإنسان كما قال الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه): (متى استعبدتم الناس ولقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) , كان البعد السياسي عدلاً، ومساواة ، وبما أن القرين بالمقارن يقتدي كان الأثر الثقافي واضحاً في ذلك من خلال المعاملات اليومية، ونمط الحياة للتجار المسلمين وتداول الحكايات والقصص وكل تفاصيل الحياة له أثرٌ واضح في كل هذه الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

---

[*] البهيقي ، السنن الكبرى ، كتاب الشهادات ، باب مكارم الاخلاق ومعانيها ،ج10، ص323، رقم الحديث 782.


النتائج و التوصيات

أولاً النتائج :

1-الواقع أن صلة العرب بالهند تجارياً كانت أقدم من الإسلام وكانت مادتها الأولى آنذاك التجار الهنود غير أن ظهور الإسلام وانتشاره وتأسيس الدولة الإسلامية وازدهارها واستقرار الأوضاع السياسية بها ساهم مساهمة كبيرة في عقد الصلة التجارية بين البلاد الإسلامية والهندية وتكثيف التبادل التجاري , فنشطت المبادلات التجارية بينهما إلي أن بلغت ذروتها خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي .

2-إن الإسلام قد حمل إلي الهند مشعلاً من نور قد انجلت به الظلمات التي كانت تعيش فيه الهند , ولقد كان للإسلام نصيب الأسد في عالم الفكر والقيم , حيث أثر في أذهان أهالي الهند تأثيراً عميقاً .

3- لقد كان انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية هو أكبر الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي حيث اتسعت رقعة الدولة الإسلامية , وكان للتجار المسلمين الدور الأسمى في تطبيق الأصول والقيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية الأصلية مما أدى إلي انتشار الإسلام .

4-انتشر الإسلام في تلك البلاد دون إكراه فيه فمن دخل الإسلام صار له ما لأهله من الحقوق وعليه ما عليهم , ومن أعرض عنه فرض عليه ما يفرض عادة على غير المسلمين من جزية دون عناء او إرهاق .

5- لقد بهرت كنوز الهند ومنتجاتها أنظار الأوربيين التجار حتى سال لعابهم وفكروا في استغلالها فيما بعد .

6- كان لانتشار الإسلام في القارة الهندية أثر في فن العمارة بما بذله التجار المسلمون من جهد وعناية كبيرة حيث اختلط الطراز الهندي بالطراز الإسلامي , بالإضافة إلي فن المعمار الفارسي والذي حمله الوافدون من رجال الفنون والعلوم من المسلمين .

7- لم تكن أوربا تعرف الأمريكتين , بل كان للبرتقال وأسبانيا قصب السبق في فذلك، وقد سارت سفنهم محاذية للجانب الغربي من أفريقيا مروراً بمدينة الكاب ووصولاً لأهل بلاد الهند في بلاد

مأهولة بالسكان ولها نمط حياتها الخاصة , ودياناتها، زد علي ذلك السلع , فقد كانت الطرق عبر البحر سالكة للتجار العرب الذين كانت لهم سفنهم الخاصة .

8- انتشر الإسلام في شبه القارة الهندية بجهود الأفراد ولم يكن هناك حاكم إسلامي يقال انه يجبر الناس على الإسلام أو يرعى شؤون المسلمين ,ولكنها جهود الأفراد وقوة نفوذ الإسلام وبساطته هي التي مهدت له السبيل لذلك .

9 - بدأت الديانة الهندوسية تضمحل في ذات المنطقة بعد دخول الإسلام فأصبح معظم سكان هذه المنطقة مسلمين بمحض إرادتهم , ثم قامت فيه عدة حكومات إسلامية كان لها نشاط واسع في مجالات الدعوة الإسلامية .

10- إن اهتمام ملوك الهند بالاقتصاد التجاري كان له الأثر العظيم في انتشار الإسلام في القارة الهندية وتثبيت عقائده .

11- أدى النشاط التجاري المكثف بين أولئك التجار إلي نشوء ترابط بين الشعوب والبلدان التي ينتمون إليها سواء على امتداد المحيط الهندي او طريق الحرير البرية , فكان من ثمارها ازدهار الجاليات الإسلامية في العديد من المدن الهندية التي ساهمت بشكل فعال في رفع لواء الدعوة الإسلامية بها .

12-تعتبر التجارة الرابط الوحيد الذي لا يزال يربط بين الشعوب , لذلك بقي التبادل التجاري علي وجه الخصوص بين المسلمين والهنود بالرغم من المصاعب والعقبات المتنوعة التي كانت تعترضه كالعوامل الجغرافية والطبيعية والأزمات الصدامات العسكرية واللصوصية , حيث بقيت التجارة قناة الاتصال الوحيدة بين الأمم بل ما فرضته تلك الموانع جمعته التجارة والتجار , فكانت بحق وحقيقة لهم دوراً بارزاً في انتشار الإسلام .

13-كان للتجارة الإسلامية الأثر البالغ في نشأة الأسواق والمدن وتطورها. بحيث أصبحت الملامح الرئيسة للمدن ذات الطابع التجاري فانعكس التطور العمراني للمدن الإسلامية على نمطية أسواقها فعرفت نوعاً من الانفصال عن التجمعات السكانية .

ثانياً : **التوصيات** :

1- تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية تاريخ مجهول لكثير من الناس وقلة المصادر التي تعرضت لهذا التاريخ, وأوصي بدراسة هذا التاريخ في حقبه المختلفة .

2- تعتبر الدراسات المقارنة في تاريخ الأديان من الدراسات المهمة والمطلوبة وعليه تصلح شبه القارة الهندية كمجال لدراسة الأديان المختلفة.

3- ظلت المدارس الفقهية الإسلامية في شبه القارة الهندية ترفد الحركة الفقهية بكثير من المساهمات الأمر الذي يتطلب الالتفات لهذه المساهمات ودراستها .

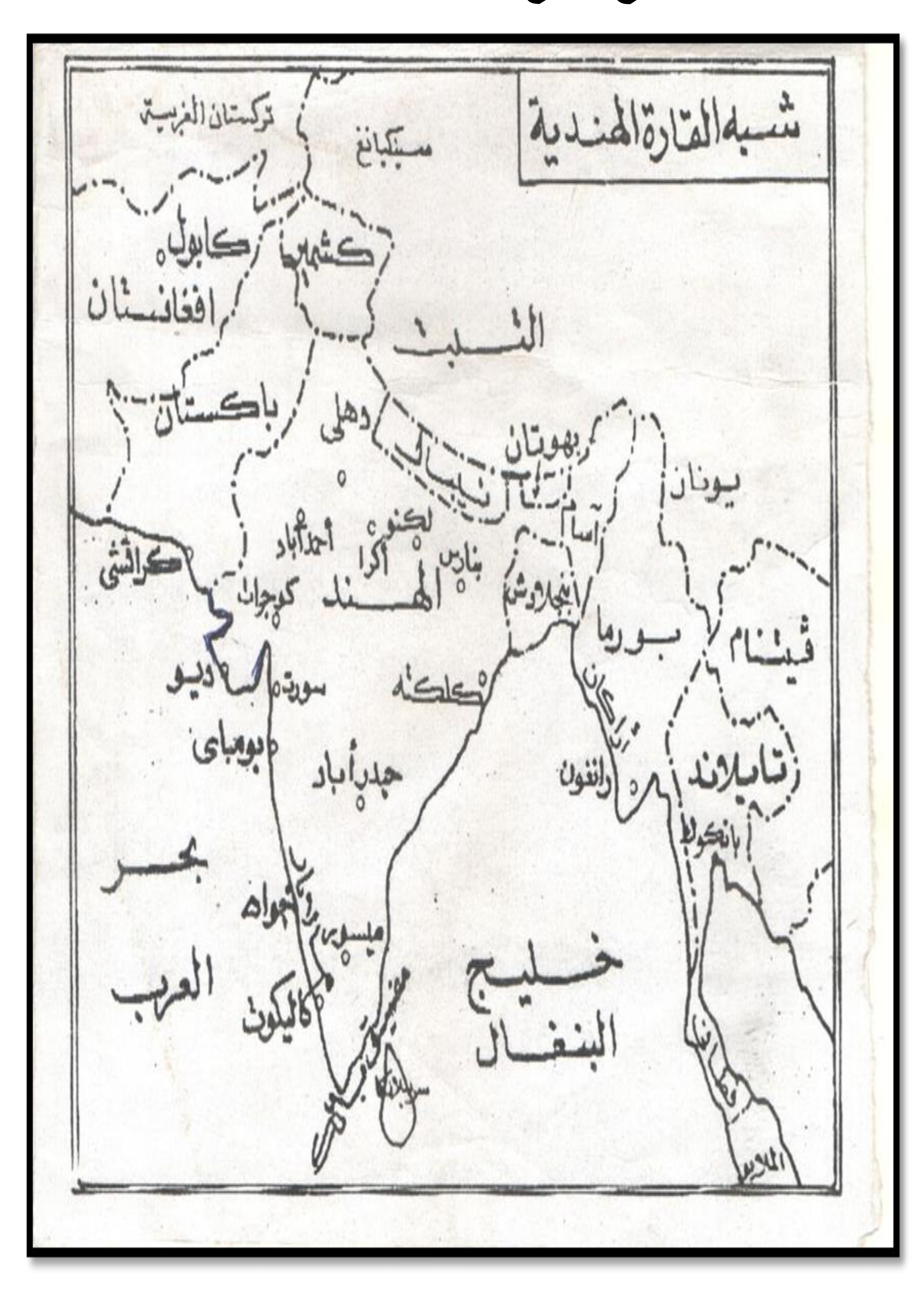
4- كما رأينا فإن التجارة في شبه القارة الهندية أثمرت في نشر الإسلام وتعزز ذلك في الفترات اللاحقة خاصة إبان الدولة العباسية لذا أوصي بدراسة التجارة في الفترات التي لم تغطيها الدراسة.

5- على دول منظمة المؤتمر الإسلامي أن توثق علاقاتها التجارية والاقتصادية مع دول شبه القارة الهندية وفي ذلك دعم لمجموعات المسلمين هناك. .

الملاحـــق

ملحق رقم [1]

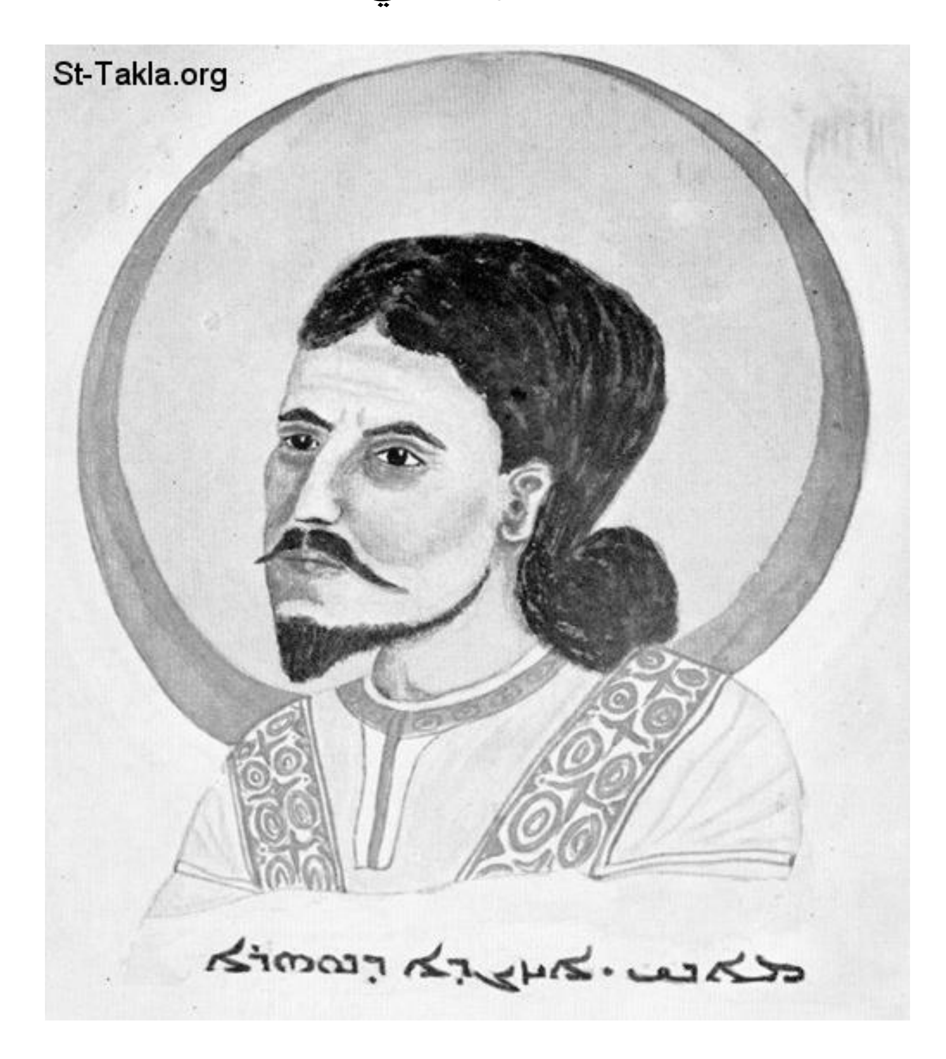
خريطة توضح موقع شبه القارة الهندية



302 - نقلاً عن : الندوي ، إسماعيل : الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، دار الشعب ، بيروت 1990 م ، ص 7.

ملحق رقم [2]

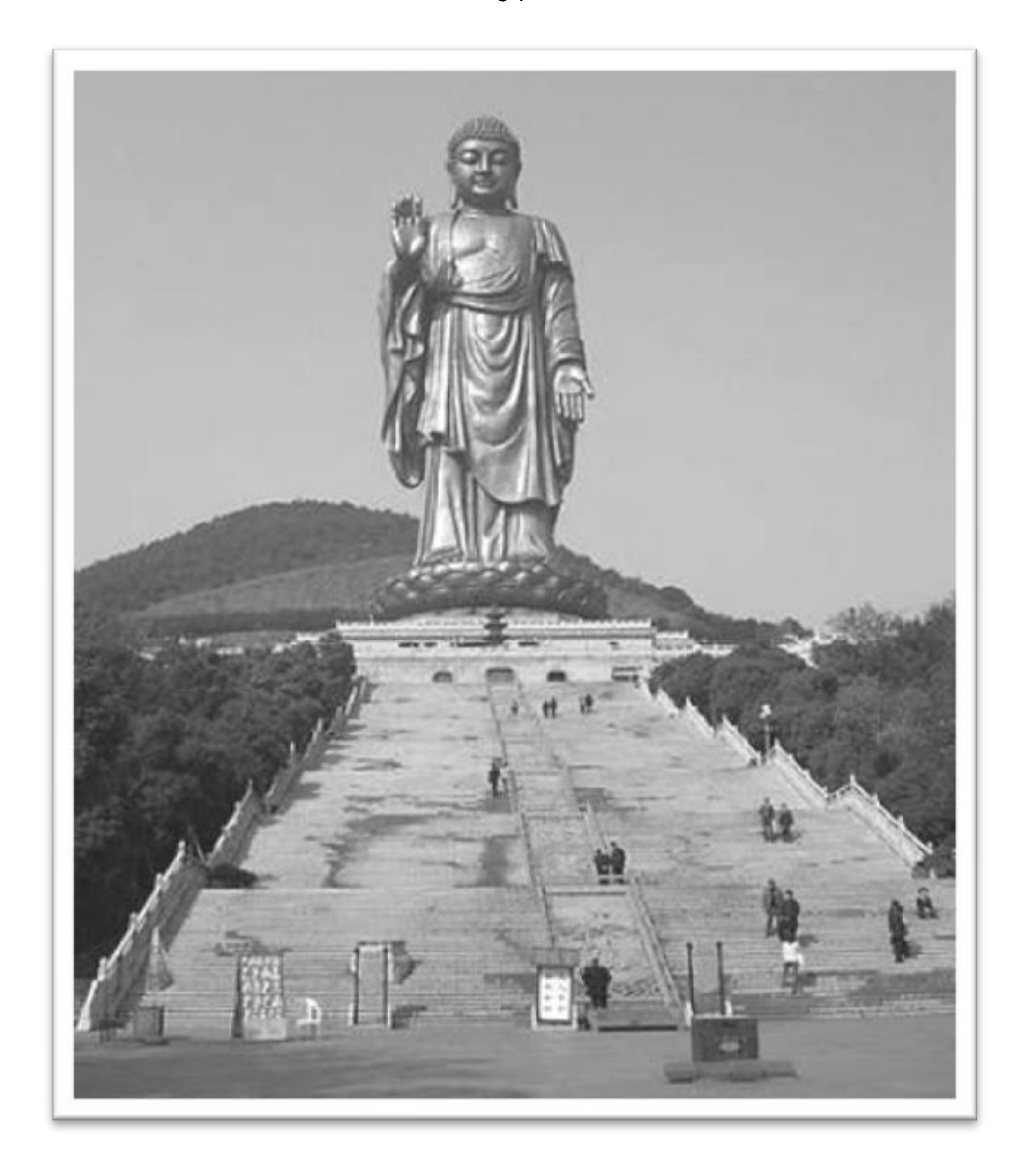
صورة ماني



نقلاً عن أبو خليل ، شوقي : الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 م / ص 75.

ملحق رقم [3]

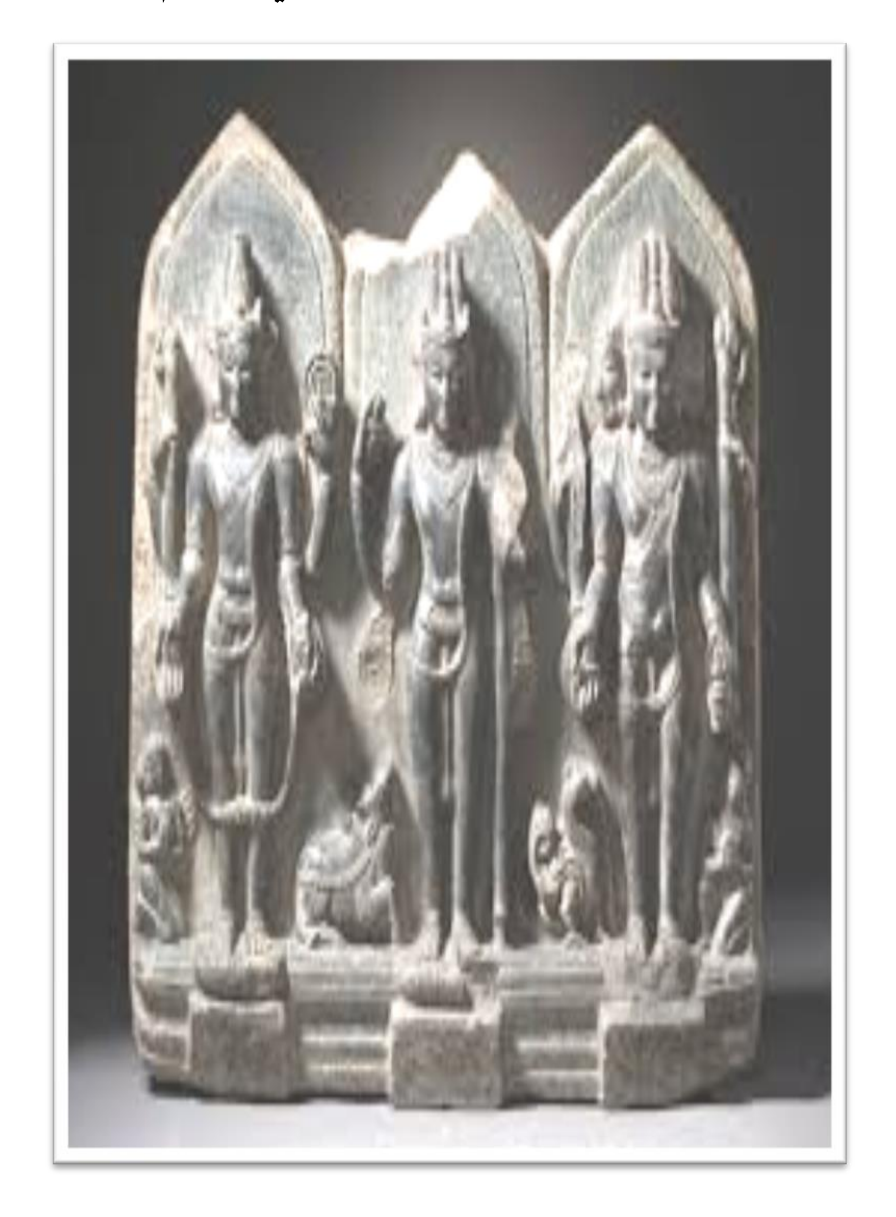
تمثال بوذا



[303] - نقلاً عن : الندوي ،، إسماعيل : الهند القديمة حضاراتها و ديناتها ، دار الشعب ، بيروت 1990 م، ص 229.

ملحق رقم [4]

صورة آلهة الهند كما جاءت في كتبهم



[304] - تقلاً عن : طارق فتحي سلطان : انتشار الإسلام في آسيا ، ط 1 ، دار الفكر ، 2010 م ، ص 83.

ملحق رقم [5]

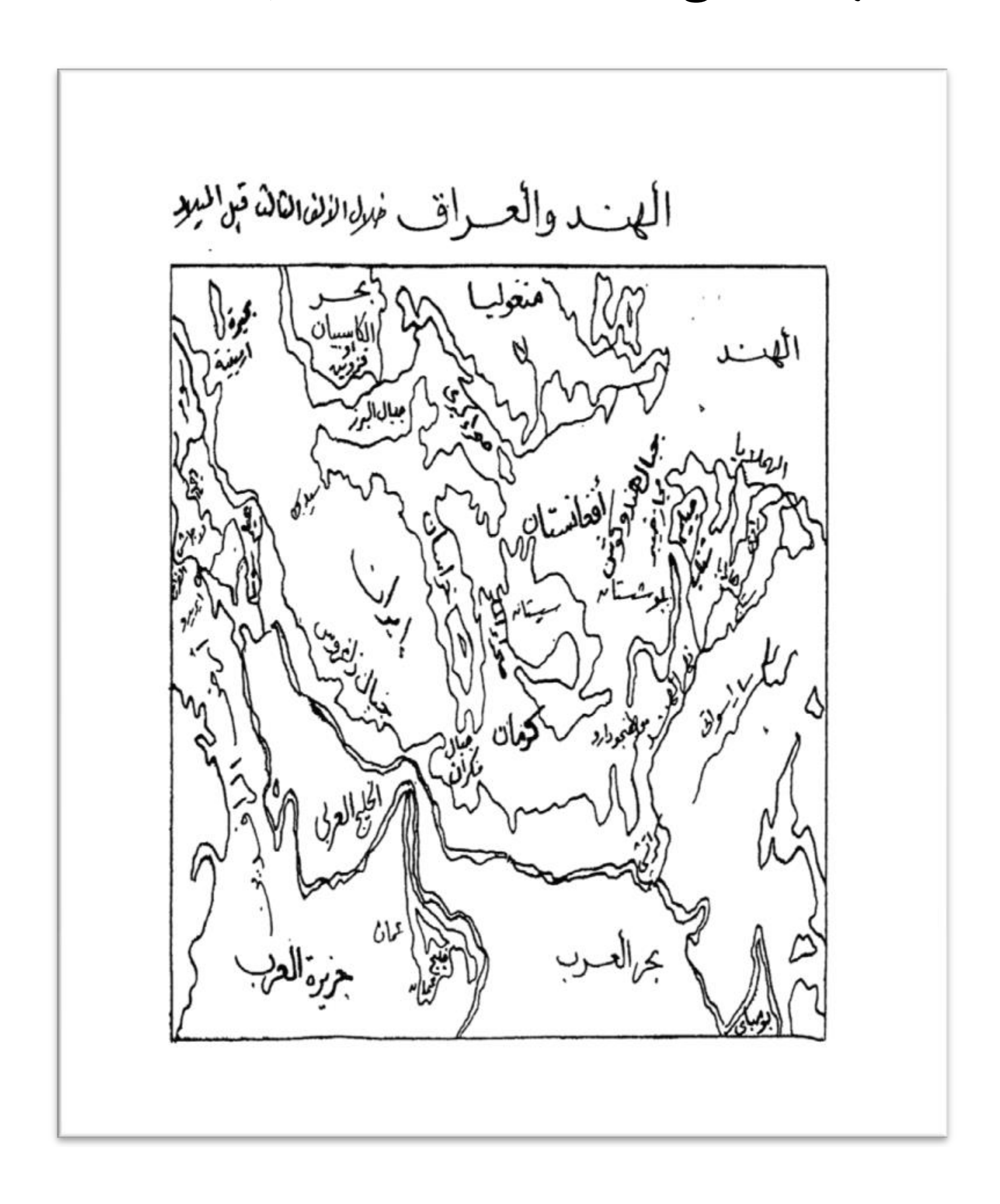
الرقص الهندي



[305] -نقلاً عن : الندوي ، إسماعيل : الهند القديمة حضاراتها وديناتها ، دار الشعب ، بيروت ،ص 43.

ملحق رقم [6]

الهند والعراق خلال الألف الثالث قبل الميلاد

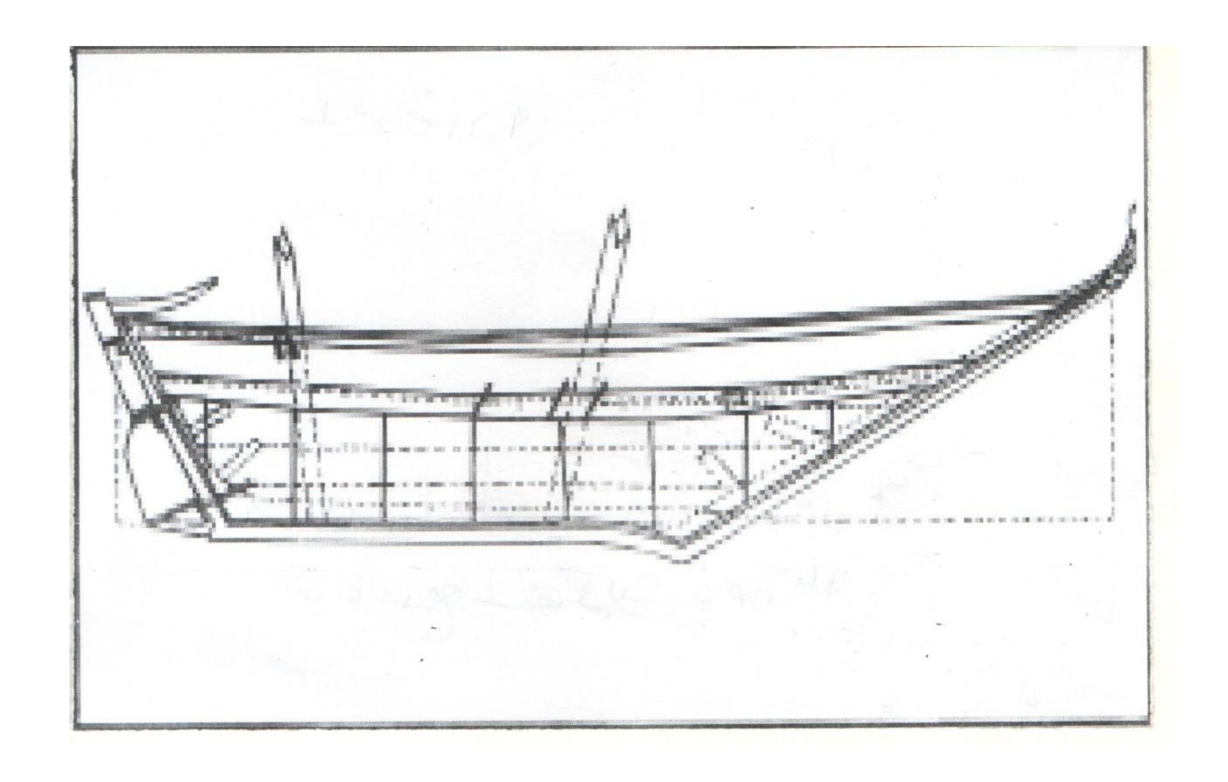


---

[306] - نقلاً عن : الندوي ، إسماعيل : الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، دار الشعب ، بيروت 1990 م ، ص 3.

ملحق رقم [7]

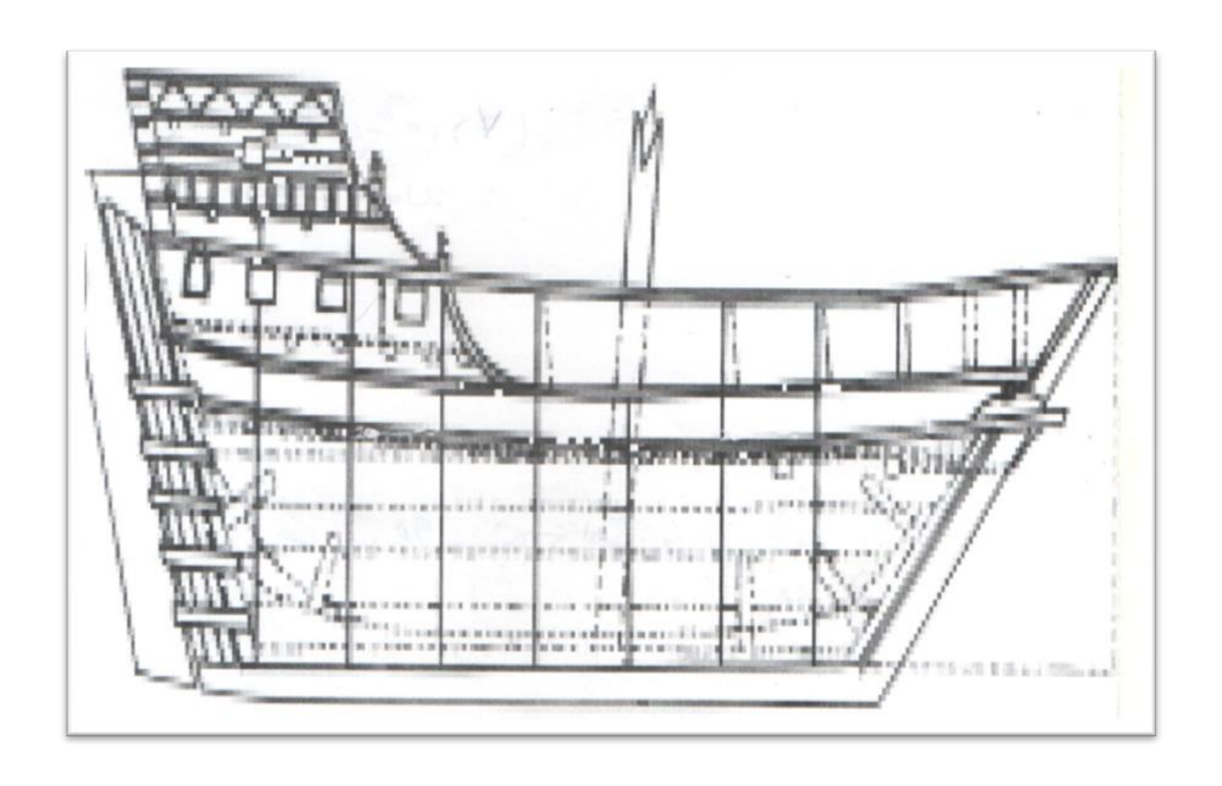
أنواع السفن : الباتماس



[307] - نقلاً عن : شوقي ،شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عهد السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة 1960 م ، ص 96.

ملحق رقم [8]

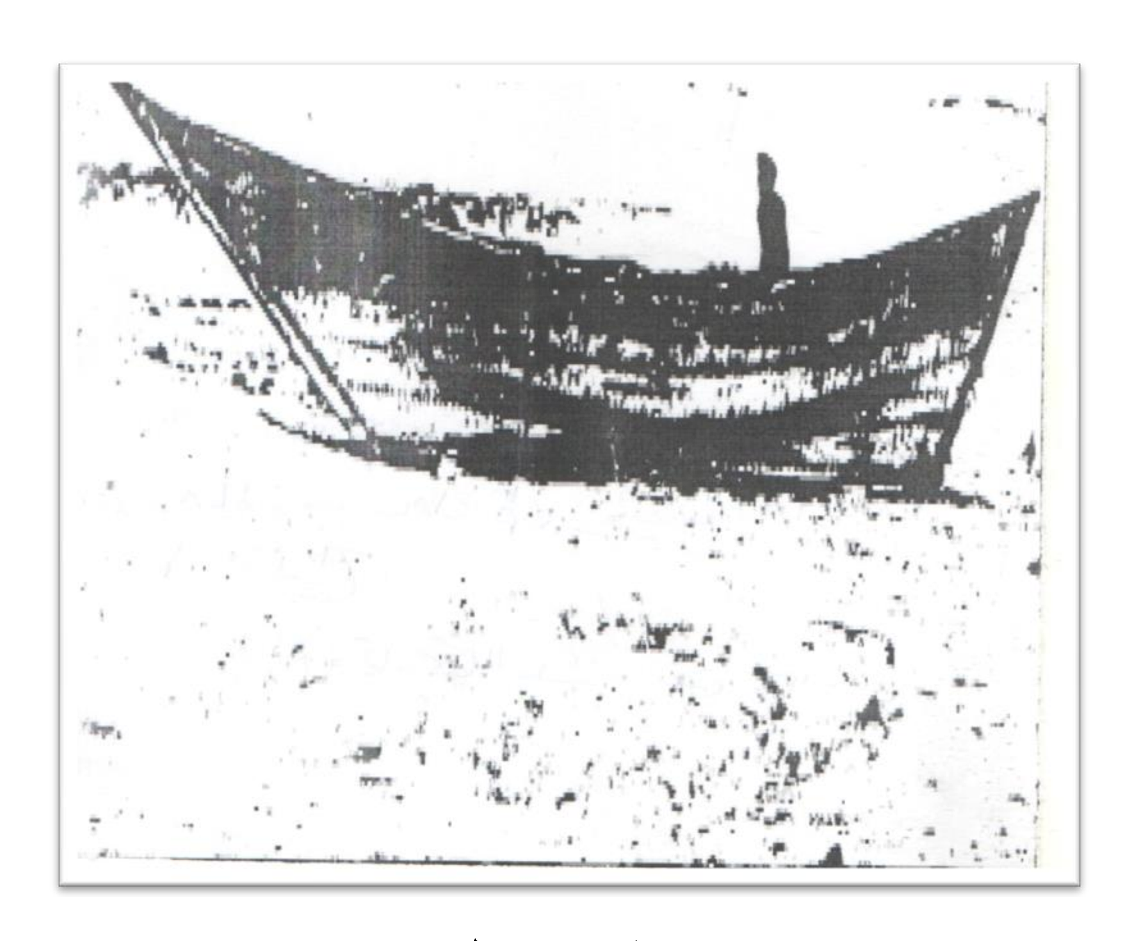
البغلقة



[308] - نقلاً عن : شوقي ، شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عهد السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة 1960 م ، ص 99.

ملحق رقم [9]

أنواع الخياطة للسفن على الساحل



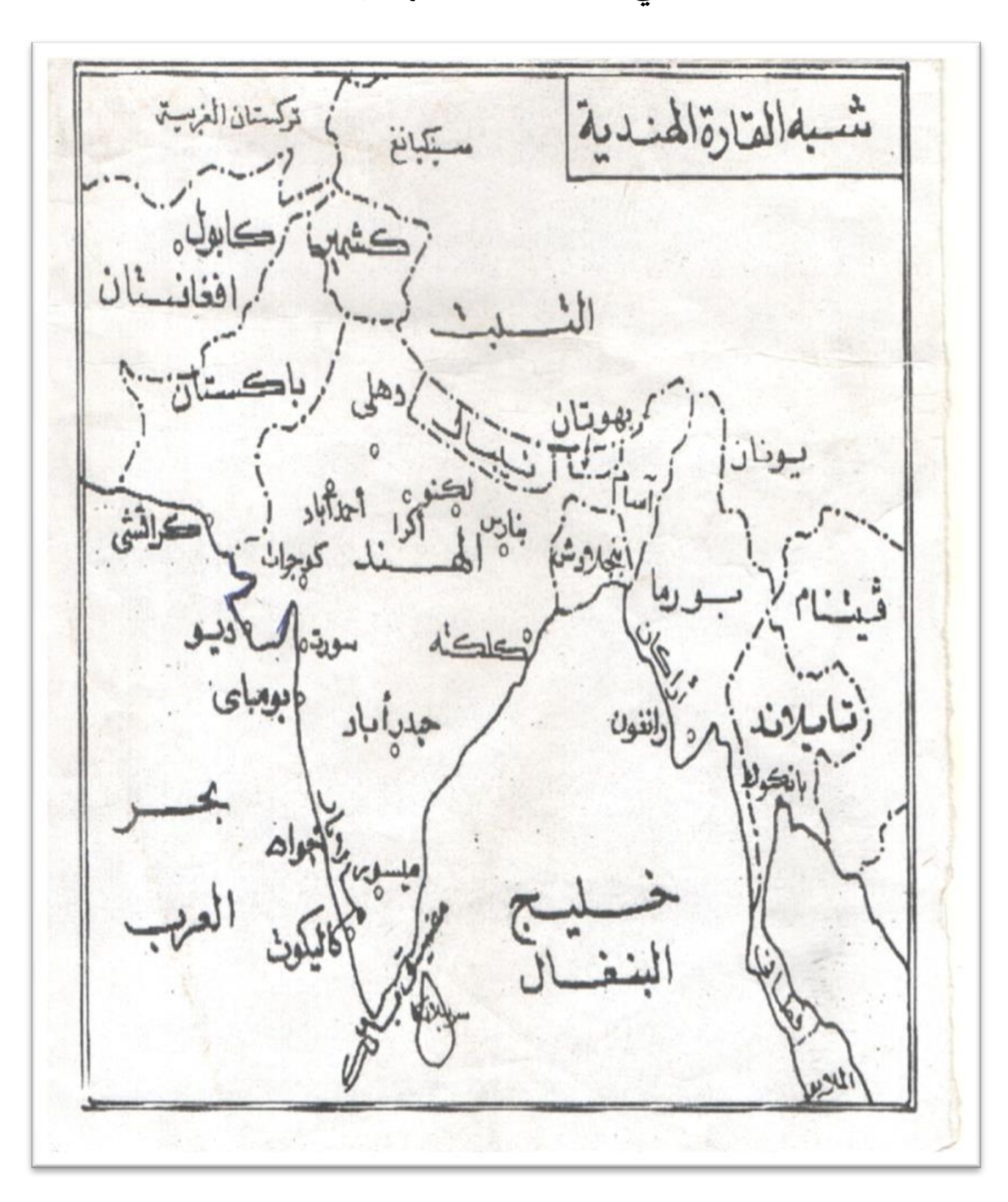
سلبوق مخيط

غرز خياطة من ساحل ظفار ويظهر فيه بوضوح تخييط الألواح

[309] - نقلاً عن : عمّان وتاريخها البحري ، ص 112.

ملحق رقم [10]

مواني شبه القارة الهندية

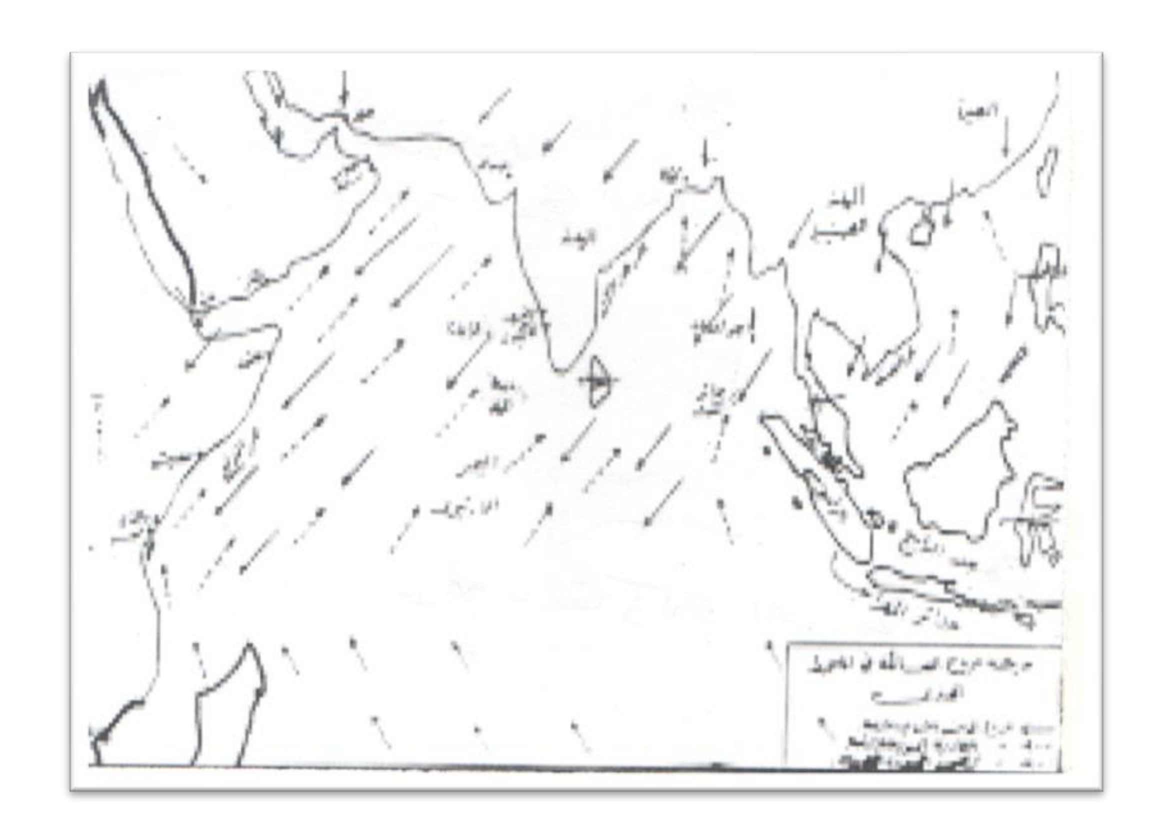


---

[310] - نقلاً عم : شوقي ، شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عهد السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة 1960 م ، ص7.

ملحق رقم [11]

خريطة توضح الطرق الملاحية



[311] - نقلاً عن : شوقي ، شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عهد السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة 1960 م ، ص 72.

ملحق رقم [12]

خريطة توضح العملات والأختام



[312] - نقلاً عن : الندوي ، إسماعيل : الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، دار الشعب ، بيروت ، 1990م ، ص 169.